

نظام من الحكمة لإدارة الدولة وتصنيع
عهد الأفاضل الموقرين على يد الأستاذين

أعمال

المؤتمر العلمي الوطني المشترك الأول
مؤسسة علوم نهج البلاغة ومركز دراسات الكوفة



ISBN 978-9933-582-39-5



9 789933 582395

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية 1208 لسنة 2018م

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda

رقم تصنيف LC: BP38.02.M8 N5 2018

المؤلف المؤتمر: المؤتمر العلمي الوطني المشترك (1: 2016: كربلاء، العراق).

العنوان: اعمال المؤتمر العلمي الوطني المشترك الاول: نظام الحكم وادارة الدولة في ضوء عهد الامام امير المؤمنين عليه السلام لمالك الاشتهر رحمه الله /

بيان المسؤولية: الذي اقامته مؤسسة علوم نهج البلاغة، مركز دراسات الكوفة.

بيانات الطبع: الطبعة الاولى.

بيانات النشر: كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، 2018 / 1439 للهجرة.

الوصف المادي: 10 جزء ببليوجرافي في 10 مجلد مادي؛ 24 سم.

سلسلة النشر: العتبة الحسينية المقدسة؛ (386).

سلسلة النشر: مؤسسة علوم نهج البلاغة، 141 سلسلة المؤتمرات العلمية؛ (1).

تبصرة محتويات: المجلد 1، 2: المحور القانوني والسياسي - المجلد 3، 4: المحور الاداري والاقتصادي - المجلد 5: المحور الاجتماعي والنفسي - المجلد 6، 7، 8: المحور الاخلاقي وحقوق الانسان - المجلد 9، 10: المحور اللغوي والادبي.

تبصرة ببليوجرافية: يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.

موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة - نهج البلاغة. عهد مالك الاشتهر

موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة 40- للهجرة - نظريته في بناء الدولة - مؤتمرات.

موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة 40- للهجرة - نظريته في الحكم - مؤتمرات.

موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة 40- للهجرة - سياسته وحكومته - مؤتمرات.

موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة 40- للهجرة - قضائه - مؤتمرات.

موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة 40- للهجرة - نظريته في التعايش السلمي - مؤتمرات.

موضوع شخصي: مالك بن الحارث الاشتهر النخعي، توفي في 39 للهجرة - نقد وتفسير.

مصطلح موضوعي: نظام الحكم في الاسلام - مؤتمرات.

مصطلح موضوعي: الاسلام والدولة - مؤتمرات.

مصطلح موضوعي: النظام الاداري في الاسلام - مؤتمرات.

مصطلح موضوعي: الاسلام والاقتصاد - مؤتمرات.

مصطلح موضوعي: الاسلام والتعايش السلمي - مؤتمرات.

مصطلح موضوعي: الاسلام والمجتمع - مؤتمرات.

مصطلح موضوعي: الاسلام وحقوق الانسان - مؤتمرات.

مصطلح موضوعي: اللغة العربية - بلاغة - مؤتمرات.

مؤلف اضافي: شرح ل (عمل): الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة - نهج البلاغة. عهد مالك الاشتهر.

اسم هيئة اضالي: العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). مؤسسة علوم نهج البلاغة - جهة مصدرة.

اسم هيئة اضالي: مركز دراسات الكوفة (النجف، العراق).

عنوان اضافي: عهد مالك الاشتهر.

نظام الفكر في إدارة الأعمال
عهد الأفاضل والمؤمنين في الكوفة

أعمال

المؤتمر العلمي الوطني المشترك الأول

لمؤسسة علوم نهج البلاغة ومركز دراسات الكوفة

لسنة ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦ م

(المحور الإداري والاقتصادي)

الجزء الثالث

إصدار

مؤسسة علوم نهج البلاغة

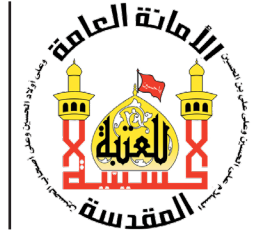
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



العراق: كربلاء المقدسة - شارع السدرة - مجاور مقام علي الأكبر (عليه السلام)

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ _ ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الإلكتروني: www.inahj.org

الاييميل: Inahj.org@gmail.com

الكتاب: أعمال المؤتمر العلمي الوطني المشترك الأول، نظام الحكم وإدارة الدولة في ضوء عهد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) مالك الأشر (عليه السلام).

الجهة الراعية للمؤتمر: الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة ورئاسة جامعة الكوفة.

الجهة المقيمة للمؤتمر: مؤسسة علوم نهج البلاغة ومركز دراسات الكوفة.

المدة: أقيم في يومي ٢٤-٢٥ من شهر كانون الأول من العام ٢٠١٦م الموافق ٢٣-٢٤ من شهر ربيع الأول من العام ١٤٣٨هـ.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية ١٢٠٨ لسنة ٢٠١٨م

الناشر: العتبة الحسينية المقدسة.

عدد المجلدات: ١٠ مجلد

عدد البحوث المشاركة: ١٢٨ بحثاً

الإشراف والمتابعة: مؤسسة علوم نهج البلاغة.

تنويه:

إن الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

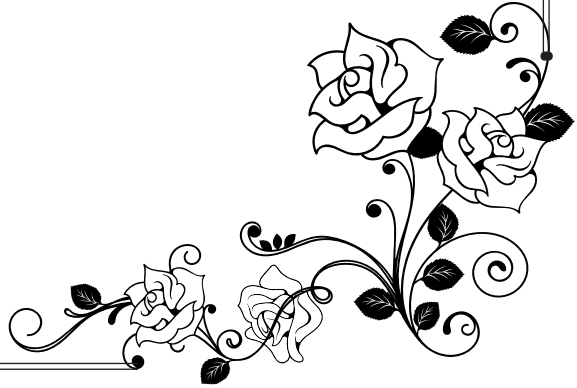
الحكم الرشيد في إدارة مؤسسات الدولة

قراءة على هدي عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)

لمالك الأشتر (رضي الله عنه)

اعداد

د. مازن مهدي حبيب العقابي



المصطلحات والمختصرات

ت	المصطلح أو المختصر	المعنى
.١	العهد	عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)
.٢	عامّة الناس	المواطنين
.٣	UNDP	برنامج الأمم المتحدة الانمائي
.٤	المؤسسة	الوزارة أو الهيئة أو الشركة أو الدائرة.
.٥	E-G	Electronic governance
.٦	G-G	Governance- Governance
.٧	G-C	Governance- Citizen
.٨	G-B	Governance -Business

المستخلص

يحاول الباحث أن يبيّن بأن وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) عبارة عن منهجية متكاملة لأدارة شؤون الدولة سواء في ذلك العصر أو عصرنا اليوم عصر المعلوماتية وثورة الاتصالات ووسائل الاعلام المختلفة، ومن خلال اعتماد منهجية الحكم الرشيد في ادارة مؤسسات الدولة، وهذه المنهجية التي تتألف من عناصر ومستويات ومتطلبات أمنية، تعمل اليوم الدول جاهدة من اجل السير بخطى واسعة لتطرح نفسها بأسلوب مختلف لأعتماد وتطبيق منهجية تحاكي منهجية الحكم الرشيد التي أوصى بها أمير المؤمنين الأمام علي (عليه السلام).

الفصل الأول

المبحث الأول - المنهجية

المقدمة:

في العام الثالث عشر من البعثة النبوية الشريفة وفي شهر محرم كان الأيذان بهجرة المسلمين من مكة المكرمة الى يثرب، والموافق للعام ٦٢٢م، والذي اعتبر فيما بعد بداية لتقويم عُرف بالتقويم الهجري، وكانت الغاية من هذه الهجرة هو لنشر الاسلام وتعاليمه السمحاء في مجتمع من الممكن ان يتقبل انشاء دولة الحكم الرشيد (الدولة العادلة)، والتي تعتمد تشريعاتها وتطبيقاتها على منهجية واحكام السماء، والذي جسده الرسول الاعظم (صل الله عليه واله وسلم) من خلال المؤاخاة بين المهاجرين والانصار، والشورى في الامر ونشر العدالة والمساواة بين المجتمع في المدينة المنورة فضلاً عن مساعدة الضعفاء، والمعاملات الانسانية حتى في وقت الحرب، ومحاربة الكفار والفاستدين حيث استمرت هذه المنهجية كما يرى العديد من الباحثين لغاية وفاة الرسول (صل الله عليه واله وسلم)، ثم تجددت ظهور هذه المنهجية في ايام حكم الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام).

عندما اتخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) من مدينة الكوفة عاصمة للدولة الاسلامية حيث سعى لتطبيق منهجية الحكم الرشيد التي جاءت برسالة الاسلام على لسان خاتم الانبياء الرسول الاعظم محمد (صل الله عليه واله وسلم)، ويتجلى هذا النهج في وصية أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) لملك الاشتر عندما ولاه مصر حيث اوصاه بـ (استصلاح اهلها و جباية خراجها و عمارة بلادها و جهاد عدوها) حيث بين الامام (عليه السلام) من خلال وصيته بضرورة وضع برنامج لادارة الحكم قائم على البناء المعرفي للفرد والمجتمع وايجاد بيئة معرفية فضلاً عن الجانب الاقتصادي والجوانب

الاجتماعية والخدمية ولاسيما الجانب العسكرية أو الامني .

ولكن الفاسدون استمروا في محاربة منهجية السء وعملوا من اجل تشويهها وتحريفها وسرقة ما تحقق من بناء على المستوى الديني والاجتماعي والسياسي واتبعوا سياسة الترهيب والترغيب في الزيف والتحريف ولغاية عصرنا هذا ولكن السؤال الذي يتبادر الى اذهان الكثيرين ما هو دورنا اليوم وكيف يمكن أن نوجد أنموذجاً لمنهجية الاسلام الأصيل مطرزة بتطبيق حديث وهذا ما سيجري تناوله في هذا البحث.

أولاً / مشكلة الدراسة :

يمكن ايجاز مشكلة الدراسة أو البحث التي يحاول الباحث معالجتها ووضع حلول مناسبة لها من خلال النقاط الآتية :

- ١- انتشار حالات الفساد الإداري والمالية في المؤسسات العامة والتي امست ظواهر في المجتمع.
- ٢- ازدياد حالات الفقر والعوز في المجتمع وظهور الطبقة المجتمعية وزيادة الفجوة بين افراد المجتمع.
- ٣- ضياع وهدر في ميزانية الدولة.
- ٤- اهدار لكرامة المواطن واذلاله في الوقوف والانتظار طويلاً ؛ لغرض الحصول على خدمة معينة.
- ٥- التعصب في الرأي وعدم قبول الآخر بحجة الأفضلية والأحقية.
- ٦- اختيار مسؤولين غير كفؤين مما يعود سلباً على تقديم الخدمات.
- ٧- ضعف المنظومة الأمنية التي أوصلت البلد الى ما هو عليه اليوم.

ثانياً / هدف الدراسة :

يهدف الباحث من خلال دراسته الى التأكيد على أن منهجية الحكم الرشيد التي جاءت في العهد هي اصل قديم لمفهوم حديث يسمى اليوم بالحكم الرشيد في عصر ثورة المعلومات (الحكومة الألكترونية)، وكيف يمكن تطوير المنهجية الحديثة من خلال تناول محاور العهد، والذي من الممكن أن يؤسس لمنهجية الحكم الرشيد (الحكومة الألكترونية) وبشكل متكامل من الممكن الاستفادة منها واعتمادها لأيجاد حكماً رشيداً لإدارة شؤون الدولة كافة.

ثالثاً / أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في معالجتها لمواضيع مهمة وخطيراً جداً تمس أمن الوطن والمواطن سواء كان هذا الأمن (غذائي أو سياسية أو بيئي أو اقتصادي أو اصحي أو شخصي فضلاً عن الأمن الاجتماعي)، ووفق منظمة تحرص على تقديم الأفضل وتسعى للوصول الى رضا المستفيدين وفق منهجية الحكم الرشيد.

المبحث الثاني

عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)

أولاً / سند العهد :

هذا العهد رواه محمد بن الحسن الطوسي من أعلام القرن الخامس، فيذكر الشيخ الطوسي سنداً صحيحاً عند المشهور للعهد، وكذلك النجاشي الذي هو أحد رجالات العلم في الطائفة الإمامية أيضاً روى العهد بطريق آخر صحيح عند المشهور، ورواه الشريف الرضي أخو الشريف المرتضى في كتابهج البلاغة، ورواه أيضاً ابن أبي شعبة الحرّاني الذي كان يعيش في أواسط القرن الرابع المعاصر للشيخ الصدوق في كتابهتحف العقول، ورواهالقاضي النعمان، وهو من علماء الإمامية، وكان قاضياً أيام حكمالفاطميينفيمصر في القرن الرابع والخامس، رواه في كتابه دعائم الإسلام، إذن عهد مالك الأشتر له العديد من المصادر^(١).

ثانياً / نص العهد^(٢) :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبد الله عليّ أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها. أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعته، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه. وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله.

ثم اعلم يا مالك أي قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم. وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده. فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح. فاملك هواك، وشح بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الانصاف منها فيما أحببت أو كرهت.

وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم، ولا تكونن سبعا ضاريا تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك. وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم. ولا تنصب نفسك ل حرب الله فإنه لا يدي لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته.

ولا تندمن على عفوا، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة، ولا تقولن إني مؤمر أمر فأطاع فإن ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين، وتقرب من الغير.

وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانتك أبهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طمأحك، ويكف عنك من غربك، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك إياك ومساماة الله في عظمته والتشبهه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهللك ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده.

ومن خاصمه الله أدحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب. وليس شئ أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نعمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد.

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة. وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكراً عند الاعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملات الدهر، من أهل الخاصة. وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة، فليكن صغوك لهم وميلك معهم.^(٣)

وليكن أبعدر عيتك منك وأشنؤهم عندك أطلبهم لمعائب الناس، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها. فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك. فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من ريعتك. أطلق عن الناس عقدة كل حقد. واقطع عنك سبب كل وتر. وتغاب عن كل ما لا يضح لك، ولا تعجلن إلى تصديق ساع فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين. ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله.

إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام! فلا يكونن لك بطانة، فإنهم أعوان الأئمة وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفادهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على إثمه. أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً،

وأقل غيرك إلفاً، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك.

ثم ليكن أثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع، والصق بأهل الورع والصدق، ثم رُضُّهم على أن لا يطرؤك، ولا يَبْجَحُوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تُحدث الزهوة، وتدني من الغرّة. ولا يكون المحسن والمسئ عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه.

واعلم أنه ليس شئ بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيته، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده. ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية. ولا تحدثن سنة تضر بشئ من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنّها. والوزر عليك بما نقضت منها. (٤)

وأكثر مدارس العلماء ومنافثة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك. واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض. فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الانصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلا قد سمى الله سهمه، ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه، عهداً منه عندنا محفوظاً!

فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاية، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم. ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم. ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاهد، ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها. ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم.

ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم، وفي الله لكل سعة، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه. وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق، والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل. فوّل من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله وإمامك، وأنقاهم جيئاً، وأفضلهم حلماً، ممن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء. وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف. ثم الصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم، وشعب من العرف.

ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقم في نفسك شيء قويتهم به. ولا تحقرن لطفا تعاهدتهم به وإن قل فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك. ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها فإن ليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موضعاً لا يستغنون عنه. وليكن أثر رؤوس جنودك عندك من وإساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم، حتى يكون همهم همماً واحداً في جهاد العدو. فإن عطفك عليهم يعطف

قلوبهم عليك. (٥)

وإن أفضل قرة عين الولاية استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية. وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاية أمورهم، وقلة استئثار دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدتهم. فافسح في آمالهم، وواصل في حسن الشناء عليهم، وتعدد ما أبلى ذوو البلاء منهم. فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله. ثم أعرف لكل امرئ منهم ما أبلى، ولا تضيفن بلاء امرئ إلى غيره، ولا تقصرن به دون غاية بلائه، ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً.

واردد إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة.

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تحكه الخصوم، ولا يتهدى في الزلة، ولا يحصر من الفع إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرهم عند انضاح الحكم. ممن لا يزدنيه إطراء ولا يستميله إغراء. وأولئك قليل.

ثم أكثر تعاهد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك. فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يعمل فيه

بالهوى، وتُطلب به الدنيا!

ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنها جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً. ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك.

ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأموهم حدوداً لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية. وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة^(٦)

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله. وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شئ خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمالك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم، فربما حدث من

الأمر ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاية على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبير. (٧)

ثم انظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائلك وأسراك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق، ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاً، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك، وإصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطي منك. ولا يُضعف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل. ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك، فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاية بتصنعهم وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شئ. ولكن اخترهم بما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره. واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها، ولا يتشتت عليه كثيرها، ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته.

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً، المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلاها من المباعد والمطارح، في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك. اعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاية. فامنع من

الإحتكار فإن رسول الله، منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع. فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به، وعاقب في غير إسراف.

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، والمساكين والمحتاجين، وأهل البؤسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً. واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكلُّ قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعر خدك لهم، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فأعذر إلى الله في تأدية حقه إليه. وتعهد أهل اليتيم وذوي الرقة في السن، ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاية ثقيل والحق كله ثقيل. وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم.

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعده عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متنتع، فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في غير موطن: «لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متنتع». ثم احتمل الخرق منهم والعي، ونح عنك الضيق والأنف ييسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته. وأعط ما أعطيت هنيئاً، وامنع في إجمال وإعذار. (٨)

ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها: منها إجابة عمالك بما يعيى عنه كتابك. ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تخرج به صدور أعوانك. وأمض لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الأقسام، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية. وليكن في خاصة ما تخلص به الله دينك، إقامة فرائضه التي هي له خاصة. فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووفّ ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص، بالغاً من بدنك ما بلغ. وإذا أقمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ولا مضيعاً، فإن في الناس من به العلة وله الحاجة. وقد سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، حين وجهني إلى اليمن: كيف أصلي بهم؟ فقال: صل بهم كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيماً.

وأما بعد فلا تطولن احتجاجك عن رعيتك، فإن احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور. والاحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتجاجوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل. وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب، وإنما أنت أحد رجلين: إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق فقيم احتجاجك من واجب حق تعطية، أو فعل كريم تسديه؟ أو مبتلى بالمنع، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك، من شكاة مظلومة، أو طلب إنصاف في معاملة. ٢.

ثم إن للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتناول، وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال. ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس، في شرب أو عمل

مشترك يحملون مؤونته على غيرهم، فيكون مهناً ذلك لهم دونك، وعييه عليك في الدنيا والآخرة. وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإن مغبة ذلك محمودة.

وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرک، واعدل عنك ظنونهم بإصهارك، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك، ورفقاً برعيتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق. ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك والله فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك. ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن.^(٩)

وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شئ الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود. وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين، لما استوبلوا من عواقب الغدر! فلا تغدرن بذمتك، ولا تحيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي. وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحرماً يسكنون إلى منعه ويستفيضون إلى جواره. فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه.

ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته، وأن تحيط بك من الله فيه طلبه، فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك.

إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شئ أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أخرى بزوال نعمة وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها! والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله. ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأن فيه قود البدن. وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبة، فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم. وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين.

وإياك والمن على رعيتك بإحسانك، أو التزيد فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. وإياك والعجلة بالأمر قبل أوانها، أو التسقط فيها عند إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت. فضع كل أمر موضعه وأوقع كل عمل موقعه. وإياك والإستئثار بما الناس فيه أسوة، والتغابي عما يعنى به مما قد وضح للعيون، فإنه مأخوذ منك لغيرك. وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور ويتصف منك للمظلوم.

املك حمية أنفك، وسورة حدك، وسطوة يدك وغرب لسانك. واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار. ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك. والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة، أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا، أو فريضة في كتاب الله، فتقتدي بها شاهدهته مما عملنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسك عليك، لكيلا تكون لك علة عند تسرع

نفسك إلى هواها، فلن يعصم من السوء ولا يوفق للخير إلا الله تعالى. (١٠)

وقد كان فيما عهد النبي رسول له في وصايا « تحضيضاً على الصلاة والزكاة وما ملكت إيمانكم » فبذلك اختتم لك ما عهد، ولا قوة إلا بالله العظيم.

وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة، أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه، من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع حسن الثناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، وتمام النعمة وتضعيف الكرامة، وأن يختتم لي ولك بالسعادة والشهادة، وإنإ إليه راغبون. والسلام على رسول الله وآله الطيبين الطاهرين، وسلم تسليماً كثيراً (١١).

ثالثاً / دراسة العهد من قبل بعض الباحثين : (١٢)

تناول دراسة العهد العديد من الباحثين والمفكرين سواء الاسلاميين منهم أو غير الاسلاميين وقد صنّفوا في العهد الى أكثر من ثلاثين محوراً أساسياً تناوله العهد لتطبيق حكماً رشيداً جاءت به النظرية الاسلامية وكما يأتي :

١. السيرة الحسنة (الامر بالتقيد بالقانون وضبط النفس).
٢. العلاقة مع الرعية (العمل الصالح والرحمة بالناس والعفو).
٣. عدم التكبر (اطاعة القانون وعدم التكبر).
٤. العدل والانصاف (الحذر من ظلم العباد وسخط الناس).
٥. الوشاة (المخبر والواشي).
٦. الاستشارة (الحذر من اختيار المستشار البخيل والجبان).
٧. دور الوزراء وصفاتهم (عدم استخدام مسؤول سابق خائن لشعبه).
٨. الاحسان، السنة (الاحسان وحسن الظن).
٩. دور العلماء (مجالسة العلماء والخبراء).

١٠. العلاقة بين طبقات المجتمع (مراعاة المستضعفين من الناس).
١١. دور قادة الجيوش والعلاقة بهم (صفاء قادة الجيش ورعايتهم للجنود).
١٢. اختيار القضاة (استخدام الثقة الصادقين).
١٣. الشبهات (نهي المسؤول عن التسرع والاستئثار).
١٤. اختيار العمال والولاية (اختيار المحافظين، اختيار المديرين والقضاة).
١٥. خيانة العمال (مراقبة اعمال المحافظين والمسؤولين المقربين).
١٦. الخراج ومالية الدولة (توفير الخدمات للناس أولاً ثم الضرائب)
١٧. الكتاب وأصحاب الديوان (اختيار السكرتير والجهاز الاداري والمالي).
١٨. التجار والاحتكار (منع الاحتكار ومعاقبة المحتكر).
١٩. الاهتمام بالفقراء (رعاية ذوية الدخل المحدود من الناس).
٢٠. اصحاب الحاجات والمصالح (رعاية الايتام والمسنين).
٢١. واجبات الحاكم (لقاء المسؤول المباشر مع الناس وادابه).
٢٢. أداء الفرائض (امامة الناس في الصلاة وبساطتها).
٢٣. عدم الاحتجاج عن الناس (عدم اطالة الاحتجاج عن الناس).
٢٤. دور الحاشية (الحذر من الحاشية ومراقبتهم).
٢٥. العلاقة بالأعداء والعهود معهم (الحفاظ على العهد مع العدو).
٢٦. اخذ العبرة ممن سبقه في الحكم.
٢٧. اجابة المسؤولين في درجة اقل.
٢٨. جدولة العمل اليومي وبذل الجهد.
٢٩. الركون الى الصلح ومنع الحرب.
٣٠. حفظ حرمة دم المواطن.
٣١. النهي عن المنة واعجاب المسؤول بنفسه.

٣٢. التجارة والصناعة.

٣٣. رعاية وجهاء الناس.

٣٤. ادامة العمل الجيد السابق.

٣٥. الدعاء لنفسه وللمالك بالتوفيق وعاقبة الشهادة.

نلاحظ من خلال ما تقدم من هذا التصنيف الذي جاء به بعض الباحثين بأن العهد تناول مفاصل ادارة الدولة كافة ؛ لاعتمادها كمنهجية الحكم الرشيد في ادارة شؤون الدولة ولتطبيق النظرية الاسلامية الصحيحة، فلم يترك العهد شاردة ولا واردة الاً وتناولها بدأً من الحاكم وسيرته الخاصة ووعيه وارادته في اعتماد هذه المنهجية مروراً بعلاقته بعامة الناس (المواطنين) والعلاقة بين بعضهم البعض، والاهتمام ببعض الشرائح المهمة في المجتمع، وكيفية التواصل وبين المواطنين والحاكم، واختيار العاملين في ادارة الدولة، معزراً العهد بالاهتمام بالجانب الاقتصادي والقائمين عليه، فضلاً عن توظيف الموارد في عمارة الدولة، وكيفية حماية ارض الدولة من خلال الاختيار المناسب لقادة الجيش والجنود.

رابعاً / قالوا في العهد :

بعد ان اطلع العديد من الباحثين والمهتمين في الرسائل الحقوقية، وادارة شؤون المنظمات والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية، كانت لهم الكثير من الاقوال والتمجيد بوصف العهد وكما يأتي لبعض منهم :

- ميشيل هاملتون مورغان: جاء في كتاب *los history* الموجود حالياً في مكتبة الكونغرس الامريكي بواشنطن لمؤلفه الكاتب الامريكي المعاصر ميشيل هاملتون مورغان الذي يذكر فيه اعجابه الفائق بالسياسة الحكيمة لشخص خليفة المسلمين

علي بن ابي طالب بعد ان اطلع على رسائله التي حررها الى ولاته في الامصار الاسلامية ومنهم مالك الاشرم مؤكدا عليهم ان يعاملوا المواطنين من غير المسلمين بروح العدل والمساواة في الحقوق والواجبات. فالكاتب الاجنبي اعتبر ذلك انعكاسا صادقا لسلوكيات الخليفة الحميدة المؤطرة بفضائل الاخلاق التي اهلته للدخول في تاريخ الانسانية من ابوابه العريضة. (١٣) (١٤)

- المؤرخ المصري «توفيق أبو العلم»: كان علي بن ابي طالب شخصية خصبة، انه كان مظهرًا من مظاهر التكامل الانساني، بعد ان انتخبه المسلمون خليفة للمسلمين، بدأ بتطبيق برنامجه الاصلاحى في اشاعة العدل والمساواة بين ابناء الامة الاسلامية بصرف النظر عن دينهم ومذهبهم ولغتهم ولون بشرتهم واتجاهاتهم السياسية والاجتماعية. لقد امر الولاة ان يكونوا رحماء مع رعاياهم كما تجلى ذلك في رسالة الامام عام ٦٥٦ م الى والى مصر مالك الاشرم. (١٥) ٢

- الكاتب المسيحيّ جورج جرداققال : هل عرفت إماماً لدين يوصي ولاته بمثل هذا القول في الناس: «فإنهم إماماً أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، أعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه.

الفصل الثاني

المبحث الأول: الحكم الرشيد

المقدمة :

سنتناول في هذا المبحث الحكم الرشيد لغة واصلاح، ومعنى الحكم الرشيد في القرآن الكريم فضلاً عن الحكم الرشيد في عصر ثورة المعلومات والاتصالات، وما هي المنهجية التي تتبعها اليوم الدول التي تدعي بأنها تسعى لتطبيق الحكم الرشيد، وما توصل اليه اخر الباحثين في هذا المجال.

أولاً / معنى الحكم الرشيد لغة واصطلاح :

الحكم الرشيد من صفات الله (عز وجل) الحكم والحاكم. بمعنى هو القاضي يحكم الأشياء ويتقنها. وقيل حكيم ذو الحكمة أي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، وبمعنى قادر عليه. حكمت بمعنى منعت : قيل الحاكم بين الناس، لأنه يمنع الظالم عن الظلم. أصل الحكومة رد الرجل عن الظلم، والحكم : هو القضاء وجمعه أحكام، حكم : قضى، والحاكم منفذ الحكم». وحديثاً، الحكم هو ما تفعله الدولة، والحكم الرشيد هو ما يجب أن تفعله الدولة، ويعبر بعض الباحثين والكتاب عن الحكم الرشيد بـ (الحاكمية، الحكم الراشد، الحكم السليم، والحكم الصالح) والتي لها نفس المضمون (١٦) (١٧)

ثانياً / الحكم الرشيد في القرآن الكريم: (١٨)

ان الله (سبحانه وتعالى) أوهب الحكم لبعض الصالحين من عباده وعلى رأسهم الانبياء، ونلاحظ ان الله (عز وجل) يذكر كذلك هبته لهم العلم النافع والرشيد لحكمهم وتحكم الآيات برشد حكمهم كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ - النمل (١٥)، وقوله تعالى: ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ - البقرة (٢٥١)، وقوله تعالى عن ال ابراهيم: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ - النساء (٥٤)، وكذلك في الحديث عن نبي الله يوسف (عليه السلام) قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ - يوسف (١٠١)، وقوله تعالى عن ذي القرنين ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ - الكهف (٨٣-٨٤)، بل ان الله سبحانه وتعالى أوضح انه سبحانه ارسل الرسل ومعهم الكتب اي المنهج الرشيد ليقوم الناس بالقسط فلا عدل، ولا سعادة ولا رشد بدون اتباع سبل الانبياء كما في قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحديد(٢٥).

ثالثاً / الحكم الرشيد في عصر ثورة المعلومات :

هو المستقبل الذي تسعى إليه البلدان جاهدة نحو تشكيل حكومة خالية من الفساد أو هو الاستخدام التكنولوجي الذي يساعد في ادارة الحكم وصولاً الى رضا المستفيد، بينما يعرف برنامج الامم المتحدة الانهائي (UNDP) « فهو ممارسة السلطة الاقتصادية والسياسية والادارية ؛ لإدارة شؤون الدولة على المستويات كافة، ويشمل الاليات والعمليات، والمؤسسات التي من خلالها يعبر المواطنون والمجموعات عن مصالحهم، ويمارسون حقوقهم القانونية ويوفون بالتزاماتهم ويقبلون الوساطة لحل خلافاتهم^(١٩)، وفي اعتقادي ان الحكم الرشيد «عبارة عن منهجية تستخدم في ادارة شؤون الدولة حاكماً ومحكومين وتسعى للوصول الى رضا المستفيدين من خلال الاعتماد على مجموعة من العناصر (الشفافية، المشاركة، العدالة والمساواة، الموثوقية، الفاعلية، المساءلة، الاتقان الاداري، الخدمة التنظيمية، التكاملة، التنبوء) معززة بالمكونات الرئيسة لمنظومة التنمية الموسعة، وقد يتنوع تطبيق هذه المنهجية من فترة الى اخرى وحسب التطورات التي تحدث»^(٢٠).

رابعاً / مكونات الحكم الرشيد في عصر ثورة المعلومات :

يتألف مخطط الحكم الرشيد من عناصر ومستويات ومتطلبات أمنية وكما موضح في الاشكال رقم (١، ٢، ٣).^(٢١)

(٢٢)

عناصر الحكم الرشيد الحوكمة الالكترونية

- الشفافية
- المشاركة
- الموثوقية
- العدالة والمساواة
- الفاعلية
- المساءلة
- الاتقان الاداري
- الخدمة التنظيمية
- التكاملية
- التنبؤ

الشكل رقم (١) يوضح عناصر الحكم الرشيد (الحوكمة الالكترونية E-Governance)

مستويات الحكم الرشيد الحوكمة الالكترونية

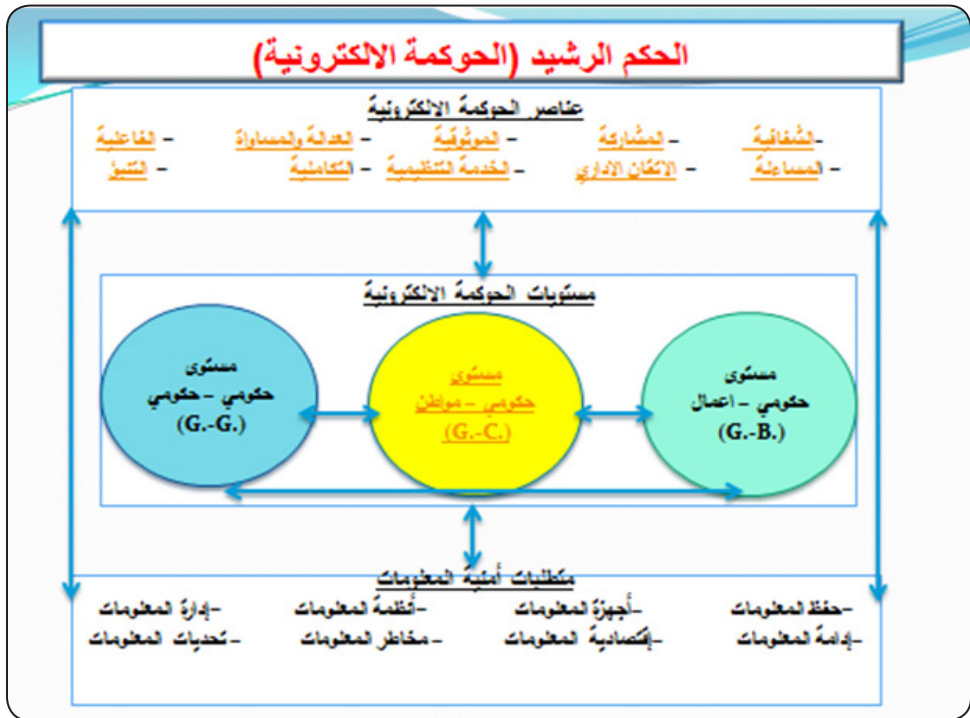


الشكل رقم (٢) يوضح مستويات الحكم الرشيد (الحوكمة الالكترونية E-Governance)

المتطلبات الأمنية المعلومات

- حفظ المعلومات
- إدارة المعلومات
- مخاطر المعلومات
- أجهزة المعلومات
- إدامة المعلومات
- تحديات المعلومات
- أنظمة المعلومات
- إقتصادية المعلومات

الشكل رقم (٣) يوضح المتطلبات الامنية للحكم الرشيد (الحكومة الالكترونية E-Governance)



الشكل رقم (٤) يوضح الهيكل الشامل لمنهجية الحكم الرشيد أو الحكومة الالكترونية

يظهر من خلال الشكل رقم (٤) الهيكل الشامل لمنهجية الحكم الرشيد التي تتألف من عشرة عناصر وثلاث مستويات وثمانية متطلبات أمنية مرتبطات مع بعضها البعض لتكون هيكلاً معايير أساسية لإدارة الدولة وفيما يأتي تفاصيل لكل عنصر من هذه العناصر والمتطلبات الأمنية فضلاً عن المستويات، حيث إن لكل عنصر من العناصر أو مطلباً أمنياً له معايير وشروط يجب أن تتبعها الدولة لإيجاد البيئة الداعمة لمفهوم الحكم الرشيد.

المبحث الثاني

منهجية الحكم الرشيد (الحكومة الإلكترونية)

تتألف منهجية الحكم الرشيد (الحكومة الإلكترونية) من عشرة عناصر وثلاثة مستويات وثمانية متطلبات أمنية والتي سيجري تناولها وبيان كل منها في الأشكال الآتية: (٢٣)

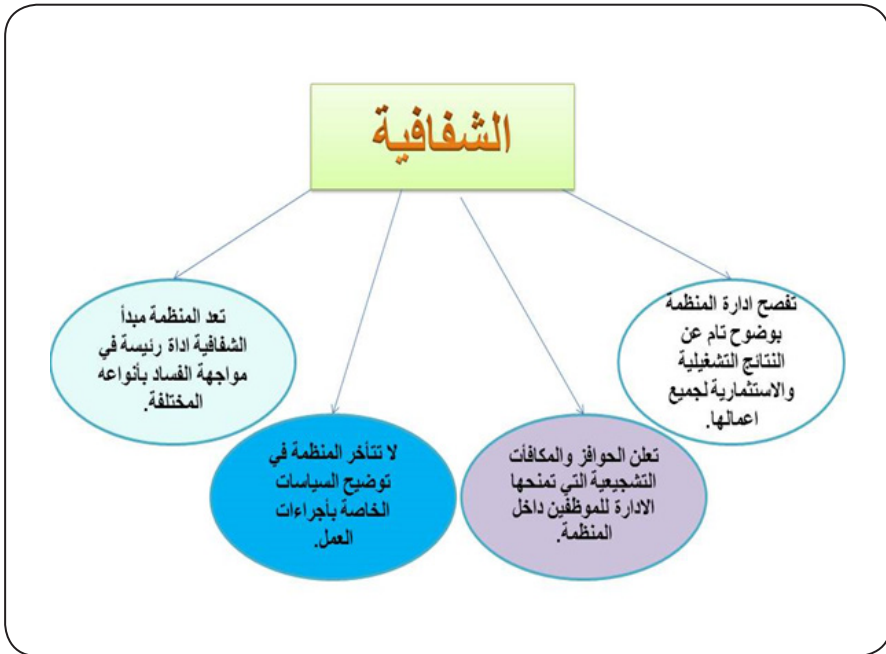
١- عناصر الحكم الرشيد (الحكومة الإلكترونية) (E-Governance) (٢٤)

تتألف عناصر الحكم الرشيد أو الحكومة (Governance) من عشرة عناصر وهي كما موضحة في الأشكال الآتية في أدناه :

- عنصر الشفافية وماذا تعني :

يمكن ان نبين معنى الشفافية وكيفية اعتمادها من قبل المؤسسات من خلال الشكل

رقم (٥)



الشكل رقم (٥) يوضح المحاور الرئيسة لأعداد عنصر الشفافية في منهجية الحكم الرشيد

- عنصر المشاركة وماذا تعني :

يمكن ان نبين معنى المشاركة وكيفية اعتمادها من قبل المؤسسات من خلال الشكل

رقم (٦) (٢٥)



الشكل رقم (٦) يوضح المحاور الرئيسة لأعتماد عنصر المشاركة في منهجية الحكم الرشيد

- عنصر الموثوقية وماذا تعني :

يمكن ان نبين معنى الموثوقية وكيفية اعتمادها من قبل المؤسسات من خلال الشكل

رقم (٧). (٢٦)



الشكل رقم (٧) يوضح المحاور الرئيسة لأعتداع عنصر الموثوقية في منهجية الحكم الرشيد

- عنصر العدالة والمساواة وماذا تعني :

يمكن ان نبين معنى العدالة والمساواة وكيفية اعتمادها من قبل المؤسسات من خلال الشكل رقم (٨). (٢٧)



الشكل رقم (٨) يوضح المحاور الرئيسية لأعتماد عنصر العدالة والمساواة في منهجية الحكم الرشيد

- عنصر الفاعلية وماذا تعني :

يمكن ان نبين معنى الفاعلية وكيفية اعتمادها من قبل المؤسسات من خلال الشكل

رقم (٩). (٢٨)



الشكل رقم (٩) يوضح المحاور الرئيسة لأعتداع عنصر الفاعلية في منهجية الحكم الرشيد

- عنصر المساءلة وماذا تعني :

يمكن ان نبين معنى المساءلة وكيفية اعتمادها من قبل المؤسسات من خلال الشكل

رقم (١٠). (٢٩)



الشكل رقم (١٠) يوضح المحاور الرئيسة لأعتداد عنصر المساءلة في منهجية الحكم الرشيد

- عنصر الأتقان الاداري وماذا تعني :

يمكن ان نبين معنى الأتقان الاداري وكيفية اعتمادها من قبل المؤسسات من خلال

الشكل رقم (١١). (٣٠)



الشكل رقم (١١) يوضح المحاور الرئيسة لأعتماد عنصر الاتقان الاداري في منهجية الحكم الرشيد

- عنصر الخدمة التنظيمية وماذا تعني :

يمكن ان نبين معنى الخدمة التنظيمية وكيفية اعتمادها من قبل المؤسسات من خلال

الشكل رقم (١٢). (٣١)



الشكل رقم (١٢) يوضح المحاور الرئيسة لأعتقاد عنصر الخدمة التنظيمية في منهجية الحكم الرشيد

- عنصر التكاملية وماذا تعني :

يمكن ان نبين معنى التكاملية وكيفية اعتمادها من قبل المؤسسات من خلال الشكل

رقم (١٣). (٣٢)



الشكل رقم (١٣) يوضح المحاور الرئيسة لأعتياد عنصر التكاملية في منهجية الحكم الرشيد

- عنصر التنبؤ وماذا يعني :

يمكن ان نبين معنى التنبؤ من الاطلاع على التجربة المصرية الخاصة باستمارة الحصر

الحيازي وكما يأتي : (٣٣)

التنبؤ والحيازة الالكترونية مثلاً

- أعلنت جمهورية مصر العربية انه خلال عام ٢٠١٦ سيجري اطلاق استمارة الحصر الحيازي في القطاع الزراعي ومن خلال هذه الاستمارة سيتم حصر مالكي قطع الاراضي الزراعي فضلاً عن مستأجريها .
- سيتم ربط استمارة الحصر الحيازي بالرقم القومي للشخص المعني .
- فوائدها (التنبؤ باستهلاك المياه ونوع ومساحة المحاصيل الزراعية وتحسين سياسة تسعيرها والحد من التعديلات على الاراضي الزراعية الخصبة والخيارات الوهمية) .
- ان تطبيق الحيازة الالكترونية سيشمل مساحة تقدر بـ (٩) ملايين فدان يستفيد منها (٦) ملايين مزارع .
- ان هذا التطبيق يمكن من (توفير الرؤية لمتخذي القرار في رسم الاستراتيجيات والسياسات الزراعية والسماوية على المستوى القومي واتخاذ القرارات المناسبة)

وهكذا يمكننا ان نتنبأ بكميات المياه التي تحتاجها فضلاً عن نوع المحاصيل التي

ستزرع في اي مكان وحسب جاهزية الارض واحتياجات المواطنين بالإضافة الى

الاماكن التي ستسوق لها .

٢- مستويات الحكم الرشيد (الحكومة الالكترونية (E-Governance):

تتألف من ثلاثة مستويات : (٣٤) (٣٥)

أ- المستوى (حكومي - حكومي) ومختصره (G-G) وهو المستوى المتعلق ما بين الوزارات والمؤسسات الحكومية وكيفية التنسيق ما بينها من حيث الوثائق والمعلومات وطرح نفسها كوحدة واحدة.

ب- المستوى (حكومي - مواطن) ومختصره (C-G) وهذا المستوى متعلق بالعلاقة ما بين المواطن والحكومة من ناحية تقديم الخدمات للمواطنين بطريقة سهلة وذات جودة عالية وبها يحفظ كرامة وحقوق المواطنين وتكون وتكون من خلال الموقع الرسمي أو ما يسمى بوابة الحكومة الالكترونية.

ت- المستوى (حكومي - اعمال) ومختصره (G-B) ويختص هذا المستوى بالجانب المتعلق بالعقود والمناقصات فضلاً عن التسجيل والتعاملات مع الشركات سواء كانت شركات محلية أو دولية فضلاً عن التسهيلات التي تخص جانب الاستثمار.

وكما موضح في الشكل رقم (٢).

٣- المتطلبات الأمنية للحكم الرشيد (الحكومة الالكترونية E-Governance):

تتألف المتطلبات الأمنية للحكم الرشيد أو الحوكمة (Governance) من ثمان متطلبات وهي كما موضحة في الاشكال (٣).

أ- حفظ المعلومات : ويمكن بيان معنى حفظ المعلومات من الشكل رقم (١٤) (٣٦)



الشكل رقم (١٤) يوضح المحاور الرئيسة لأعتقاد أمن حفظ المعلومات في منهجية الحكم الرشيد

ب. اجهزة المعلومات : ويمكن بيان معنى اجهزة المعلومات من الشكل رقم (١٥) (٣٧)

(٣٨)



الشكل رقم (١٥) يوضح المحاور الرئيسة لأعتقاد أمن أجهزة المعلومات في منهجية الحكم الرشيد

ت. أنظمة المعلومات : ويمكن بيان معنى أنظمة المعلومات من الشكل رقم (١٦) (٣٩)
(٤٠)



الشكل رقم (١٦) يوضح المحاور الرئيسة لأعتقاد أمن أنظمة المعلومات في منهجية الحكم الرشيد

ث. ادارة حفظ المعلومات : ويمكن بيان معنى ادارة المعلومات من الشكل رقم (١٧)

(٤٢) (٤١)



الشكل رقم (١٧) يوضح المحاور الرئيسة لأعتقاد أمن ادارة المعلومات في منهجية الحكم الرشيد

ج. ادامة المعلومات : ويمكن بيان معنى حفظ المعلومات من الشكل رقم (١٨) (٤٣)

(٤٤)



الشكل رقم (١٨) يوضح المحاور الرئيسة لأعتقاد أمن أدامة المعلومات في منهجية الحكم الرشيد

ح. اقتصادية المعلومات : ويمكن بيان معنى اقتصادية المعلومات من الشكل رقم (١٩)

(٤٥) (٤٦)



الشكل رقم (١٩) يوضح المحاور الرئيسة لأمن اقتصادية المعلومات في منهجية الحكم الرشيد

خ. مخاطر المعلومات : ويمكن بيان معنى مخاطر المعلومات من الشكل رقم (٢٠) (٤٧)

(٤٨)



الشكل رقم (٢٠) يوضح المحاور الرئيسة لأعتقاد أمن مخاطر المعلومات في منهجية الحكم الرشيد

د. تحديات المعلومات : ويمكن بيان معنى تحديات المعلومات من الشكل رقم (٢١)

(٤٩) (٥٠)



الشكل رقم (٢١) يوضح المحاور الرئيسة لأمن تحديات المعلومات في منهجية الحكم الرشيد

الفصل الثالث

المبحث الأول

عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) ومحاكاته لعصر ثورة المعلومات

المقدمة :

بعد ان بينا في المبحث الثاني من الفصل الثاني معنى الحكم الرشيد، والتعريف الخاص بالامم المتحدة والذي مضمونه «ممارسة السلطة الاقتصادية والسياسية والادارية؛ لإدارة شؤون الدولة على المستويات كافة، ويشمل الاليات والعمليات، والمؤسسات التي من خلالها يعبر المواطنون والمجموعات عن مصالحهم، ويمارسون حقوقهم القانونية ويوفون بالتزاماتهم ويقبلون الوساطة لحل خلافاتهم»^(٥١)، منظمة الأمم المتحدة والتي لا يخفى بأنها تشكلت بعد الحرب العالمية الثانية، فضلاً عن ان هذه المبتنيات التي تعتمد عليها اليوم لقياس ترتيب الدول في ممارسة تطبيق منهجية الحكم الرشيد من خلال تقاريرها التي تقوم بأعدادها ونشرها كل عامين، فقد شرعت بها بعد الألفية الثانية الميلادية، في حين نجد أن الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) قد تناول هذه المنهجية كلها في اجزاء من العهد وبتفصيلاً أكثر دقة ومحاكاة لواقع ادارة الدولة، ومما تقدم في العرض سنجري عملية محاكاة ما بين منهجية الحكم الرشيد بمفهوم اليوم (الحكومة الالكترونية) وعهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) نبيّن كيف

ان العهد قبل اكثر من الف واربعمائة عام كان اكثر شمولية في مفهوم ادارة الدولة وفق منهجية الحكم الرشيد.

أولاً / توظيف العهد والأمم المتحدة :

اعتمدت الرسالة في الأمم المتحدة ؛ كونها من أوائل الرسائل الحقوقية، والتي تحدد الحقوق الواجبات بين الدولة والشعب ؛ هذا العهد وصل إلى أذن الأمين العام للأمم المتحدة عبر زوجته السويدية [٥]، وقد قال الأمين العام للأمم المتحدة « إنَّ هذه العبارة من العهد يجب أن تعلق على كلِّ المؤسسات الحقوقية في العالم»، والعبارة هي : «وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننَّ عليهم سبُعاً ضارياً تغتمم أكلهم، فإنهم صنفان: إمَّا أُخِّ لك في الدين، وإمَّا نظير لك في الخلق» [٦]، وهذه العبارة جعلت كوفي عنان ينادي بأن تدرس الأجهزة الحقوقية والقانونية عهد الإمام مالك الأشتر، وترشيحه لكي يكون أحد مصادر التشريع للقانون الدولي، وبعد مداوات استمرَّت لمدة سنتين في الأمم المتحدة صوتت غالبية دول العالم على كون عهد علي بن أبي طالب لمالك الأشتر كأحد مصادر التشريع للقانون الدولي [٧]، وقد تمَّ بعد ذلك إضافة فقرات أخرى من نهج البلاغة غير عهد علي بن أبي طالب لمالك الأشتر كمصادر للقانون الدولي.

ثانياً / المحاور الرئيسية والفرعية للعهد والسعي لأقامة للحكم الرشيد :

يتألف العهد من اربعة محاور رئيسة لايجاد الحكم الرشيد وهي :

١. استصلاح أهلها.

٢. جباية خراجها.

٣. عمارة بلادها.

٤. جهاد عدوها.

أما المحاور الفرعية فقد تناول العديد من الباحثين والكتّاب وأشاروا الى ما يزيد عن الثلاثين محور فرعي يفترض على الحاكم ان يراعيها من اجل ايجاد بيئة مؤاتية لتطبيق الحكم الرشيد وهذه المحاور هي :

١- السيرة الحسنة (الامر بالتقيد بالقانون وضبط النفس).

٢- العلاقة مع الرعية (العمل الصالح والرحمة بالناس والعفو).

٣- عدم التكبر (اطاعة القانون وعدم التكبر).

٤- العدل والانصاف (الحذر من ظلم العباد و سخط الناس).

٥- الوشاة (المخبر والواشي).

٦- الاستشارة (الحذر من اختيار المستشار البخيل والجبان).

٧- دور الوزراء وصفاتهم (عدم استخدام مسؤول سابق خائن لشعبه).

٨- الاحسان، السنة (الاحسان وحسن الظن).

٩- دور العلماء (مجالسة العلماء والخبراء).

١٠- العلاقة بين طبقات المجتمع (مراعاة المستضعفين من الناس).

- ١١- دور قادة الجيوش والعلاقة بهم (صفة قادة الجيش ورعايتهم للجنود).
- ١٢- اختيار القضاة (استخدام الثقة الصادقين).
- ١٣- الشبهات (نهي المسؤول عن التسرع والاستثثار).
- ١٤- اختيار العمال والولاية (اختيار المحافظين، اختيار المديرين والقضاة).
- ١٥- خيانة العمال (مراقبة اعمال المحافظين والمسؤولين المقربين).
- ١٦- الخراج ومالية الدولة (توفير الخدمات للناس أولاً ثم الضرائب)
- ١٧- الكتاب وأصحاب الديوان (اختيار السكرتير والجهاز الاداري والمالي).
- ١٨- التجار والاحتكار (منع الاحتكار ومعاقبة المحتكر).
- ١٩- الاهتمام بالفقراء (رعاية ذوية الدخل المحدود من الناس).
- ٢٠- اصحاب الحاجات والمصالح (رعاية الايتام والمسنين).
- ٢١- واجبات الحاكم (لقاء المسؤول المباشر مع الناس وادابه).
- ٢٢- أداء الفرائض (امامة الناس في الصلاة وبساطتها).
- ٢٣- عدم الاحتجاج عن الناس (عدم اطالة الاحتجاج عن الناس).
- ٢٤- دور الحاشية (الحذر من الحاشية ومراقبتهم).
- ٢٥- العلاقة بالأعداء والعهود معهم (الحفاظ على العهد مع العدو).
- ٢٦- اخذ العبرة ممن سبقه في الحكم.
- ٢٧- اجابة المسؤولين في درجة اقل.
- ٢٨- جدولة العمل اليومي وبذل الجهد.
- ٢٩- الركون الى الصلح ومنع الحرب.
- ٣٠- حفظ حرمة دم المواطن.
- ٣١- النهي عن المنة واعجاب المسؤول بنفسه.
- ٣٢- التجارة والصناعة.

٣٣- رعاية وجهاء الناس .

٣٤- ادامة العمل الجيد السابق .

٣٥- الدعاء لنفسه ومالك بالتوفيق وعاقبة الشهادة .

يتبين لنا ومن خلال اطلاعنا على المحاور الرئيسة والفرعية ان العهد قد أسس منهجية لأدارة شؤون الدولة ووفق معايير حقوق الانسان وجعل السمات الانسانية الرفيعة هي المعيار الاساس في كل شأن تتناوله الدولة ؛ ليعزز مفهوم ومنهجية الحكم الرشيد في ايجاد الدولة العادلة .

ثالثاً / العهد ومحاكاته منهجية الحكم الرشيد في عصر ثورة المعلومات :

يتألف العهد من اربعة محاور رئيسة، وكما ان منهجية الحكم الرشيد (E-Gover-nance) تتألف من ثلاثة محاور رئيسة، ولما فيها من تشابه كبير بين أصل قديم ومفهوم حديث، يمكن محاكاتها من خلال الآتي :

١) المحاور الرئيسة للعهد :

بيننا سلفاً أن العهد حدد اربعة محاور رئيسية في منهجية ادارة الدولة، وهي

(أ. استصلاح أهلها، ب. جباية خراجها، ت. عمارة بلادها، ث. جهاد عدوها).

٢) منهجية الحكم الرشيد (E-Governance) في عصر ثورة المعلومات :

وضحنا في الفصل الثاني ان منهجية الحكم الرشيد (الحوكمة الألكترونية) تتألف من

(أ. عناصر الحكم الرشيد، ب. مستويات الحكم الرشيد، ت. المتطلبات الامنية للحكم

الرشيد).

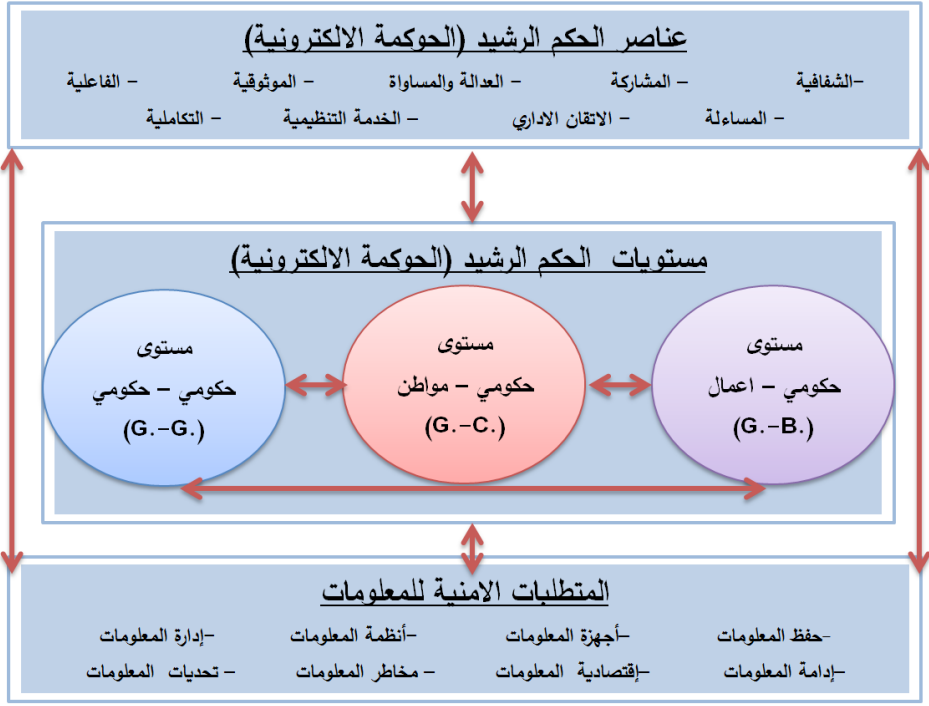
وإذا اردنا عمل محاكاة ما بين المحاور الرئيسة للعهد ومنهجية الحكم الرشيد في عصر ثورة المعلومات فنلاحظ الآتي :

- محور (استصلاح اهلها) في العهد يحاكي عناصر الحكم الرشيد والمستوى (حكومي - حكومي) لمنهجية الحكم الرشيد (E-Governance) في عصر ثورة المعلومات.
- محوري (جباية خراجها، و عمارة بلادها) في العهد يحاكي مستويات الحكم الرشيد (E-Governance) في عصر ثورة المعلومات، وهي ثلاثة مستويات (حكومي - حكومي) (G-G)، و (حكومي - مواطن) (G-C)، و (حكومي - اعمال) (G-B).
- محور (جهاد عدوها) في العهد يحاكي المتطلبات الأمنية للحكم الرشيد (E-Governance) في عصر ثورة المعلومات.

وكما موضح في الشكل رقم (٢٣)

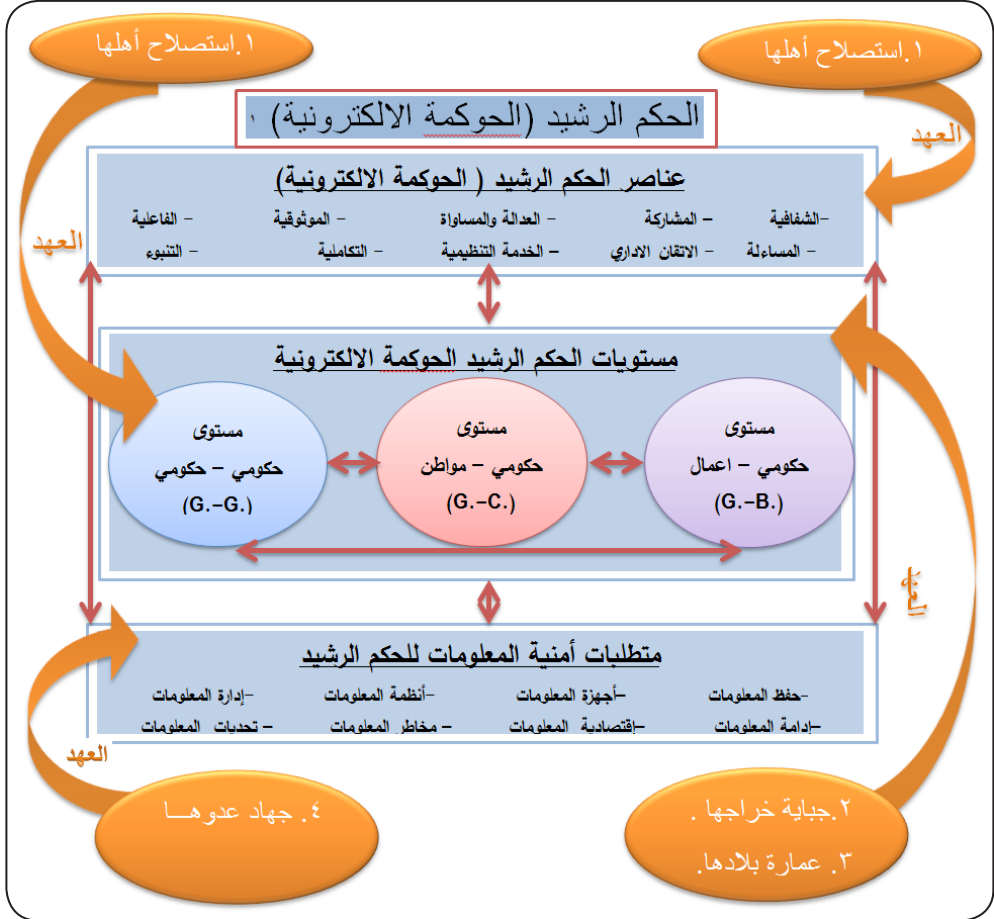
مخطط لمنهجية الحكم الرشيد (الحكومة الالكترونية) في عصر ثورة المعلومات (٥٢)

الحكم الرشيد (الحكومة الالكترونية)



الشكل رقم (٢٢) مخطط لمنهجية الحكم الرشيد (الحكومة الالكترونية) في عصر ثورة المعلومات

ادناه مخطط يوضح محاكاة المحاور الرئيسة للعهد مع منهجية الحكم الرشيد في عصر ثورة المعلومات. (٥٣)



الشكل رقم (٢٣) يوضح محاكاة المحاور الرئيسة للعهد مع مخطط منهجية الحكم الرشيد (الحكومة الالكترونية) (٥٤)

المبحث الثاني

المحاور الفرعية للعهد

أولاً / المحاور الفرعية للعهد والتنمية المستدامة :

تناولنا سلفاً بأن المحاور الفرعية للعهد قد زادت عن الثلاثين محور كما يرى الكثير من الباحثين، وفي اعتقادي أن الكثير من هذه المحاور قد تكون في محتوى تطبيق منهجية الحكم الرشيد (الحكومة الالكترونية)، ولكي نحكي المحاور الفرعية للعهد مع عصر ثورة المعلومات نعتقد بأن هذه المحاور ولعل الكثير منها على وجه الخصوص يكون ضمن منظمة التنمية المستدامة والتي تشمل :

(أ) الأمن الغذائي.

(ب) الأمن السياسي.

(ت) الأمن البيئي.

(ث) الأمن الاقتصادي.

(ج) الأمن الصحي.

(ح) الأمن الشخص.

(خ) الأمن الاجتماعي.

ولعل الشكل رقم (٢٤) يوضح ذلك : (٥٥)



الشكل رقم (٢٤) يوضح منظومة التنمية المستدامة

أن مفهوم التنمية الموسع ينظر إليه «كعملية لتوسيع حريات البشر»، حيث ينصب الاهتمام على توسيع «قدرة» الناس ليحيوا حياة يثمنونها، أو يرغبون في تحقيقها، حيث يلعب مفهوم «القدرة» دوراً محورياً في التحليل كبديل لمفهوم الدخل في تعريف رفاه الناس وفيما يسعون إلى تحقيقه وفي تقييم الأداء التنموي عموماً.

وبذلك تم التركيز على خمسة جوانب اعتبرت ذات علاقة بعدد من قضايا السياسات التنموية التي تتطلب اهتماماً خاصاً، وتتميز هذه الجوانب بأن كلا منها يساهم في توسيع قدرة الفرد للعيش بحرية، وهي «الحريات السياسية، والتسهيلات الاقتصادية، والفرص

الاجتماعية، وضمانات الشفافية، والأمن الوقائي».

- الحريات السياسية

تعنى الحريات السياسية بمعناها العريض، بما في ذلك الحقوق المدنية، بالفرص المتاحة للناس ليقرروا من سيحكمهم وعلى أي مبادئ، وليراقبوا ويتقدوا ويحاسبوا السلطات، وليعبروا عن آرائهم من خلال صحافة حرة، وليقرروا الانضمام لمختلف الأحزاب السياسية. وتشتمل الحريات السياسية على الاستحقاقات المتوفرة في النظم الديموقراطية بمعناها الواسع بما في ذلك فرص السجل السياسي والمعارضة والنقد وحرية المشاركة السياسية.

- التسهيلات الاقتصادية

تهتم التسهيلات الاقتصادية بالفرص المتاحة للأفراد لاستغلال الموارد الاقتصادية لأغراض الاستهلاك والإنتاج والتبادل. وتعتمد الاستحقاقات الاقتصادية للفرد على ما يملكه من موارد أو ما هو متاح منها لاستخدامه وعلى ظروف التبادل مثل الأسعار النسبية وعمل الأسواق. وللمدى الذي يترتب فيه على عملية التنمية زيادة ثروات الأمم، تنعكس هذه الزيادة في تعزيز مقابل للاستحقاقات الاقتصادية للسكان.

- الفرص الاجتماعية :

تتعلق الفرص الاجتماعية بالترتيبات الاجتماعية في المجالات التي تؤثر في الحريات الحقيقية المتاحة للأفراد ليعيشوا حياة طيبة، كالترتيبات المتعلقة بالتعليم والصحة. ولا تقتصر أهمية مثل هذه الخدمات للحياة الخاصة للأفراد فحسب وإنما تمتد لتؤثر على تفعيل مشاركتهم في النشاطات الاقتصادية والسياسية.

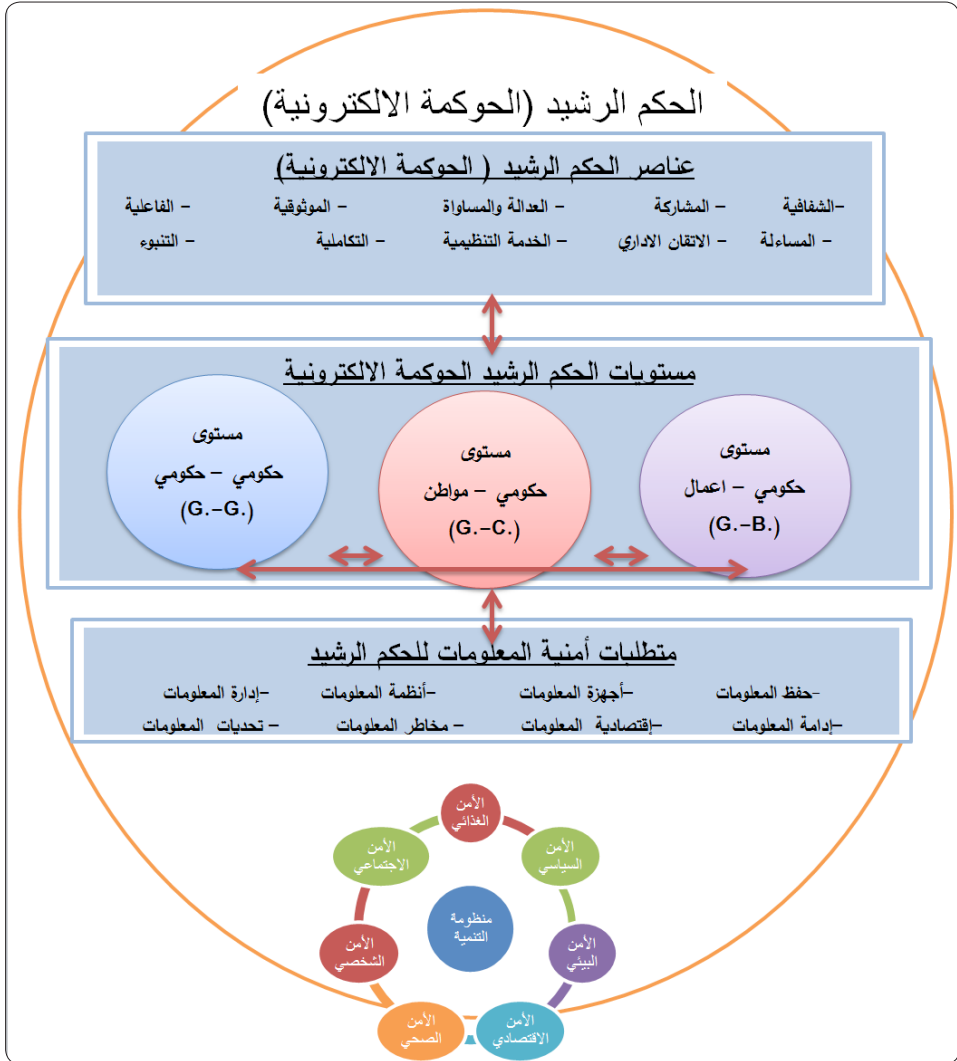
نلاحظ ومن خلال بيان معنى التنمية الموسعة أن مفهوم التنمية بشكل عام قد استند الى المحاور الفرعية للعهد في اعتماد تطبيق منظومة التنمية، ويظهر جلياً في الأبواب السبعة التي تناولتها التنمية من أمن (غذائي، وسياسي وصحي، وبيئي، واقتصادي، وشخصي، واجتماعي) وفي الواقع ان العهد قد خاض في تفاصيل اكثر شمولية ودقة من حيث مراعاة حتى الاحاسيس والمشاعر لعامة الناس (المواطنين) ومراعاتهم، فضلاً عن وضع منظومة اخلاقية وفكرية ومعرفية ؛ لأختيار الأشخاص الذين يعملون في الخدمة العامة بدءاً من الوزراء والقضاة والمستشارين، والمحافظين... الخ، وحتى كيف يمكن متابعتهم، والتواصل مع عامة الناس (المواطنين)، وبما يضمن حفظ كرامتهم دون تمييز باللون أو العرق أو الطائفة أو الدين، وجعل السمات الانسانية هي المعيار الأساس في ادارة شؤون الدولة.

ثانياً / قراءة العهد في ظل الحكم الرشيد (الحوكمة الإلكترونية) :

تناولنا فيما تقدم العهد وقراءة بعض الباحثين والكتاب له، وما اشاروا به من مميزات قد استفاد منها ووظفها أناس لا يدينون بالديانة الإسلامية، وجعلوا من العهد منهجاً لأدارة شؤون بلادهم، وطرحوا هذا المنهج بأسلوب معاصر يعتمدون فيه على ما توصلوا اليه من تكنولوجيا، ويسوقوه الينا على أنه منهج التطور والادارة السليمة من خلال استثمار الوقت والطاقة والعمل وفق حقوق الإنسان ليطرحوا مفهوم لمنهجية الحكم الرشيد التي تناولها أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) وطبقها في الكوفة ايام خلافته (٣٦هـ - ٤٠هـ)، وفصلها وأوصى بها لملك الأشتر (رضي الله عنه) عام (٣٧هـ)، لذا فإن هذا البحث المتواضع ارد به الباحث أن يوضح استناد منهجية الحكم الرشيد (الحوكمة الإلكترونية) الى منهج الحكم الرشيد في العهد، وكيف تمكّن الباحث من خلال قراءة العهد ومحاكاته مع منهجية الحوكمة الإلكترونية من ان

يطوّر هذه المنهجية ووفق ما توصل اليه العلم لأعتقاد منهجية الحكم الرشيد (الحكومة الألكترونية) وبشكل اكثر دقة وواقعية لأعتقادها وتطبيقها في ادارة مؤسسات الدولة كافة، ويمكن بيان ذلك من خلال الشكل رقم (٢٥) حيث نؤكد على ضرورة مراعاة تطبيق منظومة التنمية المستدامة في كل محور من محاور منهجية الحكم الرشيد في عصر ثورة المعلومات (الحكومة الألكترونية).

(٥٦)



الشكل رقم (٢٥) يوضح منهجية الحكم الرشيد (الحكومة الالكترونية) المعززة بالتنمية المستدامة

الفصل الرابع

المبحث الأول

الأستنتاجات

توصل الباحث الى مجموعة من الاستنتاجات التي يمكن ايجاز ابرزها
كما يأتي :

- ١- أن منهجية الحكم الرشيد التي جاء بها الدين الإسلامي، قد ظهرت وتجلت في عهد الأمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه).
- ٢- أن منح أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) العهد لمالك الأشتر (رضي الله عنه) يدل على أن الأمير (عليه السلام) كان على يقين من وعي وارادة مالك الأشتر في تطبيق العهد، وهذا ما يفسر تسأل البعض عن سبب اختيار مالك الأشتر (رضي الله عنه) عمّن سواه.
- ٣- أن اعتماد منهجية الحكم الرشيد في عصر ثورة المعلومات ؛ لأدارة شؤون البلاد يتطلب بالدرجة الأساس وجود وعياً وأرادةً سياسية لأعتماده وتطبيقه.
- ٤- أن العهد قد تضمن أربعة محاور رئيسة لأعتماد منهجية الحكم الرشيد وهي تتطابق مع منهجية الحكم الرشيد في عصر ثورة المعلومات (الحوكمة الألكترونية).
- ٥- أن المنظمات الدولية قد وظفت واستثمرت العهد الى حد اعتبرته نبراساً تحتذي

بحدوه، وتستنير به، لتأسس منهجية الحكم الرشيد.

٦- أن هذه المنهجية لم تطبق ولم ترى النور إلا في فترة حكم الإمام علي (عليه السلام) (٣٦ هـ - ٣٧ هـ).

٧- أن ما يسمى اليوم بالأنظمة الديمقراطية المتطورة في البلدان الغربية قد طبقت واعتمدت على مفاهيم قد تضمنها العهد لتصبح كما نرى اليوم هي محطات لأمنيات الشباب للعيش فيها والتنعم بأنظمتها.

٨- أن فقرات العهد كانت أكثر شمولية ودقة وتفصيلاً مما وصلت إليه منهجية الحكم الرشيد في عصر ثورة المعلومات (الحكومة الإلكترونية).

٩- أن شمولية العهد جعلت الباحث يعتقد بضرورة تضمين منظومة التنمية المستدامة في منهجية الحكم الرشيد (الحكومة الإلكترونية) لتكوين منهجية أكثر دقة وواقعية سعياً لأقامة الحكم الرشيد في عصر ثورة المعلومات.

١٠- أن العهد لم يترك شاردة ولا واردة تخص ادارة الدولة وشؤونها حاكماً ومحكومين.

١١- أن كل من يسعى لأدارة شؤون الدولة عليه أن يجعل من العهد منهجه في تطبيق برامجها ويراقب تطبيقها وفق مؤشرات ومحددات العهد؛ كي ينشأ أنموذجاً للحكم الرشيد.

١٢- أن اعتماد منهجية العهد وتطبيقها في ادارة شؤون الدولة تمكن من القضاء على كل ظواهر الفساد في المؤسسات كافة، وتوجد بيئة مؤاتية للتعايش السلمي وفق معايير السمات الإنسانية الرفيعة.

١٣- ضرورة حث طلبة الدراسات العليا لتناول الوثائق التأريخي في رسائلهم

وأطاريحهم مثل العهد وغيره ودراستها بشكل معاصر، من اجل فهم ومحاكاة هذه الوثائق للزمن الحاضر وما يستشرف به للمستقبل، لا ان يجرّ تناولها بشكل سرد تاريخي.

١٤- أن فهمنا لمضمون العهد يرتب علينا السعي من اجل ايجاد بيئة داعمة ومؤاتية لتطبيق منهجية الحكم الرشيد ووفق الحوكمة الألكترونية التي تتطابق مع منهجية العهد وتحاكي عصر ثورة المعلومات.

المبحث الثاني

التوصيات

يمكن إيجاز أبرز هذه التوصيات كما يأتي :

- ١- يوصي الباحث لأعتماد منهجية الحكم الرشيد في عصر ثورة المعلومات ؛ لأدارة شؤون البلاد وفي جميع المؤسسات الحكومية وغير الحكومية.
- ٢- ضرورة السعي لأيجاد عناصر قدرة تمكّن من نشر الوعي والأرادة السياسية لأعتماد منهجية الحكم الرشيد في ادارة شؤون الدولة.
- ٣- ضرورة تناول ودراسة سياسة الرسول الأعظم (صل الله عليه واله وسلم) وأهل بيته الأَطهار في ادارة شؤون البلاد والعباد، وبطرق تحاكي الواقع وتستشرف المستقبل.
- ٤- توظيف العهد أو اجزاء منه للاستفادة في ادارة شؤون المؤسسات كافة.
- ٥- السعي لأيجاد أنموذج يعتمد العهد كمنهاج في تطبيق الحكم الرشيد (الحوكمة الألكترونية) ولعل أمانات العتبات المقدسة هي الأولى لتكن أنموذجاً.
- ٦- السعي للابتعاد عن الشخصنة والعمل لطرح منهجية الحكم الرشيد للعهد كتطبيقات تدل على معدن مؤسسيها والمطالبين بها.
- ٧- ضرورة اعتماد مؤسسات الدولة لمنهجية الحكم الرشيد (الحوكمة الألكترونية)، والتي جرى التعديل عليها، وتكاملها من قبل الباحث بعد دراسة العهد.
- ٨- يوصي الباحث بضرور التنسق مع الجامعات ؛ لغرض حث طلبة الدراسات العليا

على تناول العهد أو اجزاء منه في رسائهم وأطاريحهم.

٩- التنسيق مع وزارة التربية لغرض تناول اجزاء من العهد في مناهجهم الدراسية.

١٠- جعل العهد معياراً للنزاهة ومعالج لظواهر الفساد في البلاد.

١١- السعي بوسائل مختلف من اجل الأيمان بضرورة التعايش السلمي واحترام الآخر تمهيداً لبيئة الحكم الرشيد.

١٢- التواصل مع البلدان الأخرى على أساس منهجية العهد في تقبل الآخر وايجاد أنموذج للحكم رشيد في التعاملات الدولية.

الهوامش

١- الشيخ محمد السند، بحوث معاصرة في الساحة الدولية، ص ٣٦٣-٣٦٤.

٢- المستشار فليح سوادي، عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الى واليه على مصر مالك الاشر (رضوان الله عليه)، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢.

٣- المستشار فليح سوادي، عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الى واليه على مصر مالك الاشر (رضوان الله عليه)، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢.

٤- المستشار فليح سوادي، عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الى واليه على مصر مالك الاشر (رضوان الله عليه)، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢.

٥- المستشار فليح سوادي، عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الى واليه على مصر مالك الاشر (رضوان الله عليه)، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢.

٦- المستشار فليح سوادي، عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الى واليه على مصر مالك الاشر (رضوان الله عليه)، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢.

٧- المستشار فليح سوادي، عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الى واليه على مصر مالك الاشر (رضوان الله عليه)، العتبة العلوية

المقدسة، ٢٠١٢.

٨- المستشار فليح سوادى، عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الى واليه على مصر مالك الاشر (رضوان الله عليه)، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢.

٩- المستشار فليح سوادى، عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الى واليه على مصر مالك الاشر (رضوان الله عليه)، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢.

١٠- المستشار فليح سوادى، عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الى واليه على مصر مالك الاشر (رضوان الله عليه)، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢.

١١- المستشار فليح سوادى، عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الى واليه على مصر مالك الاشر (رضوان الله عليه)، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢.

- ١٢

١٣- ميشيل هاملتون، التاريخ الضائع، مكتبة الكونغرس واشنطن، ٢٠٠٧.

١٤- اسلام بوك، لتعرف على شخصية الامام علي عليه السلام، ---، ----.

١٥- توفيق ابو العلم، في علي بن ابي طالب، اهل البيت، القاهرة، ٢٠٠٣.

١٦- العجلوني، د. محمد، أثر الحكم الرشيد على التنمية الاقتصادية

- المستدامة في الدول العربية، جامعة اليرموك، الاردن ٢٠١٠.
- ١٧- العقابي، د.مازن، "الحكومة الالكترونية والحكومة الالكترونية"، مركز النور للدراسات، ٢٠١٥.
- ١٨- -----،-----، " أركان الحكم الرشيد العادل من القرآن"، مجلة بدر، ٢٠١٣.
- ١٩- العقابي، د.مازن، متطلبات أمنية المعلومات في ظل الحكومة الالكترونية، أطروحة دكتوراه، العراق، ٢٠١٤.
- ٢٠- اعداد الباحث.
- ٢١- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحكومة الألكترونية، بغداد، ٢٠١٤.
- ٢٢- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحكومة الألكترونية، بغداد، ٢٠١٤.
- ٢٣- الصيرفي، محمد، اصلاح التطوير الإداري كمدخل للحكومة الألكترونية، ط (١)، دونلبد للنشر، مصر.
- ٢٤- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحكومة الألكترونية، بغداد، ٢٠١٤.
- ٢٥- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحكومة الألكترونية، بغداد، ٢٠١٤.
- ٢٦- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحكومة الألكترونية، بغداد، ٢٠١٤.

- ٢٧- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحوكمة الإلكترونية، بغداد، ٢٠١٤.
- ٢٨- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحوكمة الإلكترونية، بغداد، ٢٠١٤.
- ٢٩- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحوكمة الإلكترونية، بغداد، ٢٠١٤.
- ٣٠- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحوكمة الإلكترونية، بغداد، ٢٠١٤.
- ٣١- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحوكمة الإلكترونية، بغداد، ٢٠١٤.
- ٣٢- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحوكمة الإلكترونية، بغداد، ٢٠١٤.
- ٣٣- العقابي، د.مازن، "من اين نبدا بالحوكمة الإلكترونية، مركز النور للدراسات، ٢٠١٥.
- ٣٤- العبود، فهد بن ناصر، الحكومة الإلكترونية، ط (١)، عمان، ٢٠٠٥.
- ٣٥- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحوكمة الإلكترونية، بغداد، ٢٠١٤.
- ٣٦- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحوكمة الإلكترونية، بغداد، ٢٠١٤.
- ٣٧- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحوكمة الإلكترونية،

بغداد، ٢٠١٤.

٣٨- العقابي، د.مازن، "مؤتمر عن دور الحوكمة الألكترونية في رفع مستوى الاداء المؤسسي لاسيما الأمني"، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٦.

٣٩- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحوكمة الألكترونية، بغداد، ٢٠١٤.

٤٠- العقابي، د.مازن، "مؤتمر عن دور الحوكمة الألكترونية في رفع مستوى الاداء المؤسسي لاسيما الأمني"، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٦.

٤١- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحوكمة الألكترونية، بغداد، ٢٠١٤.

٤٢- العقابي، د.مازن، "مؤتمر عن دور الحوكمة الألكترونية في رفع مستوى الاداء المؤسسي لاسيما الأمني"، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٦.

٤٣- العقابي، د.مازن، "مؤتمر عن دور الحوكمة الألكترونية في رفع مستوى الاداء المؤسسي لاسيما الأمني"، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٦.

٤٤- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحوكمة الألكترونية، بغداد، ٢٠١٤.

٤٥- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحوكمة الألكترونية،

بغداد، ٢٠١٤.

٤٦- العقابي، د.مازن، "مؤتمر عن دور الحوكمة الإلكترونية في رفع مستوى الاداء المؤسسي لاسيما الأمني"، مركز النهريين للدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٦.

٤٧- العقابي، د.مازن، "مؤتمر عن دور الحوكمة الإلكترونية في رفع مستوى الاداء المؤسسي لاسيما الأمني"، مركز النهريين للدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٦.

٤٨- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحوكمة الإلكترونية، بغداد، ٢٠١٤.

٤٩- العقابي، د.مازن، "مؤتمر عن دور الحوكمة الإلكترونية في رفع مستوى الاداء المؤسسي لاسيما الأمني"، مركز النهريين للدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٦.

٥٠- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحوكمة الإلكترونية، بغداد، ٢٠١٤.

٥١- العقابي، د.مازن، متطلبات أمنية المعلومات في ظل الحوكمة الإلكترونية، أطروحة دكتوراه، العراق، ٢٠١٤.

٥٢- اعداد الباحث، متطلبات أمنية المعلومات في ظل الحوكمة الإلكترونية، ٢٠١٤.

٥٣- اعداد الباحث

٥٤- اعداد الباحث.

٥٥- المناور، فيصل، " مؤتمر لبناء وتنمية القدرات المؤسسية " الكويت،

٢٠١٤.

٥٦- اعداد الباحث

المصادر

- ١- الشيخ محمد السند، بحوث معاصرة في الساحة الدولية، ص ٣٦٣-٣٦٤.
- ٢- المستشار فليح سوادى، عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الى واليه على مصر مالك الاشر (رضوان الله عليه)، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢.
- ٣- ميشيل هاملتون، التاريخ الضائع، مكتبة الكونغرس واشنطن، ٢٠٠٧.
- ٤- اسلام بوك، لتتعرف على شخصية الامام علي عليه السلام، -----.
- ٥- توفيق ابو العلم، في علي بن ابي طالب، اهل البيت، القاهرة، ٢٠٠٣.
- ٦- العجلوني، د. محمد، أثر الحكم الرشيد على التنمية الاقتصادية المستدامة في الدول العربية، جامعة اليرموك، الاردن ٢٠١٠.
- ٧- العقابي، د.مازن، «الحكومة الالكترونية والحكومة الاللكترونية»، مركز النور للدراسات، ٢٠١٥.
- ٨- -----،-----، « أركان الحكم الرشيد العادل من القرآن »، مجلة بدر، ٢٠١٣.
- ٩- العقابي، د.مازن، متطلبات أمنية المعلومات في ظل الحكومة الاللكترونية، أطروحة دكتوراه، العراق، ٢٠١٤.
- ١٠- العقابي، د.مازن، المتطلبات الأمنية في ظل الحكومة الاللكترونية، بغداد، ٢٠١٤.
- ١١- الصيرفي، محمد، اصلاح التطوير الإداري كمدخل للحكومة الاللكترونية، ط(١)، دونلبد للنشر، مصر.
- ١٢- العقابي، د.مازن، «من اين نبدأ بالحكومة الاللكترونية»، مركز النور للدراسات، ٢٠١٥.

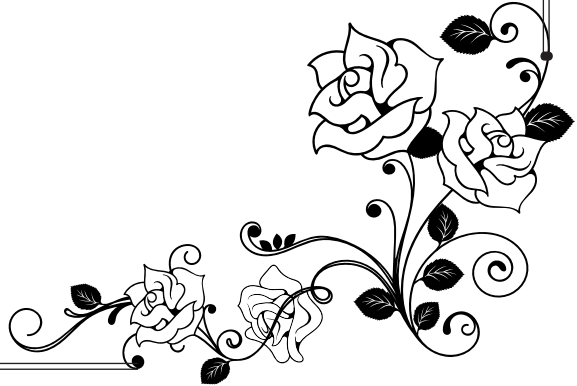
- ١٣- العبود، فهد بن ناصر، الحكومة الألكترونية، ط (١)، عمان، ٢٠٠٥.
- ١٤- العقابي، د.مازن، «مؤتمر عن دور الحوكمة الألكترونية في رفع مستوى الاداء المؤسسي لاسيما الأمني»، مركز النهريين للدراسات الأستراتيجية، بغداد، ٢٠١٦.
- ١٥- المناور، فيصل، «مؤتمر لبناء وتنمية القدرات المؤسسية» الكويت، ٢٠١٤.

مبادئ الإدارة وفق المنهج القرآني

منهج الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) نموذجاً
ممثلاً برسائله لمالك الأشرتر (رضي الله عنه) حين ولاه مصر

د. علي فرحان عبد الله الفكيكي

الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية - لندن



مقدمة:

أن مبادئ ومفاهيم الإدارة وفق المنهج القرآني مثلت ثقافة شؤون الحياة اليومية من خلال المسؤولية والمسائلة والمحاسبة والرقابة والتخطيط والتنظيم ودرجة أداء العمل وإتقانه قبل أن تنطلق الشعارات في العصر الحالي وهذا دليل على أن منهج القرآني منهج رباني جاء كاملاً شاملاً لكافة مجالات العمل دون تخصيص أو تحديد. حيث يتميز المنهج القرآني بخصائص لا تتميز بها المناهج الأخرى، مما جعله أفضل المناهج فهو منهج رباني يسعى إلى تكوين الإنسان الصالح. والإسلام هو دين الفطرة. فهو يهتم بجميع جوانب الإنسان الجسمية والروحية والعقلية ونشاطه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغير ذلك من الأنشطة، ويشمل دنيا الإنسان وآخوته، بل ويشمل النية بها ولو لم يفعل، ومن هنا فهو أشمل منهج عرفته البشرية.

لقد أكد الامام علي (عليه السلام) في عهده للأشتر على جملة من القواعد والقوانين التي تُدار وتُحكم من خلالها الدولة، وتُراعى شؤون الرعية، فحينما توجه مالك لادارة شؤون مصر كان مزوداً بدستور حكم ناضج ومكتمل القواعد والشروط، وبما يوفر العدل والمساواة ويحفظ كرامة الانسان وحقوقه، ويؤكد على عمارة البلاد وإستصلاحها، والابتعاد عن الطمع وحب الشهوات، والالتزام بالذكر الحسن، والعمل الصالح. كما أكد العهد على الرحمة بالرعية واللطف بهم، وعدم ظلم الآخرين. وقد نال هذا العهد من الاهتمام والدراسة والتمحيص والتفسير والشرح والبيان ما لم ينله نص آخر مماثل له في التوجه على مر العصور، وقد تُرجم إلى كثير من لغات العالم، وفي بعض اللغات تُرجم وشرح مراراً وتكراراً، وهذا دليل على قيمة المعاني الانسانية العظيمة التي يحتويها هذا

العهد، وتناوله مختلف شؤون الحياة أولاً، وواجبات الحاكم والحكومة ثانياً^(١). فقد أراد أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، أن يكون خطاباً موجهاً لجميع حكام المسلمين، وغير المسلمين من خلال شخص واحد أراده أن يكون حاكماً على مصر، وهو مالك الأشر، الصديق الصدوق للإمام علي (عليه السلام).

وفي ضوء ما تقدم تكونت هيكلية البحث من مقدمة وأربعة مباحث وعلى النحو الآتي:-

- المبحث الأول: المنهجية العلمية للبحث.
- المبحث الثاني: مفهوم ومبادئ الإدارة من منظور الفكر الغربي.
- المبحث الثالث: مبادئ الإدارة وفق المنهج القرآني.
- المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الأول

المنهجية العلمية للبحث

أولاً: - مشكلة وأهمية البحث:

إن موضوع الإدارة الإسلامية من المواضيع الهامة وتكتسب أهميتها من كونها مرتبطة بحياة البشر وتنظيم شؤون حياتهم في الدنيا والآخرة. ومهما تطورت الأساليب الإدارية المعاصرة فهي لا تتجاوز إمكانيات وقدرات البشر المحدودة. حيث أكدت العديد من الدراسات السابقة على ان دراسة الفكر الإداري وفق المنهج القرآني لم يحظ بعد بالاهتمام الكافي حسب علم الباحث في حين إن المتأمل يجد أن هذا المنهج متكامل وشامل، كما إن هذه الدراسة محاولة لتقديم ملامح المنهج القرآني لتحديد منهجيات العمل والإدارة في شتى المجالات، والذي يحفظ للأمة ثقافتها بنفسها وبمنهجها في الحياة والعمل ويقطع الطريق على حملات التشكيك في قدرة الأمة على البقاء والريادة.

ثانياً: - الهدف من البحث:

يهدف هذا البحث إلى استعراض أحد الجوانب الإدارية المهمة وهو مبادئ الإدارة وفق المنهج القرآني - منهج الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) نموذجاً ممثلاً برسالته لمالك الأشتر (رضي الله عنه) حين ولاه مصر.

ولتحقيق هذا الهدف الرئيس سيتم السعي لتحقيق الأهداف الفرعية الآتية:-

١ - استشارة هم المسلمين بضرورة العودة لهذا الأصل العظيم في الإدارة الإسلامية وبيان

أن عطاءه متجدد.

٢- نشر الوعي الإسلامي عن ذلك الجانب من الإدارة ومحاولة الاستفادة منه على جميع المستويات.

٣- تقديم بديل للإدارة ليحل محل المنهج الغربي، وذلك عن طريق بيان أهمية الجانب العقائدي في الإدارة الإسلامية.

٤- الإسهام في إثراء المكتبات بدراسة علمية في مجال الإدارة.

رابعاً: - منهج البحث:

تقتضي سلامة الوصول إلى نتائج إيجابية للبحث، أن يتبع المنهج الوصفي، من خلال الاطلاع على الكتب والمقالات والدوريات والرسائل العلمية والدراسات العربية الإسلامية والأجنبية.

خامساً: - حدود البحث:

يلتزم الباحث بتوضيح أهم وابرز مبادئ الإدارة وفق المنهج القرآني- منهج الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) نموذجاً ممثلاً برسالته لمالك الأشتر (رضي الله عنه) حين ولاه مصر.

المبحث الثاني

مفهوم ومبادئ الإدارة من منظور الفكر الغربي

منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ووهبه نعمة العقل والتفكير والتدبر والتحليل واكتشاف الحقائق كلفه بإدارة الأرض وعمارتها وخلافتها، ولا يخفى على أحد أن العمارة والإدارة والخلافة تحتاج إلى عوامل إنتاجية مكاملة (الموارد الطبيعية، التقنيات، رأس المال، موارد بشرية) للوصول إلى مخرجات تلك الفعاليات وما يترتب عليها من آثار على مختلف الأزمنة والعصور. لقد تبين للإدارة الحديثة بعد دراسة معمقة حول أهمية عناصر الإنتاج وتحديد أولوياتها أن توفر موارد مادية، طبيعية، تقنية، معلومانية... لا يمكن أن تصل إلى المصدر الحقيقي لتكوين القدرات التنافسية المستمرة أن لم يتوفر فيها عنصرين رئيسيين هما موارد بشرية مختارة بدقة ومعدة وفق أسس مهنية وعلمية، وقيادات مؤثرة مطلعة على أنماط وقوانين وأنظمة العمل. إذ أن مساهمة القيادات الإدارية في خلق أجواء العمل الجماعي بين العاملين ومختلف الإدارات والفروع، ونشر الوعي التنظيمي الداعي للمشاركة وتناقل الأفكار وإنشاء أنظمة للاتصال بين مختلف المستويات تتميز بالسهولة والأنسابية في حركتها تركت بصمة واضحة في التقدم الحاصل في مختلف المجالات التي نشهدها اليوم. (٢).

- مفهوم الإدارة :

أصل كلمة إدارة (Administration) لاتيني بمعنى (To Serve) أي (لكي يخدم) والإدارة بذلك تعني «الخدمة» على أساس أن من يعمل بالإدارة يقوم على خدمة الآخرين. وفي ظل الاهتمام الذي حظيت به الإدارة إلا أن تعريفاتها التي قدمها العلماء

والرواد قد تباينت، شأنها في ذلك شأن كثير من مصطلحات العلوم الإنسانية، فكل منهم قد تأثر بمدخل معين. وقد عرفها:-

١- النمر بأنها: «النشاط الموجه نحو التعاون المثمر والتنسيق الفعّال بين الجهود البشرية المختلفة العاملة من أجل تحقيق هدف معين بدرجة عالية من الكفاءة»^(٣).

٢- الصباب بأنها: «عملية توجيه الجهود البشرية بشكل منظم لتحقيق أهداف معينة».^(٤)

٣- مصطفى والنابة بأنها: عملية تنظيم تتكامل فيها الجهود لتنظيم الموارد البشرية والمادية نحو هدف مشترك.^(٥)

٤- الجضعي بانها: «عملية اجتماعية مستمرة تسعى إلى استثمار القوى البشرية والإمكانات المادية من أجل تحقيق أهداف مرسومة بدرجة عالية من الكفاءة»،^(٦).

- الإدارة هل هي علم أم فن؟

الإدارة مزيج من العلم والفن، فهي علم لأن لها مبادئ وقواعد وأصولاً علمية متعارفاً عليها، وتقوم على توظيف مناهج البحث العلمي في استكشاف نظرياتها وفحصها، وفي الوقت ذاته هي فن لأنها تعتمد على القدرات الإبداعية والمهارات، فإن الفصل في هذا الموضوع هو القول إن الإدارة هي فن استخدام العلم.^(٧)

ومن هذا التعريف يُمكن استخلاص العناصر التالية:-

- أن الإدارة عملية تتضمن وظائف عدة هي التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة.
- أنها اجتماعية فهي لا تنشأ من فراغ، بل تنشأ داخل مجموعة منتظمة من الأفراد وتأخذ في الحسبان مشاعرهم واحتياجاتهم وتطلعاتهم.

- أنها وسيلة وليست غاية فهي وسيلة تنشُد تحقيق أهداف مرسومة.
- أنها تعتمد على استثمار القوى البشرية والإمكانات المادية المتاحة.
- أنها تسعى إلى تحقيق الأهداف بدرجة عالية من الكفاءة.

- علاقة الإدارة بأخلاقيات المهنة

المهم في التعريفات الإدارية الوصول إلى الإنتاج المادي بغض النظر عن الوسائل، وهنا تتميز الإدارة الإسلامية حين تنظر إلى الإنتاج على أنه وسيلة لعبادة الله، يجب أن لا يتعارض مع الهدف والغاية ويكون منضبطاً بشروطها. لتوضيح العلاقة بين الإنتاجية الجيدة ووضع العمال أجرى عالم الاقتصاد الإنجليزي آدم سميث في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي دراسة عن أسباب ازدهار وتدهور ثروات الأمم، فلاحظ في كتابه (ثروة الأمم) الارتباط الوثيق بين جودة الإنتاج وغزارته، والارتباط بين عدم جودته وضآلته، وتوصل إلى أن سبب التفاوت يعود إلى وضع العاملين بين حالتي الإلزام والالتزام، فالذي يعمل بأخلاقيات المهنة بدافع الالتزام يكون دقيق الإنتاج وغزيره، أما الذي يعمل بدافع الإلزام فهو ركيك الإنتاج وضيئه.^(٨)

- مبادئ الإدارة الرئيسية عند تايلور^(٩) :-

١- تحديد نوع وكمية العمل المطلوب أدائه من كل فرد (وهو ما يطلق عليه اليوم تحديد الاختصاصات والمسؤوليات) بناء على دراسة علمية وليس على مجرد التخمين من جانب الإدارة.

٢- الاختيار العلمي للشخص الذي يناسب الوظيفة المسنودة إليه.

٣- اقتناع كل من هيئة الإدارة والعاملين بعدالة التنظيم الإداري واحترام مبادئه.

٤- تقسيم الواجبات والمسؤوليات؛ فتختص الإدارة بمهمة التخطيط ويترك للعمل مهمة التنفيذ.

- مبادئ الإدارة الرئيسية عند هنري فايول^(١) :-

١- مبدأ روح الاتحاد او التعاون: إن روح الاتحاد والانسجام بين الأفراد العاملين في المنشأة تعتبر قوة لها، وبذلك وجب أن تبذل الجهود لتدعيمها. (إن بث الفرقة بين قوى الأعداء لإضعافهم يعتبر عملاً يتصف بالمهارة، بينما بث الفرقة بين نفس الفريق الذي ينتمى إليه الشخص يعبر إثماً كبيراً).

٢- مبدأ خضوع المصالح الفردية للمصلحة العامة: أن الفرد يعمل لصالح المجتمع، إذ أن المجتمع أهم من الفرد. ويتطلب هذا المبدأ تغليب مصلحة المنشأة على مصلحة أحد موظفيها.

٣- مبدأ المساواة: إن تشجيع القوى العاملة أو الموظفين على أداء وظائفهم بأعلى ما في طاقاتهم وقدراتهم وإحساسهم بالولاء والإخلاص لعملهم ورئيسهم يتطلب ضرورة اتباع مبدأ المساواة.

٤- مبدأ مكافأة الأفراد: يقول هنري فايول في كتابه (الإدارة العامة والصناعية) إن دفع الأجور أو المرتبات بطريقة عادلة تؤثر تأثيراً ملحوظاً على تقدم المنشأة.

٥- مبدأ المسؤولية والسلطة: السلطة هي ممارسة حق يخول لصاحبه إصدار أوامر ويكون على مرؤوسيه الطاعة.

٦- مبدأ النظام والطاعة: ترجع أهمية النظام إلى قدرته على توفير حسن سير العمل في المنشأة، والنظام يعني إطاعة الأوامر وتنفيذها وتنفيذ ما اتخذ من قرارات.

٧- مبدأ وحدة الأمر: يجب ألا يتلقى الموظف تعليماته إلا من رئيس واحد فقط، وهو

رئيسه المباشر، إذ أن عدم احترام هذا المبدأ ينتج عنه الاستهانة بالسلطة والإخلال بالنظام.

٨- مبدأ وحدة التوجيه: يعني رئيساً واحداً وخطة واحدة لتحقيق هدف واحد، وهذا المبدأ لا يتعارض مع مبدأ وحدة الأمر؛ وذلك لأن وحدة الأمر تمارس على الأشخاص فقط.

٩- مبدأ تدرج السلطة: ينبغي ضرورة توضيح تسلسل الرئاسات من أعلى المستويات إلى أدناها وتوضيح نطاق الإشراف.

١٠- مبدأ الترتيب: ترتيب الأشياء والأفراد، فهو يقول فيما يتعلق بترتيب الأشياء (إن كل شيء يجب أن يكون له مكان، وأن يوضع كل شيء في مكانه الخاص، ويستهدف ذلك أن يوضع كل موظف في المكان المناسب له).

١١- مبدأ استقرار الموظفين: يتطلب الموظف الجديد بعض الوقت للاعتياد على عمله الجديد حتى يتمكن من أدائه بنجاح، وهذا يضمن استمرار الموظف في العمل فيه بعد التدريب.

المبحث الثالث

مبادئ الإدارة وفق المنهج القرآني

ان الرسول الاكرم (صلى الله عليه {واله { وسلم) هو الذي وضع اللبنة الأولى للتنظيم الإداري في الدولة الإسلامية، بعد الهجرة من مكة الى المدينة، فقد كانت الفترة التي مكثها رسول الله (صلى الله عليه { وآله { وسلم) بمكة فترة لتأسيس العقيدة الإسلامية، ولما هاجر النبي (صلى الله عليه { وآله { وسلم) إلى المدينة، بدأ تأسيس الدولة، ووجدت الأحكام التي تنظم فوضى المجتمع فشرعت الأحكام التي تنظم علاقات أفراد المسلمين بعضهم ببعض، وعلاقتهم بغيرهم في حالة السلم وحالة الحرب، وبجانب الأحكام التي تبين العبادات، وجدت أحكام المعاملات من بيع وتجارة ورهن وغيرها، وأحكام الحرب، والعنائم والعقوبات، والموارث، والوصايا، والقضاء، فالدولة الإسلامية تكونت بعد هجرة النبي (صلى الله عليه {واله { وسلم) بجانب كونه رسولاً يبلغ عن ربه كان رئيساً للدولة، فقد كان للرسول سلطة التنفيذ، كما كان له أيضاً سلطة القضاء، فتولى القضاء بنفسه، وولى غيره. (١١).

إذ إن المنهج الإسلامي يقدم مفهوماً للإدارة يتصف بالشمولية والإطلاق بعيداً عن الانحصار المعرفي في إزاء التعامل مع المفهوم المجرد للإدارة، إن كلمة الفكر الإداري الإسلامي كما عرفها د. حمدي عبد الهادي تعني « الآراء و المبادئ والنظريات التي سادت حقل الإدارة، ودراسة وممارسة عب العصور والأزمنة، ويعتب فكراً إسلامياً ما يصدر من هذه الآراء والمبادئ والنظريات وذلك بالاستناد إلى توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ». (١٢).

- تعريف الإدارة لغة -

وردت عدة تعريفات للإدارة في معاجم اللُّغة، إذ جاء تعريفها في ” لسان العرب“ في مادة (دَوَّر): من دار الشيء دورانا، وأداره عن الأمر. ويقال: أدرت فلاناً عن الأمر إذا حاولت إلزامه إياه وأدرته عن الأمر إذا طلب منه. (١٣). ويقال: «أدار الوزير العمل: أشرف عليه». (١٤).

- تعريف الإدارة في الإسلام:

١- عرفها المزجاجي (١٥) بأنها: نشاط جماعي مشروط يقوم به الراعي مع موظفيه العاملين في جميع الأجهزة الحكومية من خلال تقديم سلعة مشروعة إلى الجمهور بلامتياز، شعوراً منهم بأمانة الإدارة أثناء ممارستهم الإدارية وفقاً لأنظمة وتعليمات مصدرها الشريعة الإسلامية، سعياً لتحقيق أهداف عامة مباحة من أجل توفير الأمن والرخاء والنماء للبلاد والعباد.

٢- عرفها المطيري (١٦) بأنها: الإدارة التي يتحلى أفرادها بالسلوك الإسلامي عند أدائهم لأعمالهم، ويقومون بواجباتهم الوظيفية بجميع مستوياتها وفقاً للشريعة الإسلامية

- النظام الإداري في الإسلام:

أن النظام الإداري في الإسلام هو مجموعة الأحكام والتشريعات لتنظيم جهود البشر جماعياً وفردياً وتوجيههم وجهة هادفة لتحقيق مصالحهم، وسد حاجاتهم الدنيوية والأخروية وحفزهم بها إلى فعل الخير والبعد عن الشر ومنع الإفساد في الأرض. (١٧).

- النظرية الإسلامية :

أنها مجموعة من المفاهيم والأفكار والأحكام والقيم والأهداف المرتبطة بإعداد الإنسان المسلم حسب الأصول الإسلامية اعتباراً من أسسها ومناهجها وأساليب تحقيقها وتنفيذها. وترتكز النظرية الإسلامية على النقاط التالية^(١٨):-

- ١- مستمدة في أساسها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- ٢- تتصف بالشمولية.
- ٣- تشتمل على المعرفة والأساليب والوسائل والإدارة، وهي بهذا تختلف عن النظريات الأخرى.
- ٤- تعمل على توجيه السلوك الإنساني وقيمه.
- ٥- تعتمد على التفاعل ما بين النظرية والممارسة العملية، فالإسلام دين عمل وجهاد.

- مقارنة بين مفهوم الإدارة العامة المعاصرة والإدارة الإسلامية :

ان الناظر إلى مفهوم الإدارة العامة المعاصرة والإدارة العامة الإسلامية من خلال التعريفات السابقة يجدهما يتفقان في أنَّهما من الأساليب والنظم والمناشط الإدارية التي تؤدِّيها منظمات وأجهزة الدولة، والتي تهدف بصفة أساسية إلى تحقيق الصالح العام والمنفعة العامة في المجتمع من خلال استغلال الموارد المتاحة في البيئة المعينة خلال فترة زمنية محددة. ولكن نجد أنَّ التمايز واضح والفرق بينها في بعض الجوانب الأساسية، فنجد أنَّ الإدارة العامة الإسلامية محورها الأساس العقيدة والإيمان وبهما يتجاوز الفرد المسلم المنافع الشخصية الدنيوية إلى سعة التكليف الرباني الذي يجعل الحياة كلها لله، وأنَّ غاية خلق الإنسان هو العبادة والخلافة في الأرض تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ

الْحِجْنَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿١٩﴾.

أمَّا الفكر الإداري الغربي فهو يعالج المشكلة الإدارية في إطار نظريات ذات نظرة جزئية غير شاملة لا تضع اعتباراً ولا حيزاً لما وراء المادة والمنفعة، بل تركّز بصفة أساسية على المنافع الشخصية أو الجماعية أو المنافع المشتركة في إطار العلاقات بين الدول دون أدنى نظرة للدين والعقائد. (٢٠). حيث أنّ الإدارة العامة الإسلامية تتفوّق على الإدارة العامة المعاصرة بالآتي (٢١) :-

- ١- الإدارة العامة الإسلامية تسعى بصفة أساسية لخدمة الأهداف المشروعة من خلال مناشطها الخدمية والسلعية المباحة يحكمها في ذلك الإيمان والعقيدة الربانية.
- ٢- يؤدّي المكلف العمل في الإدارة الإسلامية عمله على أساس أنه على قيمة إيمانية يسعى من خلالها للعبادة. كما إن التعامل في الإدارة الإسلامية يتم على أساس الأخوة الإسلامية والمساواة واحترام إنسانية العامل ونوع العمل.

- المنهج الإداري الإسلامي :

- ١- استمدت الحضارة الإسلامية أسسها الإدارية من القرآن الكريم والسنة النبوية ونهج أهل البيت عليهم السلام.
- ٢- تضمنت الكثير من الأفكار والمفاهيم الإدارية عالية المستوى للتطبيق في كل مكان وزمان.
- ٣- ينظر إلى الإنسان على أنه كائن اجتماعي يحتاج للاحترام والتقدير والرضا كما يحتاج لأجرته.
- ٤- عرفت الدولة الإسلامية نظامي المركزية واللامركزية في الإدارة، وتفويض السلطة والمسؤولية، وتقسيم العمل.

- المبادئ الإدارية التي أكد عليها أمير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) :

استلم الإمام علي (عليه السلام) الخلافة في (٢٥) ذي الحجة عام (٣٥ هـ)، فوجد الأوضاع متردّية بشكل عام، وعلى أثر ذلك وضع خطة إصلاحية شاملة، ركّز فيها على شؤون الإدارة، والاقتصاد، والحكم، وفي ما يلي بعض المبادئ الإدارية التي أكد عليها (عليه السلام) في رسالته^{(٢٢)*} إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه) عندما ولاه مصر:-

اولاً:- مبداء العلاقات الإنسانية: أول شيء أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) به مالكا الأشتر، الذي عيّنه والياً له على مصر، أن يكون محباً للرعية، محترماً لمشاعر الناس من أي فئة كانوا، سواء كانوا مسلمين أم من أهل الأديان الأخرى. ولا يخفى أن في ذلك تثبيتاً لإنسانية الإسلام واحترامه لمشاعر الناس، وتقوية لبنية النظام والحكومة. إذ قال (عليه السلام): «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلُّ، وَنَعْرُضُ هُمْ الْعِلْلُ، يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ».

ثانياً:- مبدأ التواضع: ويقصد به الخضوع والإذعان للحق والابتعاد عن الزهو والإعجاب بالنفس وهذه صفة لازمة لكل إنسان يقدر نفسه حق قدرها ويريد لها الخير، وقيل في تعريف التواضع: (هو ضبط النفس عن الكبر والعجب والغرور ومعرفة النفس قدرها)، ويقول تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾. (٢٣).

يقول الامام (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه): «إِيَّاكَ وَالْأَعْجَابَ بِنَفْسِكَ،

وَالثَّقَّةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الْأَطْرَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثِقِ فُرْصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ، لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ.»

ويقول أيضاً (عليه السلام) في بعض رسائله إلى عمّاله: «واخفض للرعيّة جناحك، وابسط لهم وجهك، وألن لهم جنبك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة، والإشارة والتحية، حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك.»

ثالثاً: - مبدأ المساواة: قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢٤). وقال رسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «لأفرق بين عربي ولا أعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى». حيث حرصت السنة النبوية - باعتبارها أصلاً من أصول الإسلام على المساواة بين الناس في القيمة البشرية، وعدها من الأمور الأساسية.

وقد ألزم الإمام (عليه السلام) عمّاله وولّاته بتطبيق المساواة بين الناس على اختلاف قومياتهم وأديانهم. وتجسّدت فيما يأتي :-

أ - المساواة في الحقوق والواجبات.

ب - المساواة في العطاء.

ج - المساواة أمام القانون. وقد حدد (عليه السلام) لملك الأشتر (رضي الله عنه) شروط الحاكم العادل: «اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورَ، وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومَ، وَلَا يَتِمَادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلَا يَخْصُرُ مِنَ الْفِيءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَىٰ فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ،

أَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقْلَهُمْ تَبْرُماً بِمِرَاجِعَةِ الْخِصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّصَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءٌ، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ، أُولَئِكَ قَلِيلٌ».

رابعاً: - مبدأ العدل: أن الناس فيهم المحسن والمسيء، فلا تجوز المساواة بين الصنفين؛ لأن في ذلك قطعاً لسبب الإحسان، وتقليلاً للفاعلين له، وتشجيعاً للمسيئين على الإساءة، وهذا خلاف المباني الإلهية والإسلامية؛ لأن الله يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.

وكي لا يتساوى المحسن والمسيء، فتتهراً القيم وتتاكل المثل، ويصاب الناس بالخيبة من عدالة الدولة، دعا الإمام علي عليه السلام إلى إثابة المحسن، وإشعاره بقيمة عمله، ومعاينة المسيء، وتنبهه على دناءة ما فعله، وهذا كله ليس بقصد الإثابة والعقاب فحسب، وإنما للإثابة أهداف ومعانٍ سامية، وكذا العقوبة فهي ليست عقوبة تنكيل بقدر ما هي عقوبة تأديب، لذا نراه (عليه السلام) قد أوصى الاشتهر (رضي الله عنه) بقوله: «وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيْدًا لِأَهْلِ الْأَحْسَانِ فِي الْأَحْسَانِ، تَدْرِيْبًا لِأَهْلِ الْأَسَاءَةِ عَلَى الْأَسَاءَةِ، وَالزِّمُّ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ».

ومن أسمى المبادئ التي امتاز بها الإسلام عما عداه من النظم الوضعية، وقد حث الإسلام على التزام العدل في كل الأمور التي يزاؤها وقد حذر الإسلام من أن تدخل مراكز الناس الاجتماعية وأنسابهم في خضوعهم لمقتضى العدل، فالقانون الإسلامي يطبق على كل أفراد الأمة، ولا فرق بين حاكم ومحكوم. (٢٥).

خامساً: - مبدأ الشورى: كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حريصاً على التزام منهج الشورى في تصرفاته وأعماله وقراراته، ومما أوصى به أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لمالك الأشر: «وَلَا تُدْخَلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بِخِيْلًا يَغْدُلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ،

وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ، وَلَا جَبَانًا يُضَعِّفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجُورِ، فَإِنَّ
الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ عَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ».

إن المستشار منصب دقيق وحساس وذو تأثير بالغ على الحاكم وقراراته المهمة التي يتخذها، فكم من حاكم ورطته استشارة خاطئة، وكم من فتنة أشعلها مستشار أحمق، ولا يكفي أن تكون للمستشار خبرة إدارية سابقة بل يجب أن تتوفر فيه خصال خلقية ونفسية سامية، ويتجرد من صفات سلبية كالجبين والبخل والطمع ستؤثر حتماً على استشاراته، وهذا أحد معالم ارتباط السياسة بالأخلاق عند الإمام علي (عليه السلام). وبعد نبيه عن الاستعانة بمستشاري السوء يطالب الإمام الحاكم بمناقشة شؤون الحكم والبلد وتدارسها مع العلماء والحكماء لأنهم الأقدر على تشخيص مصالح البلاد والعباد وإعطاء الرأي السديد الذي ينشده الحاكم. (٢٦).

أن الحاكم إذا لم يكن له مستشارون فلا يعلم محاسن دولته ولا عيوبها وسوف يغيب عنه الكثير في شؤون الدولة وقضايا الحكم، وكان يعلم أن الشورى تعرفه ما يجله، وتضع أصابعه على ما لا يعرفه، وتزيل شكوكه في كل الأمور التي يقدم عليه.

سادساً: - مبداء العمل الجماعي: عرّض الامام (عليه السلام)، أقسام الرعية وأصنافها، وبيّن أن كل قسم منها يحتاج للقسم الآخر ومرتبطة به ارتباطاً عضوياً، حيث إن كل تلك الأقسام تشكّل نظاماً متكاملًا متماسكاً، فهي بمثابة الجسم الواحد، وعيّن لكل صنف مسؤوليته ومهمته حتى لا تتداخل الأمور وبالتالي تسود الفوضى. وفي حديثه عن كل صنفٍ من الأصناف. (٢٧).

يقول (عليه السلام) للأشتر (رضي الله عنه): «وَأَعْلَمَ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ، مِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ

وَالْحَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاءُ الْعَدْلِ، وَمِنْهَا عَمَّالُ الْأَنْصَافِ وَالرَّفِيقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجَزِيَّةِ وَالخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذَّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمُسْكِنَةِ، وَكُلُّ قَدْ سَمَى اللَّهُ سَهْمَهُ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ وَفَرِيضَتِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مُحْفُوظًا».

سابعاً: - مبدأ اختيار الاصلاح لاداء العمل: حينما باشر الإمام (عليه السلام) خلافته، كانت الدولة قد أصابها انحراف كبير من جراء ظلم الولاة وفساد بطانتهم ومعاونيهم، ولذا فإنها كانت تحتاج للتغيير والتصحيح، خاصة في مفاصلها الرئيسة المتمثلة في الولاة وكبار الموظفين. ولقد سارع الإمام لتغيير الولاة المفسدين الذين كانوا السبب المباشر في ثورة الناس على عثمان، واستبدلهم بولاة صالحين من خيار الصحابة المشهود لهم بالتقوى والورع كمحمد ابن أبي بكر وقيس بن سعد بن أبي عبادة وسهل بن حنيف الأنصاري وغيرهم. (٢٨).

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يؤكِّد على ضرورة وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ويؤكِّد على اختيار أصحاب الكفاءات وأهل الورع والعفة والسياسة والحياء، وحذر من الاختيار القائم على المحاباة والذي تجرع الناس منه الغُصص والويلات.

يقول (عليه السلام) للأشتر (رضي الله عنه): «انظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّا لِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَارًا، وَلَا تُؤَلِّمُ مَحَابَاةً وَأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جَمَاعٌ مِنْ شُعْبِ الْجُورِ وَالْخِيَانَةِ. وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ النُّبُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْأَسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا، وَأَصْحُ أَعْرَاضًا، وَأَقْلُ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافًا، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا. ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنَى لَهُمْ عَنِ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ تَلَمَّوْا أَمَانَتَكَ».

إذ كان اختيار الامام (عليه السلام) للموظفين بناءً على شروط، فانه كان يضعهم تحت التجربة لمدة من الزمن. فيقول (عليه السلام) للأشتر (رضي الله عنه): «قَوْلٌ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَإِلَامَامِكَ، [وَأَنْقَاهُمْ] جَبِيًّا، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرَأْفُ بِالضُّعْفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لَا يُبَيِّرُهُ الْعُفْءُ، وَلَا يَقْعُدُهُ بِهِ الضَّعْفُ ثُمَّ الصَّقَ بَدْوِي الْمُرَوَّاتِ وَالْأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبَيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَّاحَةِ، فَأَيُّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكِرَامِ، وَشُعْبٌ مِنَ الْعُرْفِ».

وكان الامام (عليه السلام) يراقب أدائهم من خلال مجموعة من الطرق التي وضعها، فإذا لمس من هؤلاء أي خيانة لأمانتهم عزلهم وعاقبهم، وإذا لمس منهم تقصير في أداء أعمالهم، كتب إليهم من أجل تنبيههم الى الخلل، الذي ربما يكون غير مقصود. إذ يقول (عليه السلام) للأشتر (رضي الله عنه): «ثُمَّ تَقَدَّ أَعْمَاهُمْ، وَأَبْعَثَ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ تَعَاهَدَكَ فِي السَّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ، وَالرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ. وَتَحَفَّظَ مِنَ الْأَعْوَانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةِ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عِيُونِكَ، اكَتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهْمَةِ».

ثامناً: - مبداء محاسبة النفس: ان هذا المبداء هو لغرض المحافظة على النظام من الالهمال والتقصير في أداء الواجبات فمحاسبة النفس كل يوم عملاً عملته، من خلال ضبط النفس وصيانتها عن الاخلال بالواجبات ومقارفة المحرمات وعن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام): «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث سرية، فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضاوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر قيل: يا رسول الله وما الجهاد

الأكبر؟ قال: جهاد النفس. ثم قال: أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه. (٢٩).

أن أعظم الجهاد في الإسلام هو جهاد النفس، الذي عبر عنه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بـ «الجهاد الأكبر» أي هو جهاد أعظم من جهاد العدو الذي عبر عنه بالجهاد الأصغر. وإذا لم يتوفر في الإنسان الجهاد الأكبر بالمعنى الواقعي أساساً فلن ينتصر في جهاده على أعدائه. (٣٠).

تاسعاً: - مبداء الإشراف والرقابة: أن الرقابة في فلسفة الإمام علي (عليه السلام) لم تكن رقابة طائشة، أو مُستَفِزة، أو رقابة تجريم أو تنكيل، بل كانت رقابة تحصين ووقاية ضد الآفات الاجتماعية التي تؤدي إلى ضياع حقوق الأفراد والمجتمع، ومن ثم تؤدي إلى ضعف الروابط الاجتماعية بين أفراد الأمة الواحدة، بعد ضعف الوازع الديني الذي هو - كما هو معلوم - من الأسباب الرئيسة للانحراف بالأمة عن مسارها الصحيح الذي أراده لها المشرع العظيم. نستطيع أن نتلمس ذلك كله من خلال النصوص التي وردت إلينا عن الإمام علي (عليه السلام)، وهو يوصي عامله على مصر بضرورة تعاهد عماله بالمرقبة، وتفقد شؤونهم، والسؤال عن أحوالهم؛ ليتضح لنا كم كان هدف الرقابة نبيلاً، وكم كانت غايتها سامية جليلة، هدفها حفظ الدين والناس. وتبدأ الرقابة في فكر الإمام (عليه السلام) من أصغر الأمور، وتصحيح الأوضاع منذ بدايتها، وليس انتظار الأمور حتى تكبر، وتتفاقم، ثم يكون التنكيل والانتقام، وبالمحصلة فالرقابة في فكره (عليه السلام) إنما هي تحصين العمال ضد الغش والخيانة، وبعبارة أخرى هي وقاية وليست علاجاً، وقد قيل قديماً: درهمٌ وقاية خيرٌ من قنطار علاج. (٣١).

إذ وصى الإمام علي (عليه السلام) الأشر (رضي الله عنه): «ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانُ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَدْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ وَلَا تَدَعُ

تَفَقَّدَ لَطِيفَ أُمُورِهِمْ اتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ،
وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعاً لَا يَسْتَعْنُونَ عَنْهُ.»

وكذلك يقول (عليه السلام) لأشتر (رضي الله عنه): وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْخُرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ
أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ،
لَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخُرَاجِ وَأَهْلِهِ.

الخاتمة:

« تكريماً لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أصدرت الأمم المتحدة، في العام ٢٠٠٢، تقريراً باللغة الإنكليزية بمائة وستين صفحة، أعده برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الخاص بحقوق الإنسان وتحسين البيئة والمعيشة والتعليم، حيث تم فيه اتخاذ الإمام عليّ (عليه السلام)، من قِبَل المجتمع الدولي شخصيةً متميزة، ومثلاً أعلى في إشاعة العدالة، والرأي الآخر، واحترام حقوق الناس جميعاً مسلمين وغير مسلمين، وتطوير المعرفة والعلوم، وتأسيس الدولة على أسس التسامح والخير والتعددية، وعدم خنق الحريات العامة. وقد تضمن التقرير مقتطفات من وصايا أمير المؤمنين عليه السلام الموجودة في نهج البلاغة، التي يوصي بها عماله، وقادة جنده، حيث يذكر التقرير أنّ هذه الوصايا الرائعة تعد مفخرة لنشر العدالة، وتطوير المعرفة، واحترام حقوق الإنسان. وشدد التقرير الدولي على أن تأخذ الدول العربية بهذه الوصايا في برامجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، لأنها (لا تزال بعيدة عن عالم الديمقراطية، ومنع تمثيل السكان، وعدم مشاركة المرأة في شؤون الحياة، وبعيدة عن التطور وأساليب المعرفة). والملاحظ أنّ التقرير المذكور قد وزع على جميع دول الأمم المتحدة، حيث اشتمل على منهجية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في السياسة والحكم، وإدارة البلاد، والمشورة بين الحاكم والمحكوم، ومحاربة الفساد الإداري والمالي، وتحقيق مصالح الناس، وعدم الاعتداء على حقوقهم المشروعة. وتضمن التقرير الدولي أيضاً شروط الإمام عليّ (عليه السلام) للحاكم الصالح، التي وردت في نهج البلاغة، وفيها يقول (عليه السلام): (إنّ من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، فمعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس). واقتبس التقرير الدولي مقاطع من وصايا أمير المؤمنين عليه السلام لعامله على مصر مالك الأشر، التي

يؤكد فيها على استصلاح الأراضي والتنمية ويقول: (وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأنَّ ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً). وورد في التقرير الدولي أيضاً أساليب الإمام عليّ (عليه السلام)، في محاربة الجهل والأمية، وتطوير المعرفة، ومجالسة العلماء، حيث يقول (عليه السلام): (وأكثر من مدارس العلماء، ومنافسة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك). ومن شروط الحاكم العادل أخذ التقرير الدولي قول أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)، الذي قال فيه: (ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتهادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه؛ وأوقفهم في الشبهات، وأخذهم في الحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم؛ ممن لا يزدنيه إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليلون، ثم أكثر تعاهد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، فانظر في ذلك نظراً بليغاً). إنَّ هذا التقرير يبين أنَّ علياً بن أبي طالب (عليه السلام) يعد مفخرة يحار الإنسان إلى أي جانب منها يشير. وكيف لا؟ وهو قد تربى على صدر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان مما أنعم الله عز وجل به على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أنه كان في حجر رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم)، وكان أول ذكر من الناس آمن برسول الله، وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى (٣٢).

المبحث الرابع الاستنتاجات والتوصيات

أولاً: - الاستنتاجات:

- ١- عرف المسلمون الإدارة ومارسوها في كافة شؤونهم ونشاطاتهم الدينية والدينية.
- ٢- أن مبادئ الإدارة في السنة النبوية الطاهرة محورها الأساس العقيدة والإيمان وبهما يتجاوز الفرد المسلم المنافع الشخصية الدنيوية إلى سعة التكليف الرباني الذي يجعل الحياة كلها لله، وأن غاية خلق الإنسان هو العبادة والخلافة في الأرض.
- ٣- أن منهج الامام علي (عليه السلام) يمتلك مفهوماً خاصاً للإدارة، يختلف عن ما هو في الفكر الغربي، فهي يسعى بصفة أساسية لخدمة الأهداف المشروعة يحكمها في ذلك الإيمان والعقيدة الربانية.
- ٤- أصدرت الأمم المتحدة، في العام ٢٠٠٢، تقريراً باللغة الإنكليزية بمائة وستين صفحة، أعده برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الخاص بحقوق الإنسان وتحسين البيئة والمعيشة والتعليم، حيث تم فيه اتخاذ الإمام عليّ (عليه السلام) من قِبَل المجتمع الدولي شخصيةً متميزة، ومثلاً أعلى في إشاعة العدالة، والرأي الآخر، واحترام حقوق الناس جميعاً مسلمين وغير مسلمين، وتطوير المعرفة والعلوم، وتأسيس الدولة على أسس التسامح والخير والتعددية، وعدم خنق الحريات العامة.
- ٥- المستشارين القانونيين للأمم المتحدة قد اعتمدوا رسالة الإمام علي صلوات الله عليه للملك الأشتر (١٣ صفحة تقريباً) و مقولة (الخلق صنفان، إما أخ لك في الدين او

نضير لك في الخلق) كمصادر للتشريع القانوني لهيئة الأمم المتحدة.

٦- يؤدّي المكلف العمل في الإدارة من المنظور الاسلامي عمله على أنه على قيمة إيمانية يسعى من خلالها للعبادة، وعلى أساس الأخوة والمساواة واحترام إنسانية العامل ونوع العمل.

٧- أن النظام الإداري في الإسلام والسنة النبوية ومنهج أهل البيت (عليهم السلام)، هو «مجموعة الأحكام والتشريعات التي شرعها الإسلام لتنظيم جهود البشر جماعيا وفرديا وتوجيههم وجهة هادفة لتحقيق مصالحهم وسد حاجاتهم الدنيوية والأخروية وحفزهم بها إلى فعل الخير والبعد عن الشر ومنع الإفساد.

٨- تبني الإدارة الغربية التخطيط والتركيز على الزبائن وهي ربحية دنيوية هدفها الاساسي هو ارضاء المستهلك لتحقيق اهدافها وفي مقدمة تلك الاهداف تحقيق الربحية.

ثانياً :- التوصيات :

١- العناية بتقوية الجوانب المعنوية المتصلة بإدارة من المصادر الاسلامية لدى جميع الافراد بدون استثناء وفي جميع القطاعات.

٢- التخلق بأخلاقيات القيادة الإسلامية الناجحة، وذلك من خلال تهيئة كوادر مؤهلة ذات قدرات ومهارات متميزة لما لذلك من دور كبير في تحقيق الاهداف.

٣- الاهتمام بمبادئ الإدارة على وفق المنهج الإسلامي في جميع القطاعات، لما لها من قوة عقائدية وأخلاقية في تحقيق التطوير والإصلاح المنشود.

٤- من الأهمية تطبيق منهج الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) للإدارة في جميع

المؤسسات الدولية ويفضل تدريسها في مرحلة الاعدادية والجامعة.

٥- اختيار الشخص المناسب للمكان المناسب، وتبادل الرأي والاحترام المتبادل والعلاقة الدافئة بين الرؤساء والمرؤوسين.

٦- تنمية وتشجيع روح الإبداع والابتكار لدى العاملين ولقد كان الإسلام سباقاً إلى تنمية روح الابتكار والاجتهاد.

٧- تهيئة المناخ الباعث على الإتقان بما يوفره من ضمانات الحرية والشورى والمشاركة والتفويض والعدل والحوافز الملائمة والتكريم والتكافل، ذلك المناخ الذي يشجع العاملين على الحوار الحر المبدع والذي ينمي قدرات الحوار والمشاركة في اتخاذ القرارات والموضوعية في معالجة وجهات النظر المختلفة.

٨- تشكيل وحدة إدارية في كل مؤسسة تهتم بالقيم الإسلامية المحفزة على تجويد العمل، وإخلاص العمل لله عز وجل، والأمانة في أداء الأعمال، التعاون من أجل الصالح العام، لزيادة حماس الموظفين ووضعهم على الخط الصحيح.

٩- تشجيع الباحثين على النشر في المجلات العالمية، وذلك من خلال تغطية للنفقات المترتبة على الباحث والمرتبطة بعملية النشر.

الهوامش

- ١- المالكي، صبيح مزعل جابر والعباسي عماد الدين عبد الرزاق: التناسخ بين عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر والرسالة الخامسة (في نصيحة الملوك) لسعدي الشيرازي، مجلة جامعة بابل، المجلد ٢٢، العدد ٢، ٢٠١٤. ص ٣٠١ (بتصرف).
- ٢- الحسيني، صلاح هادي: القيادة الإدارية وأثرها في إدارة الموارد البشرية استراتيجي، دراسة ميدانية في المنظمات الحكومية في محافظة الناصرية- العراق، رسالة مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد في الأكاديمية العربية، في الدنمارك وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير، في إدارة الأعمال، قسم الإدارة، كلية الإدارة والاقتصاد، الأكاديمية العربية في الدنمارك. ٢٠٠٩.
- ٣- النمر، سعود وآخرون، الإدارة العامة- الأسس والوظائف، الطبعة الخامسة، الرياض، المملكة العربية السعودية. ٢٠٠١. ص ٥.
- ٤- الصباب، أحمد عبد الله، أصول الإدارة الحديثة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٢. ص ١٩.
- ٥- مصطفى، عبد الحميد و النابة، نجاته عبد الله: الإدارة التربوية : مفهومها - نظرياته - وسائلها، الطبعة الأولى، الإمارات للنشر والتوزيع، دبي، الإمارات العربية المتحدة. ٢٠٠٥. ص ٩.
- ٦- الجضعي، خالد: الإدارة - النظريات والوظائف، الطبعة الأولى، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٦. ص ١٨.
- ٧- المصدر نفسه. ص ١٩.
- ٨- الحميد، عبد الواحد بن خالد: ورقة مقدمة لندوة "أخلاقيات العمل في القطاعين الحكومي والأهلي" بعنوان "دور وزارة العمل في تنظيم وضبط أخلاقيات العمل في القطاع الخاص"، المنعقدة في معهد الإدارة العامة، الرياض، المملكة العربية

- السعودية. ٢٠٠٥. ص ٤.
- ٩- مطاوع، إبراهيم وأمينة أحمد: الأصول الإدارية للتربية، دار الشرق للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٦.. ص ٣٥.
- ١٠- مطاوع، ابراهيم: الإدارة التربوية في الوطن العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣. ص ٣٥.
- ١١- محمد، رأفت عثمان: الفكر الإداري في الإسلام، وقائع ندوة (٣١)، الإدارة في الإسلام، التي نظمها المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية بجدة بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة، المملكة العربية السعودية، للفترة من ١٥-١٩/٩/١٩٩٠. ص ١٢٣.
- ١٢- الضحيان، عبد الرحمن إبراهيم: الإدارة في الإسلام : الفكر والتطبيق، الطبعة الاولى، دار الشرق، جدة، المملكة العربية السعودية. ١٩٨٦. ص ٥٩.
- ١٣- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، مادة- دور، الجزء الرابع، صححها: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٥. ص ٤٤٨.
- ١٤- الصيني، محمد وحيومور، حسن: معجم الطلاب، مادة (أدار)، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٩١. ص ٥٠.
- ١٥- المزجاجي، أحمد بن داود: مقدمة في الإدارة العامة الإسلامية، الطبعة الاولى، الشركة الخليجية للطباعة والتأليف، جدة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠. ص ٤٩.
- ١٦- المطيري، حزام بن ماطر: الإدارة الإسلامية- المنهج والممارسة، الطبعة الاولى، مطابع الفرزدق، توزيع دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، المملكة

- العربية السعودية، ١٩٩٧. ص ٣٦.
- ١٧- سمارة، إحسان: الإدارة والقضاء الإداري في الإسلام، الطبعة الأولى، دار يافا العلمية، عمان، الأردن. ٢٠٠٠. ص ٢٣.
- ١٨- الشلعوط، فريز محمود أحمد: نظريات في الإدارة التربوية، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٢. ص ٧٣-٧٤.
- ١٩- سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
- ٢٠- الختم، خالد سر: علم الإدارة في الإسلام بين التنظيم والمنظور، شركة دار الحكمة للطباعة والنشر، الخرطوم بحري، السودان، ١٩٩٨. ص ١١٨.
- ٢١- احمد، سعيد سلمان: الادارة العامة العربية الاسلامية مفاهيم ونظرات تأصيلية، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية، السودان، العدد التاسع (عدد خاص)، ٢٠٠٤. ص ٢٦٢.
- ٢٢* الرسالة التي أرسلها الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) إلى مالك بن الاشر النخعي (رضي الله عنه) عندما ولاه الحكم في مصر. فهي عهد في كيفية إدارة الدولة وسياسة الحكومة ومراعاة حقوق الشعب وفيه نظريات الإسلام في الحاكم والحكومة ومناهج الدين في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والحرب والإدارة والأُمور العبادية والقضائية.
- ٢٣- سورة القصص، الآية: ٨٣.
- ٢٤- سورة الحجرات، الآية: ١٣.
- ٢٥- محمد رافت عثمان: مصدر سابق، ص ١٣٥.
- ٢٦- العاتي، ابراهيم: الرؤية السياسية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) - دراسة تحليلية في عهده إلى واليه على مصر مالك الأشر، ط ١، مطبعة الضياء للطباعة

والتصميم، النجف الأشرف، العراق. ٢٠١٠. ص ٦٢.

٢٧- فايز، علي شكر: الرعية في عهد الإمام علي (عليه السلام) لملك الأستر، http://www.haydarya.com/maktaba_moktasah/17/16.htm

تاريخ الزيارة: ٢٠/١١/٢٠١٦.

٢٨- العاتي، ابراهيم: مصدر سابق. ص ٦٢.

٢٩- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: معاني الأخبار، المتوفي

سنة ٣٨١هـ، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مصادر الحديث الشيعية، القسم

العام، المكتبة الشيعية الناشر انتشارات إسلامي الحوزة العلمية، قم المشرفة،

ايران، جميع الحقوق محفوظة ل مؤسسة آية الله العظمى الميلاني لإحياء الفكر

الشيعي. ١٩٥٩. ص ١٦٠.

٣٠- الشيرازي، ناصر مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، طبعة جديدة منقحة،

المجلد السابع، مصادر التفسير، المكتبة الشيعية، جميع الحقوق محفوظة ل مؤسسة آية

الله العظمى الميلاني لإحياء الفكر الشيعي، ص ١٨٤.

٣١- صياح، رحيم علي، والشمرى، عبد الحميد حمودي الشمري: الفكر الرقابي عند

الإمام علي (عليه السلام)، مجلة جامعة بابل، المجلد ٢٢، العدد ١، ٢٠١٤، ص ٤٢

- ٤٣.

٣٢- قاسم خضير عباس: الإمام علي وتكريمه من قبل الأمم المتحدة، موقع العتبة

الباسية المقدسة، الرابط : <https://forums.alkafeel.net/showthread.php?t=55487>

تاريخ الزيارة: ٣٢/١١/٢٠١٦.

المصادر

- القرآن الكريم.

- الاحاديث النبوية الشريفة.

- نهج البلاغة.

اولاً: المصادر العربية:

١- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، مادة- دور، الجزء الرابع، صححها: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٥.

٢- احمد، سعيد سلمان: الادارة العامة العربية الاسلامية مفاهيم ونظرات تأصيلية، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية، السودان، العدد التاسع (عدد خاص)، ٢٠٠٤.

٣- الجضعي، خالد: الإدارة - النظريات والوظائف، الطبعة الاولى، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٦.

٤- الحسيني، صلاح هادي: القيادة الإدارية وأثرها في إدارة الموارد البشرية استراتيجي، دراسة ميدانية في المنظمات الحكومية في محافظة الناصرية- العراق، رسالة مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد في الأكاديمية العربية، في الدنمارك وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير، في إدارة الأعمال، قسم الإدارة، كلية الإدارة والاقتصاد، الأكاديمية العربية في الدنمارك. ٢٠٠٩.

٥- الحميد، عبد الواحد بن خالد: ورقة مقدمة لندوة «أخلاقيات العمل في القطاعين الحكومي والأهلي» بعنوان «دور وزارة العمل في تنظيم وضبط أخلاقيات العمل

في القطاع الخاص»، المنعقدة في معهد الإدارة العامة، الرياض، المملكة العربية السعودية. ٢٠٠٥..

٦- الختم، خالد سر: علم الإدارة في الإسلام بين التنظيم والمنظور، شركة دار الحكمة للطباعة والنشر، الخرطوم بحري، السودان، ١٩٩٨.

٧- سمارة، إحسان: الإدارة والقضاء الإداري في الإسلام، الطبعة الأولى، دار يافا العلمية، عمان، الأردن. ٢٠٠٠.

٨- الشلعوط، فريز محمود أحمد: نظريات في الإدارة التربوية، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٢.

٩- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: معاني الأخبار، المتوفي سنة ٣٨١هـ، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، الناشر انتشارات إسلامي الحوزة العلمية، قم المشرفة، ايران، جميع الحقوق محفوظة لـ مؤسسة آية الله العظمى الميلاني لإحياء الفكر الشيعي. ١٩٥٩.

١٠- الصباب، أحمد عبد الله، أصول الإدارة الحديثة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٢.

١١- صياح، رحيم علي، والشمري، عبد الحميد حمودي الشمري: الفكر الرقابي عند الإمام علي (عليه السلام)، مجلة جامعة بابل، المجلد ٢٢، العدد ١، ٢٠١٤.

١٢- الصيني، محمد وحيصور، حسن: معجم الطلاب، مادة (أدار)، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٩١.

١٣- الضحيان، عبد الرحمن إبراهيم: الإدارة في الإسلام: الفكر والتطبيق، الطبعة الأولى، دار الشرق، جدة، المملكة العربية السعودية. ١٩٨٦.

- ١٤- العاتي، ابراهيم: الرؤية السياسية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) - دراسة تحليلية في عهده إلى واليه على مصر مالك الأشتر، ط ١، مطبعة الضياء للطباعة والتصميم، النجف الأشرف، العراق. ٢٠١٠.
- ١٥- المالكي، صبيح مزعل جابر والعباسي عماد الدين عبد الرزاق: التناص بين عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر والرسالة الخامسة (في نصيحة الملوك) لسعدي الشيرازي، مجلة جامعة بابل، المجلد ٢٢، العدد ٢، ٢٠١٤.
- ١٦- محمد، رأفت عثمان: الفكر الإداري في الإسلام، وقائع ندوة (٣١)، الإدارة في الإسلام، التي نظمها المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية بجدة بالتعاون مع جامعة الأزهر بالقاهرة، المملكة العربية السعودية، للفترة من ١٥-١٩/٩/١٩٩٠.
- ١٧- المزجاجي، أحمد بن داود: مقدمة في الإدارة العامة الإسلامية، الطبعة الأولى، الشركة الخليجية للطباعة والتأليف، جدة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠.
- ١٨- مصطفى، عبد الحميد و النابة، نجاته عبد الله: الإدارة التربوية: مفهومها - نظرياته - وسائلها، الطبعة الأولى، الإمارات للنشر والتوزيع، دبي، الإمارات العربية المتحدة. ٢٠٠٥.
- ١٩- مطاوع، إبراهيم وأمينة أحمد: الأصول الإدارية للتربية، دار الشرق للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٦.
- ٢٠- مطاوع، ابراهيم: الإدارة التربوية في الوطن العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣.

٢١- المطيري، حزام بن ماطر: الإدارة الإسلامية- المنهج والممارسة، الطبعة الاولى، مطابع الفرزدق، توزيع دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٧.

٢٢- النمر، سعود وآخرون: الإدارة العامة- الأسس والوظائف، الطبعة الخامسة، الرياض، المملكة العربية السعودية. ٢٠٠١.

ثانياً : المصادر الالكترونية :

قاسم خضير عباس: الإمام علي وتكريمه من قبل الأمم المتحدة، موقع العتبة الباسية المقدسة، الرابط :

تاريخ <https://forums.alkafeel.net/showthread.php?t=55487>

الزيارة: ٢٠١٦/١١/٣٢.

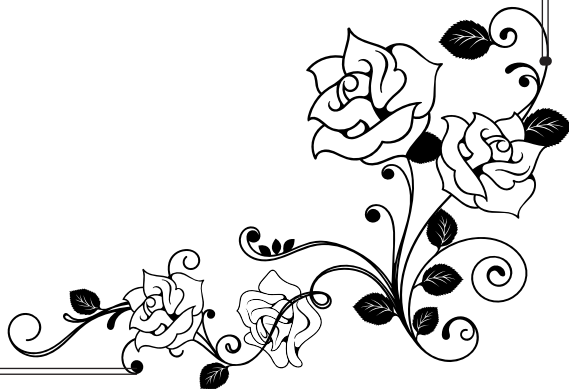
فايز، علي شكر: الرعية في عهد الإمام علي (عليه السلام) لملك الأشر،

http://www.haydarya.com/maktaba_moktasah/17/16.htm

تاريخ الزيارة: ٢٠١٦/١١/٢٠

**مبادئ الإدارة والقيادة
في عهد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)**

الشيخ سجاد الربيعي



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله المصطفى محمد (صلى الله عليه
واله وسلم) وعلى اصحابه المنتجبين الميامين

تعد الوثيقة الادارية التاريخية التي ضمنها الامام أمير المؤمنين (عليه السلام)
عهدا لمالك الاشر النخعي (رضوان الله عليه)، من الوثائق الادارية الاسلامية التي
ازدهرت بها كتب التاريخ والتراث الاسلامي والسيرة العلوية الشريفة. حيث تعتبر
هذه الوثيقة من المستندات التي احتوت على أسس ومبادئ أستندت من كتاب الله
الكريم والسنة النبوية المطهرة، وتمثل نظاما إداريا متكاملا في جوانبه. والتي عكست
الصورة الناصعة للحكم الاسلامي الحقيقي، من خلال العلاقة بين الحاكم والمحكوم
أو بين الراعي والرعية، وكيفية توزيع وتصريف الاعمال وتقديم المصالح العامة على
المصالح الشخصية، وليست فقط تتسم بالطابع الديني فحسب بل تعدت النظم العلمية
في الادارة ونظام الحكم. فجاء بحثنا الموسوم في عنوانه «مبادئ الادارة والقيادة في عهد
الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الاشر (رضوان الله عليه) دراسة تحليلية»

أهداف البحث :

الهدف من الدراسة هو تحديد المعالم الاساسية للنظام الاداري في النظرية الاسلامية. وتتركز أهداف البحث على النقاط التالية.

١- ابراز الفكر الاداري والقيادي للأمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من خلال رسالة العهد التي خطها لواليه على مصر الصحابي الجليل مالك الاشر (رضوان الله عليه).

٢- تسليط الضوء على الاسس والمبادئ الادارية والقيادية في العهد.

٣- التأكيد على المعايير الخلقية التي يتسم بها المسؤول الاداري في المنظومة الادارية والقيادية.

٤- ابراز عنصر العدالة والمساواة في نظام الحكم.

٥- التأكيد على عامل الدين والعطف والشفقة والتعامل الحسن في المنظومة الادارية.

ومن خلال هذا البحث نتعرف على المبادئ الادارية الاساسية في عهد الامام (عليه السلام) لمالك الاشر، المتمثلة بالخصائص والعناصر والواجبات والمهام الملقاة على عاتق المدير والتي يجب تحقيقها في المنظومة الادارية.

تتركز مبادئ الإدارة في العهد على المطالب التالية:

اولا- الادارة من موقع العبودية (مبدأ الاعتقاد)

قوله (عليه السلام) (هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْثَرِ)^(١)

يريد الامام ان يسلط الضوء على سلوكيات المدراء وانطباعاتهم وتصوراتهم وهما في موقع المسؤولية، هناك انطباعات وسلوكيات تدفع الانسان نحو التسلط وحب الدنيا وحب الجاه. ماذا تكون خلفية من يحمل هذه السلوكيات والانطباعات فيمن يكون في موقع السلطة، لاشك ولا ريب أنه حينما يصل الى موقع المسؤولية سيتخذ مجموعة من الاجراءات القاسية والقرارات الظالمة ويسير نحو الانحراف في تضييع الاهداف وخدمة الناس، ويعتقد بان من يعمل تحت أمرته هو عبد ويتعامل تعامل المولى مع عبده، وليس تعامل مسؤول مع مرؤوسين يستحقون الاهتمام والرعاية كما هو في فكر الامام (عليه السلام)

وهناك من ينظر الى موقع المسؤولية على انها محطة لهداية الناس وخدمتهم ومحطة يؤتمن فيها على مصالح الناس يضمن من خلالها حقوق الاخرين. فالجانب السلوكي والمعتقد له اثر كبير في مسار أداء المدراء على كافة الاصعدة، ممكن ان يلعب المدير دورا بارزا وسلوكا مغايرا لمعتقداته، لكن على المستوى البعيد لا يستطيع المدير أن يخفي تأثير معتقداته. الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) يقدم مفتاحا سحريا من مفاتيح النجاح والتفوق في الادارة لمالك الاشتر (رضوان الله عليه) وهو العبودية لله تعالى والاعتقاد بالمبدأ.

وهذه القضية ليست قضية من القضايا الثانوية أو قضية لا صلة لها بموضوع الادارة

والقيادة. العبودية لله استحضار العلاقة بين الانسان وربها لها الاثر العميق في مجمل السلوك الاداري في كافة المراتب، هذا الاستحضار يجعل الانسان المسؤول والقيادي يمارس علاقة الانسانية وفق النظرية الاسلامية، وليست العلاقة السلطوية مع غيره من العاملين تحت امرته. من هنا يشير الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده للمالك الاشر (رضوان الله عليه) واصفا حالة التعامل والانسجام في النظام الاداري وفق الرؤية الاسلامية.

(فَاعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ وَابْتَلَاكَ بِهِمْ وَلَا تُنْصَبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَدُ لَكَ بِنِقْمَتِهِ وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ.... أَنْصِبِ اللَّهُ وَأَنْصِبِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ اللَّهُ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَّدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ) (٢)

فينبغي للانسان المتصدي الارتباط بالمبدأ متوكلا عليه سبحانه وتعالى. قال (عليه السلام).

(وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ أَنْ يُوقِّعَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاؤُهُ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى الْعُدْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ وَجَمِيلِ الْأَثْرِ فِي الْبِلَادِ وَتَمَامِ النُّعْمَةِ وَتَضْعِيفِ الْكِرَامَةِ وَأَنْ يُحْتَمِيَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا وَالسَّلَامُ).

فيتحصل من ذلك: ان الرؤية الاسلامية التي يحملها المسؤول (العبودية لله والايان بالمبدأ) هما الركنا الاساسيان في تحقيق الاهداف الادارية في مسارات صحيحة

ثانيا - وحدة الاوامر وسلسلة المراتب:

قوله (عليه السلام) (وَاعْلَمَ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ وَمِنْهَا كِتَابُ الْعَامَّةِ وَالْحَاصَّةِ وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ وَمِنْهَا عَمَّالُ الْإِنصَافِ وَالرَّفِيقِ وَمِنْهَا أَهْلُ الْجَزِيَّةِ وَالخِرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذَّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمُسْكِنَةِ وَكُلُّ قَدْ سَمَى اللَّهُ لَهُ سَهْمُهُ وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وآله) عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مُحْفُوظًا فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ وَرِزْنُ الْوَلَاةِ وَعِزُّ الدِّينِ وَسُبُلُ الْأَمْنِ وَكَيْسَ تَقْوَمُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهَمِّهِمْ ثُمَّ لَا قَوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ هَمَّهُمْ مِنَ الْخِرَاجِ الَّذِي يَقْوُونَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ ثُمَّ لَا قَوَامَ لَهُذَيْنِ الصَّنِيفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّلَاثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعَمَّالِ وَالْكِتَابِ لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمُعَاقِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ وَيُؤَمِّنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا وَلَا قَوَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَاْفِقِهِمْ وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفِيقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقٌ غَيْرُهُمْ ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمُسْكِنَةِ الَّذِينَ يَحُقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ وَكَيْسَ يُخْرِجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ) (٣)

يستعرض الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف، موضحا فيه كل النشاطات والافعال ذات السياق الواحد التي تخضع لإدارة المدير الذي يكون مشرفا على كل الممارسات المطلوبة من قبل المرؤوسين في مبدأ توحيد

الأوامر وسلسلة المراتب، حتى لا يكون هناك خلل في العملية الاشرافية والرقابية التي يتولى أمرها المدراء في المنظومة الادارية.

ومقصودة (عليه السلام) من قوله (واعلم أن للرعية طبقات) ليس اثبات الطبقات بهذا المعنى بل بيان اختلاف الرعية في ما تتصدها من شؤون الحياة البشرية، حيث ان الانسان مدني الطبع يحتاج الى حوائج كثيرة في معاشه من المأكل والملبس والمسكن ولا يقدر فرد واحد بل افراد على إدارة كل هذه الامور فلا بد وان ينقسم الرعية بحسب مشاغله إلى طبقات ويتصدى كل طبقة شأنًا من الشؤون وشغلا من المشاغل، ثم يتبادل حاصل أعمالهم بعضهم مع بعض حتى يتم أمر معيشتهم ويكمل حوائج حياتهم^(٤).

كل واحد من هذه المستويات يمتلك صلاحية لما دونه من سلطة، وهذا يعد تنظيمًا للحياة البشرية في جميع جوانبها المختلفة على اساس تسلسل المراتب، فسلسلة المراتب عند الامام (عليه السلام) تبدأ من المسؤول وتنتهي عند الامام ثم الله تعالى فوق الامام وعلى الجميع.

فسلسلة المراتب هي نوع من بسط النفوذ والرؤية السلطوية، ومن الظواهر التي نشاهدها كل يوم في حياتنا الاجتماعية، ينبغي للمدير ضمن الصلاحيات الممنوحة له في التسلسل الوظيفي ان يكون مرنا لكي يستشعر النتائج الإيجابية في التسلسل الرتبي لما دونه، فالرؤية الاسلامية في الادارة لها ابعاد واسعة في العمل ولم تكن نوعا من الطبقية والتميز بين الافراد وإنما هي حالة تنظيمية للعمل وادارة شؤون الناس

يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في رسالة بعثها الى الاشعث بن قيس عامله على اذربيجان (وان عملك ليس لك بطعمة لكنه في عنقك).. أنت موظف، والوظيفة أمانة في عنقك لله والمسلمين، وليست مزرعة لك ومتجرا (وأنت مسترعى لمن فوقك).

إن عليك لحسبها ورقبها، وهو الخليفة، يحصي عليك جميع أعمالك، ويأخذك بها إن خنت وخالفت (ليس لك إن تفتت في رعية) أي تستبد وتستغل الرعية التي أنت لها خادم وأجير. (٥)

يعتبر الامام (عليه السلام) أن الوظيفة التي انيطت بالشخص ليست هي غنيمة وانما هي امانة، واداء الامانة على أحسن وجه من الامور الشرعية الواجبة في الشريعة المقدسة، فالمنصب عند امير المؤمنين (عليه السلام) انما هو امانة يؤتمن عليها في أي موقع من مواقع المسؤولية

قد قيل لحكيم : ما بال انقراض دولة آل ساسان ؟ قال : لأنهم استعملوا أصاغر العمال على أعظم الأعمال فلم يخرجوا من عهدتها، واستعملوا أعظم العمال على أصاغر الأعمال فلم يعتنوا عليها، فعاد وفاقهم إلى الشتات ونظامهم إلى البتات. وإذا اعتبرت القوة في العمل فكيف بنفس الأئمة المفوض إليهم إدارة الأمة (٦)

فيتحصل : ان سلسلة المراتب هي عملية توزيع الصلاحيات والعمل الجماعي، الذي هو سمة من سمات المنظومة الادارية في الاسلام، فان العمل المشترك الجماعي يمثل القاعدة المثلى للإدارة الصحيحة الناجحة التي تستنفر الطاقات والامكانيات

البشرية والمادية في خدمة الادارة الصالحة التي تعتمد على توزيع الصلاحيات من المسؤول الاعلى لمن هو دونه في سلسلة المراتب

ثالثا - تزكية النفس وكسر الشهوات :

قوله (عليه السلام) (وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمْعَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ... وإياك والإعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها ، وحب الإطراء فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه) (٧)

الجمحات لغة: (جمع): فعل، جَمَحَ / جَمَحَ إلى يَجْمَحُ، جُمُوحًا وجمَّحًا وجمَّحًا، فهو جامِح وجمَّوح، والمفعول مجمُوح إليه. وجمح الرجل أي ركب رأسه وهواه ولم يمكن رده، وجمح إلى الشيء: أسرع إليه، قال تعالى: (لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ^(٨))

الجمحات: منازعة النفس الى الشهوات ومآربها ونزعها بكفها وعدم تمكنها من الاسترسال في الشهوات، وان يكون اميرا عليها ومسيطرًا وقامعا لها من التهور والانهك^(٩)

الاطراء: لغة: مصدر أطرى، معتلاً، وهو مجاوزة الحدِّ في المدح و المبالغة فيه، يقال: أطرى فلانٌ فلاناً، إذا بالغ في المدح عليه، وأطراه إطراء مهموزا مدحه بها ليس فيه. ^(١٠) منه قوله (عليه السلام) في ذم الاطراء

(الصق بأهل الخير والورع ورضهم على أن لا يطروك فإن كثرة الاطراء مدن من الغرة والرضا بذلك يوجب من الله المقت. ^(١١))

أقول: يأمر الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) مالك الاشر

(رضوان الله عليه) أن يكسر نفسه من الشهوات وامام المغريات والطموحات والميول الشخصية، ويطلب الامام عليه السلام منه أن يمسك نفسه عند الجموح والتردد، فالنفس بطبعها أمارة وتبعث نحو السوء تتمرد وتنزع للوصول الى مآربها وشهواتها وتعري صاحبها وتحمله الى المهالك الامارحم الله. ويؤيد هذا المعنى ما ورد عن مولانا الامام زين العابدين (عليه السلام) بخصوص النفس الامارة، حيث يرسم الامام زين العابدين علي ابن الحسين (عليه السلام) في المناجاة الثانية من المناجاة الخمسة عشر المعرفة، النفس الامارة بكل وضوح ويشكو إلى الله تعالى منها بهذه الكلمات

(بوصفه قدوة لعموم الناس) ويقول (١٢) (إلهي إليك أشكو نفسا بالسوء أمارة، وإلى الخطيئة مبادرة، و بمعاصيك مولعة، ولسخطك متعرضة، تسلك بي مسالك المهالك، وتجعلني عندك أهون هالك، كثيرة العلل طويلة الأمل، إن مسها الشر تجزع، وإن مسها الخير تمنع، ميالة إلى اللعب واللهو، مملوءة بالغفلة والسهو، تسرع بي إلى الحوبة وتسوفني بالتوبة) (١٣).

يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلام ورد في غرر الحكم إن هذه النفس لأمارة بالسوء، فمن أهملها جمحت به إلى المآثم (١٤) و عنه (عليه السلام) : إن نفسك لخدوع، إن تثق بها يقتدك الشيطان إلى ارتكاب المحارم (١٥)، و عنه (عليه السلام) : كن أوثق ما تكون بنفسك، أحذر ما تكون من خداعها (١٦)

والامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع يشير الى نقطة مهمة، يقول ان من أخطر المخاطر على الانسان هو التصدي لإدارة أمور الناس من دون وجود قدرة على التحكم بالنفس

الامام (عليه السلام) يعبر عن الموقع الاداري بانه السلطة والنفوذ ومحطة اساسية لانطلاق الشهوات، فيكون ضعيفا أمام المغريات والملذات والشهوات

وهناك من يستطيع أن يميز بين المحطتين، محطة الانطلاق الى الخدمة وتقديم المصلحة العامة في تحقيق الاهداف والسعي لقضاء حوائج الناس، ومحطة يعبر عنها حكام الجور (فرصة لإشباع الرغبات والشهوات النفسية والتمتع بالملذات) (١٧)

يقول الامام (عليه السلام) في أحد حكمه في تأييد مانحن فيه (من ملك استأثر) (١٨) الاستئثار لغة (استأثر بالسلطة : استبدَّ بها) (١٩)، يعني الاستبداد فيقال هذا رجل مستبد برايه، وهذا مدير مستبد، وهذا رب أسرة مستبد، معناه كل من يصل الى

موقع المسؤولية ولم يكن محكما لنفسه يصاب بالاستئثار، فيتحول الى ملكة راسخة في النفس الانسانية

فاذا استطاع تحكيم النفس والسيطرة عليها فيتحول الاستئثار الى تواضع ومحبة وخدمة للناس، يقول (عليه السلام) (ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمْ اسْتِثْنَاءٌ وَتَطَاوُلٌ وَقِلَّةٌ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ فَاحْسِبْ مَا دَرَّةٌ أَوْلَيْكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ) (٢٠)

نلاحظ كيف الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) يشير الى مخاطر الاستبداد، بقوله (من استبد برأيه هلك) (ومن شاور الرجال شاركهم في عقولهم) (٢١). أي من اراد عقلا أكبر فليشاور الرجال، لأنه في مشورتهم مشاركة في عقولهم، ينبغي للإنسان ان يستشير الاخرين ويسمع لهم (الحكمة ضالة المؤمن) (٢٢)

ان الادارة في الرؤية الاسلامية وعهد الامام (عليه السلام) يجب ان لا تكون خاضعة لتأثيرات النفس وجوهراتها، لا بد ان تكون هناك تحكيم وسيطرة وتطبيع على ذلك في اداء الواجبات الادارية المتمثلة بالأشراف والتنظيم والرقابة والتخطيط واستثمار الطاقات وتحقيق الاهداف وخدمة الناس من اجل طرح ادارة ناجحة لها تأثيراتها في نمو الفكر البشري

رابعاً - الراي العام ومبدأ التوقعات :

قوله (عليه السلام) (ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دَوْلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلِ وَجَوْرِ وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاةِ قَبْلَكَ وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ هُمْ عَلَى أَلْسِنِ عِبَادِهِ فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ) (٢٣)

هذه المقطع من العهد على ايجازه يحمل معاني مهمة كثيرة في المنظومة الادارية من هذه المعاني ان الامام يستحضر في ذهن الاشر (رضوان الله عليه) الابعاد التاريخية لمصر والحكومات التي حكمت بلاد مصر وطبيعة نظام الحكم فيها من الظلم والعدل والجور، ونظر الناس الى الوالي ونظر الوالي اليهم والاجراءات التي يتخذها بعد ما كان ينظر اليها من بعيد وهي تحت سلطة الحكومات العادلة والحكومات الظالمة (لا بد من الفحص عن هذه الدول والفحص عن ما هي عادلة أو جائرة^(٢٤))

المقصود من هذه الدول هي العمال الاسلامين بعد فتح مصر، وهل يصح التعبير عنهم بانها دول ولو باعتبار شمول السلطة الاسلامية^(٢٥). يريد الامام (عليه السلام) ان يقول إن ذاكرة التاريخ ذاكرة قوية فالناس لا تنسى ما جرى عليها وعلى الامم الاخرى، لان الناس يعايشون الحكومات وتجارهم ويحفظون كل ما جرى، لان الذاكرة التاريخية اقوى من الطغاة والظالمون، فلا تنسى الناس ما حدث عليها من ظلم وجور واضطهاد وعدل كل شيء محفوظ في ذاكرة الناس ويتحدثون به في اوساط المجتمع حتى اصبح بعض الاشخاص فيهم بمثابة تاريخ مكتوب ويرجع اليهم كمصدر أساسي عند الحاجة في تدوين الاحداث التاريخية

فمنهج الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو تنشيط الذاكرة فيذكر الناس دائما بما مضى، وهو المنهج المطابق للقران الكريم عندما يتحدث عن الامم الماضية وسب هلاكها، فعلينا دائما ان نتمتع بزخم تاريخي وحضاري وان ننطلق ونبدأ من حيث انتهى الآخرون.

يقول الامام أمير المؤمنين في خطبة له تأييدا لما نحن فيه.

(أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيَاشَ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ الْمُعَاشَ فَلَوْ أَنَّ

أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي سَخَّرَ لَهُ مَلَكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَعَ النَّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الرَّزْقَةِ فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ رَمَتْهُ قِسِي الْفَنَاءِ بِنَبَالِ الْمَوْتِ وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةً وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ أَيْنَ الْفِرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفِرَاعِنَةِ أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيَّ وَأَطْفَأُوا سُنْنَ الْمُرْسَلِينَ وَأَحْيَوْا سُنْنَ الْجُبَّارِينَ أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجِيُوشِ وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ وَعَسَكُرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ وَمِنْهَا قَدْ لَبَسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدْبَارِهَا مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَالْمُعْرِفَةِ بِهَا وَالتَّفَرُّغِ لَهَا فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا فَهَوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ وَضَرَبَ بِعَسِيْبِ ذَنْبِهِ وَالصَّقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ. (٢٦)

الامام (عليه السلام) يستعرض في هذا المقطع من الخطبة المراحل التاريخية المهمة التي مرت على الامم وعاشوا الناس احداثها في ظلال حكوماتها. الامام (عليه السلام) يسلط الضوء على تاريخ البشرية السالفة فيتطرق الى ذو النفوذ والقدرة من غير الانبياء المرسلين، الفراعنة وابناء الفراعنة واصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين يتحدث عنهم القران الكريم ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّيِّسِ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ (٢٧) ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيِّسِ وَثَمُودُ﴾ (٢٨)، وقد ذكرهم القران مرتين، مما يبين كم كان لهم من التأثير، وقد وقف أمير المؤمنين (عليه السلام) عندهم وذكرهم وذكر بهم، هؤلاء كانوا معاندين وقفوا بوجه الحق ﴿قَتَلُوا النَّبِيِّينَ وَأَطْفَأُوا سُنْنَ الْمُرْسَلِينَ وَأَحْيَوْا سُنْنَ الْجُبَّارِينَ أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجِيُوشِ وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ وَعَسَكُرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ﴾ والحقيقة خلدوا الكي يكونوا

ملعنة للتاريخ

أَلْ : لَمَّا دَخَلَ النَّاسُ مَعَ عَلِيٍّ (عليه السلام) الْمَدَائِنَ وَوَقَفَ عِنْدَ طَاقِ كَسْرَى، تَمَثَّلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : يُقَالُ لَهُ الْحَرَبُ بْنُ سَهْمِ بْنِ الطَّرِيفِ فَسْتَشْهَدُ بَيْتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ مَعْرُوفٍ لِلْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرٍ* (٢٩) :

تركوا منازلهم وبعد إياد	ماذا أو مل بعد ال محرق
والقصر ذو الشرفات من سنداد	أهل الخورنق والسدير وبارق
كعب بن هامة وأبن أم دؤاد	ارضاً تحيرها لدار أبيهم
فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ	جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَكَانِ دِيَارِهِمْ
ماء الفرات يجيء من اطراد	نزلوا بأنقرة يسيل عليهم
يَصِيرُ إِلَى بِلَى وَنَفَادِ	وَإِذَا النَّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْهَى بِهِ يَوْمًا

فَقَالَ عَلِيٌّ (عليه السلام) : لَا تَقُلْ هَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ كَمَا قَالَ اللَّهُ : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْبُونَ* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ* وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنِينَ* كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (٣٠)، إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ كَانُوا وَارِثِينَ فَأَصْبَحُوا مَوْرُوثِينَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ اسْتَحَلُّوا الْحُرْمَ فَحَلَّتْ بِهِمُ النَّقْمُ، فَلَا تَسْتَحِلُّوا الْحُرْمَ فَتَحُلَّ بِكُمْ النَّقْمُ (٣١)

ينبغي للإنسان ان يعيش حياته بطريقة إذا مات بكى عليه الناس، ولا تبكيه الناس إلا حينما يفتقدونه فيذكرونه ويتأسفون على فقدته بسبب اثاره الطيبة معهم.

عن ضرار بن ضمرة قال : أوصى أمير المؤمنين عليه السلام

بنيه فقال : يا بني عاشروا الناس بالمعروف معاشرة إن عشتم حنوا إليكم، وإن متم

بكوا عليكم، ثم قال :

أريد بذاكم أن تهشوا لطلقتي
وأن تكثروا بعدي الدعاء على قبيري
وأن يمنحوني في المجالس ودهم
وإن كنت عنهم غائباً أحسنوا ذكري^(٣٢)

وقال ابن عباس : سأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أوصني فقال : لا
تحدث نفسك بفقر، ولا بطول عمر^(٣٣)، يدل هذا الحديث على أن الناس تشخص في
ذاكرتها الانسان العادل ذو الاخلاق الحسنة،

نحن بحاجة ماسة الى تعزيز هذه المفاهيم وترسيخها بشكل اكبر ليكون البناء
الاجتماعي سليماً في مجتمعنا في دائرة المسؤولين واصحاب المناصب، ونستطيع بناء دولة
على اسس صحيحة وفق منهج الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في تنظيم وتكيف
القانون نحو السلوك العادل.

ثم ينتقل الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهدة لملك الاشر (رضوان الله
عليه) الى استعراض المعايير الاساسية في نجاح المنظومة الإدارية في تحقيق الاهداف لمن
يتصدى لإدارة الامور.

خامسا : معايير نجاح المنظومة الإدارية

أولاً- الاعمال الصالحة : يقول (عليه السلام) (فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ) (٣٤)

هنا يذكر الامام (عليه السلام) أن واحدة من هذه المعايير التي يستدل بها على صلاح المسؤول والمتصدي هو تقييم الناس له من خلال الحديث عنه وبيان اعماله الصالحة.

انطباعات وتصورات الراي العام وتقييم اداء المسؤول تمثل واحدة من المداخل التي يستدل من خلالها على صلاح المسؤول ورشدة وحسن اداءه. لذا نلاحظ الامام (عليه السلام) يؤكد في هذا المقطع من العهد الشريف على العمل الصالح الذي يعد من الذخائر النفيسة للإنسان المتصدي وغيره، ونتيجة هذا العمل يتحقق الاحترام والتقدير والمحبة في قلوب الناس التي تحضي بتأييد من الله سبحانه وتعالى، ومن خلال حسن ظن الناس و تقييمها يكون قادرا على النفوذ الى قلوب الناس والسيطرة على عواطفهم من دون حاجة الى اظهار حالات التصنع والتظاهر بأمر معينه، ومن دون الحاجة الى المكر والخداع او التخويف والترهيب واستخدام الاساليب المغرية، وتضيق اموال بيت المال لأجل استمالة قلوب الآخرين وضمان السمعة الجيدة. فمعيار الراي العام في تقييم المسؤول هو العمل الصالح الذي يقوم به المتصدي فالحديث عنه بخير واحترام ونعته بصفاته الواقعية يعد من العطايا الالهية لا يحتاج اليها استخدام الطرق الملتوية.

ثانيا - الشح بالنفس والبخل عليها :

قوله (عليه السلام) (وَشَحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ) (٣٥)

ثم ينتقل الامام (عليه السلام) بوصية الى مالك الاشر (رضوان الله عليه) في كيفية التعامل مع آراء الناس بقوله (وَشَحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ).

الشح في اللغة : البخل مع حرص . تقول : شَحَّ يَشُحُّ مِنْ بَابِ قَتَلَ ، وفي لغة من بابي ضَرَبَ وَتَعَبَ ، ورجل شحيح وقوم شحاح وأشحة وأشحاء ، وتشاح القوم : إذا شَحَّ بعضهم على بعض) (٣٦)

تتضمن هذه العبارة من العهد الشريف مضامين عالية في الادب القيادي والإداري في المنظومة الاسلامية، فهي تخاطب المسؤول الذي يتحمل المسؤولية تجاه الآخرين بان يسيطر على قواه النفسية وان يكبح جماح نزواته ورغباته ومشاعره وأنانية والذي يؤكد عليه الإمام (عليه السلام) هو أن يستطيع الإنسان عند فوران الشهوة وثورة الغريزة أن يضبطها ويجعلها تحت إرادته، وبالعكس ذلك إذا سيطر هوى النفس على فكر الإنسان وعقله وقواه وملكاته الأخرى فإنه سيقود صاحبه إلى وادي الهلكة والخسران (٣٧)، ويؤكد هذا المعنى الامام الصادق (عليه السلام) بقوله (احذروا اهوائكم كما تحذرون اعدائكم، فليس شيء اعدى للرجال من اتباع اهوائهم وحصائد الستهم) (٣٨)، وفي غرر الحكم عن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) (أملكوا أنفسكم بدوام جهادها. يريد الامام (عليه السلام) من المسؤول ان يكون بخيلا مع نفسه، وان يكون شديدا عليها في مالا يحل له في القضايا التي لا يسمح له كمسؤول أن يارسها او يقوم بها،

فيتعامل بشح وبخل واقتصاد شديد ومراقبة وحزم كبير مع نفسه، وهذا يتحقق بعدم السماح لها بأن تنطلق لتحب كما تريد وتكره كما تريد (فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (٤٠) لعل النفس تحب اشياء تضر بها وهي لا تعلم، ولعلها تكره اشياء تنفعها وهي ايضا لا تعلم.

أذن هذه النفس تميل نحو أمور وتحجم عن أمور، وهي من الممكن أن تحجم عن الحق وتميل إلى الباطل، فمن حق النفس على صاحبها انصافها

ثالثا - التحكم بالنفس والسيطرة عليها :

ان السيطرة على النفس إحدى العوامل لنجاح المسؤول في مهمة المناطة به، باعتباره أنه ضمن دائرة السلطة والنفوذ والرغبات والامكانيات والامتيازات التي تمنح بعناوين متعددة، هذه يمكن أن توقع الانسان في المهالك وتحكيم الانا وعدم السيطرة عليه.

يعبر الأمام (عليه السلام) الى ذلك بقوله (فَأَمْلِكْ هَوَاكَ) اشارة الى ان الانسان أو المسؤول في أطار مسؤولية لابد ان يكون مسلطا على كل ما يملكه من قوى نفسانية وتحكيم العقل في سلوكياته وانطباعاته، يشير الامام (عليه السلام) الى هذا المعنى في رسالة بعثها الى الاسود بن قطبه الذي كان قائدا للجيش في منطقة حلوان الواقعة غرب ايران الذي تسمه اليوم بمدينة سربل زهاب على ما يذكره المؤرخون. * (٤١)

(أما بعد فإن الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا من العدل، فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء فإنه ليس في الجور عوض من العدل، فاجتنب ما تنكر أمثاله وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجيا ثوابه ومتخوفا عقابه، واعلم أن الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها قط فيها ساعة إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة، وأنه لن يغنيك عن الحق شيء أبدا، ومن الحق عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعية بجهدك فإن الذي

يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك والسلام. (٤٢)

المعنى: ان الوالي إذا اختلف هواه ونساق وراء رغباته ونزواته وميولاته فيكون الحاكم هنا الهوى والشهوات، فتكون سلوكياته وانطباعاته في مسؤولياته موافقة لحكم الهوى فلا ينتصر عدلا لاحد، فيما لو كان الخصمان عنده سواء بل كان هواه وميله إلى أحدهما أكثر ظلم وجار.

ويؤكد هذا المعنى ايضا كلام الامام (عليه السلام) في معنى الفتن والبدع الذي يتعبر منشأهما هو طغيان الهوى على العقل.

يقول عليه السلام (إِنَّمَا بَدَأُ وَقُوعَ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ وَتَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يُخَفَّ عَلَى الْمُتَرَادِينَ وَ لَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ وَ لَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْفٌ وَ مِنْ هَذَا ضِعْفٌ فَيُمَزَجَانِ فَهَذَا لِكَيْ يَسْتَوِيَ الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَ يَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى) (٤٣).

اساس الفتن والبدع امرين:

- ١- اتباع اهواء النفس والاحكام الموضوعة المخالفة لكتاب الله والسنة النبوية الشريفة
- ٢- تحريف القوانين لصالح الأطماع الشخصية وغياب العدل وتضييع الوظائف والاقبال على البدع (٤٤)،

يقول (عليه السلام) إن المذاهب الباطلة و الآراء الفاسدة التي يفتتن الناس بها أصلها اتباع الأهواء و ابتداع الأحكام التي لم تعرف يخالف فيها الكتاب و تحمل العصبية و الهوى على تولي أقوام قالوا بها على غير وثيقة من الدين و مستند وقوع هذه الشبهات

امتزاج الحق بالباطل من قبل بعض الساسة بالشكل الذي يصعب تمييزه على الناس، وادنى ذلك هو خداع الراي العام ببعض العناوين كحقوق الانسان والرفق بالحيوان ويوم العامل واطباء بلا حدود ومنظمة العفو الدولية.. الخ فالحكومات الاستكبارية تتشدد بالديمقراطية وضرورة الرجوع الى آراء الشعب فاذا تم ذلك وجرت الامور خلافا لمصالحها اللامشروعة عمدت الى الانقلاب أو إثارة الفتن وإظهار البدع. (٤٥)

هكذا يربي الامام (عليه السلام) المسؤول في المنظومة الإدارية والقيادية على الاخلاق الحسنه والحميدة في كيفية التعامل في مثل هكذا ظرف، من هذا المنطلق اصبح مناهج حكومة الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) يحتفل بها في المحافل الدولية والمؤتمرات العلمية، بالرغم من قصر مدة خلافة (سلام الله عليه) التي استغرقت سوى اربع سنوات ونيف، وتبقى كلماته (عليه السلام) تفرع اسماع العالم عندما اوصى ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) (والله الله في القرآن ولا يسبقنكم إلى العمل به غيركم).

منه اشار (عليه السلام) (كم من عقل أسير عند هوى أمير) (٤٦)، الهوى هو الحاكم فيصبح العقل الذي هو أمير اسيرا للهوى وللنزوات والرغبات.

وفي كلام آخر يصف فيه السعادة والشقاء. يقول (عليه السلام) (السعيد من وعظ بغيره فاتعظ، روضوا أنفسكم على الأخلاق الحسنة، فان العبد المسلم يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم) (٤٧) وعنه (عليه السلام) (الشقي من انخدع لهواه وغروره) (٤٨).

سادسا : ما يجب على المسؤول اجتنابه في المنظومة الإدارية :

قوله (عليه السلام) (وَشَحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ) (٤٩)

يتضح من عبارة الامام (عليه السلام) ان على المسؤول ان يمسك نفسه عما لا يحل ان يصدر منها وان كان حلالا على غيرك وجائز منه، كونك متصديا للمسؤولية يجب ان يحملك المزيد من الالتزام.

وقد وردت في هذا الموضوع العديد من النصوص التي تمثل درسا عظيما لعل (عليه السلام) في المنظومة القيادية، منها رسالة (عليه السلام) الى عثمان ابن حنيف والي البصرة، يوبخه فيها لاستجابة لدعوة أحد الاعيان والاثرياء في البصرة لمأدبة طعام، تصلح هذه الرسالة ان تكون درسا كبيرا للسالكين في طريق الحق والايمان ودرسا مهما في الإدارة والقيادة.

(أَمَّا بَعْدُ يَا ابْنَ حَنِيفٍ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمِ عَائِلَتِهِمْ مَجْفُوفٍ وَعَيْنِيهِمْ مَدْعُوٌّ فَانظُرْ إِلَى مَا تَقْضِمُهُ مِنْ هَذَا الْمُقْضَمِ فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ وَمَا أَيَقَنْتَ بِطَيْبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمَرِيهِ وَمِنْ طَعْمِهِ بِقُرْصِيهِ أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ أَعْيُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ فَوَاللَّهِ مَا كُنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبْرًا وَلَا ادْخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفَرًّا وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثُوبِي طِمْرًا وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شَبْرًا وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَفُوتِ أَتَانِ دَبْرَةٍ وَهَيَّ فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَوْهَنْ مِنْ عَفْصَةِ مَقْرَةٍ)

يخاطب الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلماته المسؤولين ويحذرهم من ان يعرضوا ويضعوا انفسهم للشبهات مع الاثرياء فيتحسس الفقراء من فقرهم ولو على مستوى تلبية الدعوة تناول الطعام. الاسلام ليس لديه مشكله مع الغنى ولا مع من يمتلك المال، ولكن المشكلة مع من يطرد الفقراء ويقرب الاغنياء، فلا مانع من أن يستجيب المسؤول لمائدة طعام يجلس عليها الغني والفقير

وهناك ملاحظة أخرى يطرحها الامام (عليه السلام) حول الدعوة الى المأدبة متمثلة من وجود اموال مشتبه فيها (فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هَذَا الْمُقْضَمِ فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ وَمَا أَيَقْنَتَ بِطَيْبِ وُجُوهِهِ فَنَلِّ مِنْهُ)

والملاحظة الأخرى أن الامام (عليه السلام) يؤكد على ان الولاية والمسؤولين في الحكومة الاسلامية يشكلون مبدأ القدوة (أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ) الاقتداء هو ان يقفوا الى جانب الناس وجمهور المستضعفين والمحرومين وان لا يعتنوا أبدا بالطبقة المترفة الذين تزداد توقعاتهم ونقل معونتهم، والتجارب تؤكد على أن المحرومين المستضعفين هم أول المدافعين عن الدين والبلاد الاسلامية في مواقع الخطر والظروف الصعبة (٥١)

ثم يطلب الامام (عليه السلام) من المتصدين الإعانة على إدارة الدولة وتسيير امورها بالورع عن ارتكاب المحارم وتعني في الحقيقة حالة التقوى في حدودها العالية، وان يكون المسؤول مجتهدا يعني يبذل الجهد الكبير في تحقيق العدالة وحماية المستضعفين والمحرومين، ويريد ايضا الامام (عليه السلام) من العاملين معه في حكومة الاعانة بعفة وسداد والعفة: بمعنى حفظ النفس في مقابل الشهوات والنوازع المختلفة، والسداد: يعني انتخاب الطريق الصحيح والمستقيم في اجتناب الطرق المختلفة التي تقود الانسان الى المتاهة والضلالة (٥٢).

هذا هو منهج الامام (عليه السلام) في تعامله مع المسؤولين والولاة في المنظومة القيادية في حفظ الاسلام وتقديم افضل ما تجود به النفس في خدمة الناس والمجتمع

سابعاً - وسائل التحكم والسيطرة على النفس :

ان الشح بالنفس والبخل عليها وامساكها عن الهوى والانجرار وراء الانحرافات لها وسائل ومستلزمات ومعايير تحكيم وسيطرة: من هذه الوسائل

أولاً- التقوى :

قوله (عليه السلام) (أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِثَارِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ الَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ) (٥٣)

التقوى لغة :- قال الراغب الاصفهاني في المفردات (وقى : الوقاية: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء. قال (فوقاهم الله، ووقاهم عذاب السعير، وما لهم من الله واق، مالك من الله من ولي ولا واق، قوا انفسكم وأهليكم نارا، والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا تحقيقه وصار التقوى في تعاريف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحذور ويتم ذلك بترك بعض المباحات، لما روي: الحلال بين والحرام بين، ومن رتع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه) (٥٤)

والتقوى اصطلاحاً: (عبارة عن الاجتناب عن محارم الله تعالى، والقيام بما اوجبه عليهم من التكاليف الشرعية، والمتقي هو الذي يتقي بصالح عمله عذاب الله، وهو مأخوذ من اتقاء المكروه بما يجعله حاجزاً بينه وبينه، كما يقال: اتقي السهم بالترس، أي

جعله حاجزا بينه وبين السهم) (٥٥)

ويشير الامام امير المؤمنين (عليه السلام) الى هذا المعنى بقوله (أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنها حق الله عليكم، والموجة على الله حركم . وأن تستعينوا عليها بالله وتستعينوا بها على الله. فإن التقوى في اليوم الحرز والجنة، وفي غد الطريق إلى الجنة. مسلكها واضح، وسالكها رابح، ومستودعها حافظ . لم تبرح عارضة نفسها على الأمم الماضين والغابرين لحاجتهم إليها غدا إذا أعاد الله ما أبدى، وأخذ ما أعطى، وسأل ما أسدى)

ولذلك نجد ان أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما يتحدث عن المنظومة القيادية وعن النجاح في الدور القيادي، يقف عند خصيصة التقوى ويعتبرها مفتاح التسديد والنجاح وذخيرة يوم الآخر الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون.

ثانياً - العقل :

من الامور المهمة والتي تساعد المسؤول والمتصدي للقيادة والإدارة هو التعقل والتدبير والنظر في الامور وضرورة وضع كل أمر موضعه بلا استبطاء أو عجلة وعدم الانجرار وراء الرغبات والاهواء.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) واصفا ثمرات العقل وهو وضع الامور في مواضعها

قوله (عليه السلام) (وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا أَوْ التَّسْقُطَ فِيهَا عِنْدَ امْتِكَانِهَا أَوْ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ أَوْ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ فَضَعَّ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ وَأَوْقَعَ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ) (٥٦)

العقل لغة: العقل نقيض الجهل،، يقال عقل يعقل عقلا، إذا عرف ما كان يجبهه قبل،

أو انزجر عما كان يفعله. وجمعه عقول. ورجل عاقل وقوم عقلاء. وعاقلون. ورجل عقول، إذا كان حسن الفهم وافر العقل^(٥٧).

العقل هو السور المانع والحصن، والعقل من العقال أي عقال من الجهل، هذه هي فائدة العقل للإنسان الذي يستعمل عقله دائماً في اتخاذ قراراته الصائبة ويسور مواقفه واقواله وسلوكياته خشية الوقوع في الجهل.

فقد ورد التأكيد عليه في الكثير من النصوص الشرعية.

منها ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قوله في وصف العقل (إن العقل عقال من الجهل، والنفس مثل أخبث الدواب فعن لم تعقل حارت، فالعقل عقال من الجهل، وإن الله خلق العقل فقال له : أقبل، فأقبل وقال له : أدبر فأدبر، فقال الله تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعظم منك ولا أطوع منك، بك أبدء وبك أعيد، لك الثواب وعليك العقاب)^(٥٨). فقد شبه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) النفس والهوى (بأخبث الدواب) أي الدابة التي لم تعقل، تهرب وتته كذلك النفس اذا لم تعقل فإنها تكون في تيه.

وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (العقل يوجب الحذر).^(٥٩)، - الجهل يوجب الغرر)^(٦٠)

وعنه (عليه السلام) في وصيته لمالك الاشر (رضوان الله عليه) قال (وَلَا تَدْفَعَنَّ صَلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَ اللَّهُ فِيهِ رِضًا فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَاةَ جُنُودِكَ وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ وَلَكِنَّ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صَلْحِهِ فَإِنَّ الْعَدُوَّ رَبِّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ فَخُذْ بِالْحَزْمِ وَأَتَمِّمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ)^(٦١)

فالإنسان حينما يستعمل عقله يتعامل بحذر في أقواله وأفعاله. وعنه (عليه السلام) (العقل أقوى أساس) ^(٦٢)، أقوى أساس يمكن أن يعتمده الإنسان في تفجير طاقاته وفق الرؤية الإسلامية الصحيحة، فيكون تفكيره منسجم مع الفطرة والمنطق

وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام) (للحازم من عقله عن كل دنية زاجر) ^(٦٣) الحزم هو ثمرة العقل، فالإنسان الذي يحتاط في قراراته يعمل ضمن إطار العقل في تدبير الأمور، وله الإرادة في اختيار تنفيذ القرارات المنسجمة وفق العقل والحكمة، فيكون محصنا لنفسه ويجد فيها مناعة من الوقوع في الخطأ وعدم الصواب والانحراف.

فيتحصل: ان استحضار العقل في السلوك والاداء والمواقف، يترك آثارا في مساحات الحياة، فالعقل يرفض كل ما يتنفر منه العقل كظلم الآخرين والعمل بالباطل. فينبغي للمسؤول والمتصدي ان يشح بنفسه و يجمع هواه بعقله ويمنع نفسه من الوقوع في المنزلقات كالشبهات والمواقف السيئة.

المداهنة: مُدَاهِنَةٌ: (اسم) مصدر دَاهَنَ (مُدَاهَنَةٌ الْمُسْؤُولِينَ: الْمَلَائِكَةُ، الْمُدَارَاةُ) ^(٦٤) والمداهنة هي التغطية على الحقيقة كما في الدهن الذي يستعمله الإنسان فيستر به البشرة ويغطيها. ^(٦٥)

إن أخطر شيء على المتصدي للمسؤولية الإدارية هو حينما يعتبر المسؤول نفسه في حالة استثناء عن الآخرين، وهذا ما يسمى بالاستثناءات كل ما هو ممنوع على الرعية جائز على الوالي، ويعتبر هذا تجاوز على المحظورات والقوانين في إدارة الدولة، حيث يشير الامام (عليه السلام) في هذا المقطع محذرا الولاة بالالتزام بالمواثيق المطلوبة وعدم الانجرار مع الاهواء والرغبات النفسية بالمداهنة مع الآخرين، يريد الامام (عليه السلام) ان يقول لا تبرر المواقف والاطعاء لأجل مصلحتك الشخصية فتضيع حقوق

الرعية بالظلم والعدوان عليها من أجل مراعاة مشاعر الآخرين، يقول عليه السلام. (وَمَهْمَا كَانَ فِي كِتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أَلْزَمْتَهُ) ألزمته أي حاسبة بحق وعدل من دون تملق وتزلف.

وقال صلى الله عليه وسلم محذرا من التملق (ليس من اخلاق المؤمن التملق) (٦٦)، وفيها تضييع للمبادئ والمثل من أجل الدنيا. وقد وقف أمير المؤمنين (عليه السلام) من هذه الظاهرة موقفا متشددا، فلقد شجبها ومنع التعامل بها لأنها من الاساليب المتتوية في السلوك، والتي تعبر عن عدم استقامة الشخصية وخواء الضمير، وهي من الظواهر التي لا تليق مع أخلاقية المؤمن بتاتا لكونها تتجه نحو المخلوق وتهجر الخالق.

وفي وصية لكميل بن زياد (رضوان الله عليه) (يا كميل لست والله متملقا حتى أطاع ولا ممنيا حتى لا أعصى، ولا مائلا لطعام الاعراب حتى انحل، إمرة المؤمنين وادعى بها (٦٧)

أذا في منهج أمير المؤمنين (عليه السلام) في القيادة ولإدارة عدم المداهنة وإظهار خلاف الواقع وخلاف ما يعتقدون، وعلّة التحذير من المداهنة هي أنها تفتح الباب أمام الإنسان للهجوم على المعصية، فمجرد أن يبدأ بالمداهنة حتى ينزلق في طريق المعاصي والابتعاد عن السياقات الصحيحة

ثامنا : الانصاف والعدل مع الرعية :

قوله (عليه السلام) أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى مِنْ رَعِيَّتِكَ،.... وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ،.... ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى وَلَا تَضْمَنْ بَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ وَلَا تُقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَاءِهِ وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَاءِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا

وَلَا ضَعْفَ أَمْرِي إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَاءِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا (٦٨)

هذا المقطع من العهد الشريف يشير إلى مبدأ آخر من مبادئ الإدارة في المنظومة الإسلامية يسمى (الانصاف)، حيث يشرف على مجموعة من السلوكيات والأفعال والأقوال العادلة، والذي يؤدي تطبيقه إلى زيادة روح الوفاء والولاء والإيثار والتضحية لدى الأفراد العاملين مما يحفزهم الى تقديم الافضل.

والانصاف: أن تعطي غيرك من الحق من نفسك مثل الذي تحب أن تأخذه منه لو كنت مكانه، ويكون ذلك بالأقوال والأفعال، في الرضا والغضب، مع من تحب ومع من تكره وهو لا يكون إلا بين اثنين، أو أمرين، أو أمر ذي طرفين (٦٩) يؤكد الإسلام على أن يجب المرء لأخيه ما يجب لنفسه، ويكره له ما يكره لها. ولعل أروع تعبير عنه ما رواه صاحب البحار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا يؤمن أحدكم حتى يجب لأخيه ما يجب لنفسه) (. لا يستكمل المرء الإيمان حتى يجب لأخيه ما يجب لنفسه) (٧٠)

الانصاف: يعني الوسطية والموضوعية والدقة في تقييم الامور، وألا يحكم المسؤول العواطف والمشاعر والانانيات فينتقم من كل ملا يظهر له الولاء والمحبة: لأن الوجه في تمكين الظالم مع القدرة على منعه أنه سبحانه مكنه ليعدل فظلم، لأن القدرة على الانصاف قدرة على الظلم (٧١).

جاء أعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا رسول الله علمني عملا ادخل به الجنة فقال: ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأته إليهم وما كرهت ان يأتيه الناس إليك فلا تأته إليهم (٧٢)

أهمية الانصاف والحث عليه في النظرية الاسلامية :

يؤكد الامام (عليه السلام) على الدور الذي يلعبه المسؤول في المنظومة الادارية، من عدم استغلال المنصب للوصول الى الاهداف الشخصية. يقول (عليه السلام) في أحد حكمه تأييدا لهذا المعنى (الانصاف يستديم المحبة).^(٧٣) عنه (عليه السلام) : الإنصاف زين الإمرة^(٧٤) وقال (عليه السلام) : الإنصاف يألف القلوب^(٧٥).

فيتحصل: إن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما يطلب من الوالي أن يكون منصفا، هذا معناه أن تقيمه من قبل الاخرين مرهون بعدم تعاطيه المطلق مع رغباته النفسية فيما يحب ويكره، هذا هو منهج أمير المؤمنين (عليه السلام) وعدالة، فلقد كان منصفا في تعامله مع الناس، فيعطينا درسا في كيفية تعامل المسؤول إداريا أن يكون منصفا وعادلا مع الناس لكي يحقق الاهداف المطلوبة في المنظومة الإدارية.

تاسعا- الانضباط والمساواة :

قوله (عليه السلام) وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيْدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَتَدْرِيْبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَالزَّمُّ كُلُّهُ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ... فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ مَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكَّلْ بِهِ وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ^(٧٦)

يوصي الامام (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد بعدة وصايا تعد أصلا من الاصول مهمة للإدارة الجيدة المنسجمة مع الرؤية الاسلامية القائمة على اساس العدل، والعدل هو وضع الشيء في موضعه، فيتعامل مع المحسن بما ينسجم مع إحسانه، ويتعامل مع المسيء بما ينسجم مع إساءته، وبناء على هذا المبدأ فإن الادارة الصحيحة المنسجمة مع الاسلام هي الإدارة التي تفرق في نظرتها بين العامل الخادم والعامل الخائن، فتكافئ الخادم وتعاقب الخائن أولا، وثانيا أن يكون المعيار في تشجيع الافراد هو ما يقومون به

من أعمال وما يترتب عليها من نتائج، فلو غيب عنصر الترغيب والترهيب في النظام وتمتع المحسن بذات الحقوق والامتيازات التي يحظى بها المسيء. فالمسؤول الناجح هو من يميز بين الأفراد في التعامل بين المحسن والمسيء في مدى الالتزام بالضوابط الإدارية وإطاعة الأوامر وتنفيذها وجعل سلوكهم مطابقاً لها، بما ينسجم مع الإحسان ولإساءته، ومن هنا تظهر أهمية العدالة في التعامل مع من هو تحت إدارته وقيادته.

عاشرا : معايير تقييم العاملين في المنظومة الإدارية :

من هنا ينبغي لنا الإشارة الى المعايير والأدوات الرئيسية لتقييم والتميز والفرز العاملين في المنظومة الإدارية في الفهم الاسلامي :

أولا - المعايير الأخلاقية :

من العوامل والادوات الاخلاقية التي من خلالها يتم تقييم وتميز العاملين هو عامل التقوى، والنزاهة، وعامل الحياء، والصدق، والورع، والإيثار الانتصار لله سبحانه وتعالى، الانسان الذي يمتلك هذه الادوات، يخاف الله ويتقيد بالضوابط الشرعية، وغيره اعني بذلك الانسان غير الملتزم الذي لا يمتلك من هذه الادوات أي شيء، ينظر الى العمل على انه فرصة للتلاعب والاستحواذ على المناصب، فينبغي للمسؤول ان يميز من خلال تقييمه بين كلا النوعين من الانسان، لكي يبقي العمل بيد أمينه لا تمتد الى الحرام.

يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهدة لملك الاشتهر (رضوان الله عليه) ضرورة التوخي والعمل بهذه الادوات في المنظومة الإدارية.

يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهدة لملك الاشتهر (رضوان الله عليه)

ضرورة التوخي والعمل بهذه الادوات في المنظومة الإدارية.

(أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِثَارِ طَاعَتِهِ) يسלט الضوء على عامل التقوى والايثار، ثم يشدد على حسن الاختيار أصحاب الاخلاق والسمعة الحسنة والتجربة والحياء واصحاب معرفة فيما تؤول اليه الامور (فإنهم اكرم اخلاقا... وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِيبَةِ وَالحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ النُّبُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا وَأَصْحَحُ أَعْرَاضًا وَأَقْلُ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقًا وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ.... واصحاب سمعة حسنة في المجتمع إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ هَمَّ عَلَى أَلْسِنِ عِبَادِهِ).

ثم أن الامام (عليه السلام) يطلب من المسؤولين ان يكون هناك رقابة إدارية تستطيع التميز والتقييم العاملين في مورد النزاهة والقدرة وعدم الوشاية والتحلي بالأخلاق الفاضلة (وَأَنْقَاهُمْ جَبِيًّا وَأَفْضَلَهُمْ حَلِمًا مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الغَضَبِ وَيَسْتَرِيحُ إِلَى العُدْرِ وَيَرَأْفُ بِالضُّعْفَاءِ وَيَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ العُنْفُ وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ... وان يكون قادرا على الإعانة ومواساة الآخرين. مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ بِمَا يَسْعُهُمْ وَيَسْعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ العَدُوِّ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ.... وعدم الوشاية والنميمة.. وَلِيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَاهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ^(٧٧)

ثانيا - معيار الافضلية :

يؤكد الامام (عليه السلام) على عامل التفضيل بين الافراد في المنظومة الإدارية و في مساحات العمل اليومي للعاملين، يقول (عليه السلام)

(أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ وَلَا تُمَحِّكُهُ الخُصُومُ وَلَا يَتِمَّادَى فِي الرِّلَّةِ وَلَا يَحْضُرُ مِنَ النِّفْيِ إِلَى الحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى

فَهُمْ دُونَ أَقْصَاهُ وَأَوْفَاهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ وَأَقْلَهُمْ تَبَرُّماً بِمَرَاجَعَةِ الْخُصْمِ
وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّصَاحِ الْحُكْمِ مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءٌ وَلَا
يَسْتَمِيلُهُ إِعْرَاءٌ وَأَوْلِيكَ (٧٨)

ثالثا - معيار الكفاءة والامانة والعلم والابداع والتواضع وحب الصالحين وبغض
الظالمين:

يشير الامام (عليه السلام) الى أدوات وعوامل آخر للتقييم الافراد العاملين في
المنظومة الإدارية، والتأكيد عليها، يقول (عليه السلام)

قوله (عليه السلام) (ثُمَّ انظُرْ فِي حَالِ كُتَابِكَ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ وَأَخْصُصْ
رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِيُجِوهَ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا
تُبْطِرُهُ الْكِرَامَةُ فَيَجْتَرِي بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَأٍ وَلَا تَقْصُرْ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيْرَادِ
مُكَاتَبَاتِ عَمَّا لَكَ عَلَيْكَ وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ فِيمَا يَأْخُذُكَ وَيُعْطِي مِنْكَ
وَلَا يُضْعِفُ عَقْدًا اعْتَقَدَهُ لَكَ وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ
نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّ..... الْجَاهِلَ يَقْدِرُ نَفْسَهُ يَكُونُ يَقْدِرُ غَيْرَهُ أَجْهَلَ ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ
إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ)..... وَلَكِنْ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُوا لِلصَّالِحِينَ
قَبْلَكَ فَاعْمِدْ، لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثْرًا وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجَهًا فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى
نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلَكِنْ وُلِّتْ أَمْرَهُ (٧٩)

رابعا - معيار المعرفة والاختيار وتوزيع الاعمال:

يوصي الامام امير المؤمنين (عليه السلام) مالكا (رضوان الله عليه) بعدم الاعتماد على
المعرفة الشخصية أثناء تقييم العاملين في المنظومة الإدارية، واعتمادها كعنصر أساسي في
العمل.

قوله (عليه السلام) (ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِلَّا هُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ فَإِنَّ الرَّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصْنُوعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ وَلَكِنْ اخْتَرَهُمْ بَمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ فَأَعْمَدُوا لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثْرًا وَأَعْرَفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجَهًا فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلَكِنْ وُلِّيتْ أَمْرَهُ..... ثم (عليه السلام) يستعرض طريقة تقييم توزيع الاعمال. يقول: وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا وَلَا يَنْشَتُّ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَعَابَيْتَ عَنْهُ أَلْزَمْتَهُ (٨٠)

الحادي عشر- الرقابة والتحكيم والتقويم:

قوله (عليه السلام) (ثُمَّ تَفَقَّدَ أَعْمَاهُمْ وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ..... وَتَفَقَّدَ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ وَاعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا وَشُحًّا قَبِيحًا وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ وَذَلِكَ بَابُ مَضْرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ..... وَتَفَقَّدَ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَفْتَحِمُهُ الْعُيُونَ وَتَحْقِرُهُ الرَّجَالُ فَفَرَّغُوا لَأَوْلِيكَ ثِقَّتَكَ مِنْ أَهْلِ الْحَشِيَّةِ وَالتَّوَاضَعُ فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ..... ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ..... وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْحَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ. (٨١)

توضيح: الرقابة لغة : رقب في أسماء الله تعالى: الرقيب: هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، وفي الحديث: ارقبوا محمدا في أهل بيته، أي أحفظوه فيهم. (٨٢)

أما في الاصطلاح فتعني عملية التحقق من مدى انجاز الأهداف المرجوة، والكشف عن الصعوبات في تحقيق هذه الأهداف، والعمل على إزالتها في اقصر وقت ممكن (٨٣)

التقويم: حكم العقلي والنظرة العميقة على الاشياء من خلال تقدير وتحكيم نتائج

الأمر وتفحصها .

يتناول الامام (عليه السلام) في هذه المقاطع من العهد الشريف لمالك الاشر (رضوان الله عليه) عناصر ثلاث أساسية في المنظومة الإدارية، ينبغي توفرها في كل من يتصدى للمسؤولية الإدارية، يتم من خلالها اكتشاف مواطن الاختلاف في نتائج العمل، ويجب الاستفادة من هذه النتائج لغرض تحسين أساليب الإدارة بشكل أفضل والاشراف على برامج وخطط العمل وتشخيص موارد الانحراف في أثناء ظهورها والعمل على إيجاد الطرق الكفيلة لإصلاحها

الثاني عشر - التحفيز :

قوله (عليه السلام) (وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا وَإِقْعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ..... فَأَيْتُهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخُّ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ^(٨٤))

يتناول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف لمالك الاشر (رضوان الله عليه) عنصراً آخر من عناصر مبادئ الادارة في المنظومة الإدارية: وهو عنصر التحفيز.

التحفيز لغة: نقول حَفَّزَهُ حَفْزًا، أي: حَثَّه وحرَّكَهُ، ومنه يتضح أن التحفيز يدل على تلك العوامل الخارجية التي تدفع الفرد إلى الحركة والقيام بعمل ما (تَحَفَّزَ تَهْيَأً لِلْمُضِيِّ فِيهِ).^(٨٥)

التحفيز: هو العملية التي تسمح بدفع الأفراد وتحريكهم من خلال دوافع معينة نحو سلوك معين أو بذل مجهودات معينة قصد تحقيق هدف^(٨٦)

ومن الآيات القرآنية التي تستخدم اسلوب التحفيز ما ورد في قوله تعالى.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨٧)

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ
بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَنَّ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًا (٨٨)

ومن كلام له (عليه السلام) في التزهيد من الدنيا والترغيب في الآخرة واستنهاض
النفوس وتذكيرها بما ستؤول إليه (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ مَّجَازٌ، وَالْآخِرَةُ دَارٌ قَرَارٌ،
فَاخْذُوا مِنْ مَمْرِكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، وَأَخْرِجُوا مِنَ
الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانَكُمْ، فِيهَا اخْتَبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ. إِنَّ الْمَرْءَ
إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟ لَلَّهِ أَبَاؤُكُمْ! فَقَدِّمُوا بَعْضًا يَكُنْ
لَكُمْ قَرْضًا، وَلَا تُخْلِفُوا كَلًّا فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ) (٨٩)

الثالث عشر: تغليب المصالح العامة على المصالح

الشخصية (الأرستقراطية):

قوله (عليه السلام) (وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ
وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ
مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ.... وَإِيَّاكَ وَالِاسْتِثْنَاءَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسُوءَةٌ وَالتَّغَايِبَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ
وَضَحَّ لِلْعَيُونِ فَإِنَّهُ مَا خُوذُ مِنْكَ لِغَيْرِكَ وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَعْطِيَةُ الْأُمُورِ وَيُنْتَصَفُ
مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ). (٩٠)

يتحدث الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف، عن
محورية العلاقة بين الامة والقائد في المنظومة الادارية.

يجب ان لا يكون الهدف هو ارضاء السلطة الحاكمة وما يسمى بالطبقة الارستقراطية اصحاب المصالح الخاصة، بل ينبغي ان يكون الهدف هو خدمة الناس وماتريده الامة

الأرستقراطية أرستقراطية: (اسم مصدر صِنَاعِيٌّ يَنْتَمِي إِلَى الطَّبَقَةِ الأَرِسْتَقْرَاطِيَّةِ: طَبَقَةٌ عَلِيًّا فِي المُجْتَمَعِ، يَمْلِكُ أَفْرَادُهَا الشَّرْفَ وَالْجَاهَ وَالسُّلْطَةَ. (٩١)

يتحدث الامام (عليه السلام) عن هاتين الطبقتين من الناس في عهده لمالك (رضوان الله عليه) بقوله (وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَثْوَنَةً فِي الرَّخَاءِ وَأَقْلَ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ وَأَقْلَ شُكْرًا عِنْدَ الإِعْطَاءِ وَأَبْطَأَ عُدْرًا عِنْدَ الْمُنْعِ وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ (٩٢)

الرابع عشر: معايير نجاح المنظومة الادارية :

لذا يشير الامام (عليه السلام) من خلال هذا المقطع الى معايير ثلاث ناجحة في المنظومة الادارية.

أولاً- حالة الاعتدال والوسطية : ويتمثل بقوله (عليه السلام) (وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ) (٩٣) إشارة الى الدفاع عن الحق شرط أساسي وموقوف على الحق.

ليس المراد من مراعاة الحق والعدل هو قيام المدينة الفاضلة في عالم الازهان، وهذا ما يؤدي بدوره إلى تحجيم القرارات العملية والدفع بالحاكم إلى المثالية.

ولذلك يحث الامام (عليه السلام) الحاكم بقوله (أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ) إلى الأخذ بنظر الاعتبار الواقع والامكانيات المتاحة في المجتمع، وعليه فهو يوصي الوالي والحاكم بمراعاة كل ما من شأنه التقرب من الحق، وعدم التهرب من المسؤولية بذريعة تعذر

إقامة الحق بكل ما لهذه الكلمة من معنى^(٩٤). أن المهم هو تحقيق رضا الغالبية الساحقة من الناس لا الأقلية من أصحاب الثروة من الانتهازين الذين يعيشون في بلاط الحاكم أو السلطان، ويقول الامام (عليه السلام) (فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ)^(٩٥)

كما حدث في زمان عثمان حيث إن سوء سياسته وعدم تأديته الحقوق العمومية صار سببا لنقمة عامة الجيش الاسلامي، فانحازوا من مصر والكوفة واجتمعوا في المدينة وحصروا عثمان ولم يقدر خاصته كمروان بن الحكم وسائر رجال بني أمية مع كمال نفوذهم ودهائهم أن يصدوا سيل الثائرين والمهاجمين حتى قتل عثمان في داره وألقي بجسده إلى البقيع وتبعه ما تبعه من الحوادث الهامة^(٩٦).

إذن ينبغي على المسؤول في المنظومة الإدارية الناجحة أن يتخذ أسلوب الوسطية في مجمل أذائه من خلال تقدير ظروف وقدرات الناس المسؤول عنهم، فعندما يريد أن يصدر أوامره لا بد أن تكون هذه الأوامر منسجمة مع الحالة الوسطية وخالية من حالة الإفراط والمبالغة. وهذا هو منهج الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في ترسيخ أسس الاعتدال والوسطية في قلوب وأذهان الناس.

ومن كلام له (عليه السلام) (الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله)^(٩٧)

ثانيا - العدالة والمساواة :

يطلب الامام (عليه السلام) بوصية لمالك (رضوان الله عليه) التعامل بالعدل مع الجميع، فلا يكفي أن يكون عادلا مع البعض وغير عادلا مع البعض الآخر، عدم استثناء أحد في خصوص العدالة يقول (عليه السلام) (وَأَعْمَهَا فِي الْعَدْلِ).^(٩٨)

يعتبر العدل من الخصائص الاسلامية والقيم الانسانية العليا في المنظومة الإدارية المتمثلة بالإدارة المثلى للرسول الاعظم (صلى الله عليه واله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) بحكم القرآن الكريم (وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) (٩٩)

وسئل الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) (أيما أفضل العدل أو الجود) فقال عليه السلام: العدل يضع الأمور مواضعها، والجود يخرجها من جهتها. والعدل سائس عام، والجود عارض خاص. فالعدل أشرفهما وأفضلهما (١٠٠)

وعنه (عليه السلام) (من كمال السعادة السعي في صلاح الجمهور) (١٠١)

فاذا أردنا ان نبني مجتمعا صالحا وفق النظرية الاسلامية ومنهج علي (عليه السلام) ان نشعر الجميع بحقوق المواطنة الصالحة ومن هذه الحقوق العدل.

ثالثا - رضا الناس:

يشير الامام (عليه السلام) في المقطع الى مسألة أخرى في تغليب المصالح العامة على المصالح الخاصة في المنظومة الإدارية. وهو رضا الناس.

لا يتحدث الامام (عليه السلام) عن رضا الناس بأجمعهم، لأن رضاهم غاية لا تدرك، ولا تيسر لكل احد حتى الانبياء والاصياء لم يستطيعوا أن يحققوا رضا عامة الناس، لكن يعتبر الامام (عليه السلام) إن إرادة الامه لها السبق على إرادة الحكومة، مما يدعوا ان تكون المالكية الشرعية للدولة هو الشعب (الأمه) وتكون الحكومة في خدمة الشعب وملبية لمطالبه وتحقيق طموحاته، من خلال معالجة مشاكله وأزماته.

وتأييدا لذلك في خصوص مانحن فيه ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان كيفية معالجة آراء الناس وتحقيق رضاهم، قال (عليه السلام) في مورد رفضه

ليبعة

(دَعُونِي وَالتَّمِسُوا عَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وُجُوهٌ وَ أَلْوَانٌ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ
وَ لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ وَ إِنَّ الْأَفَاقَ قَدْ أَغَامَتِ وَ الْمُحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَ اَعْلَمُوا أَنِّي إِن
أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَ لَمْ أَضْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَ عَتَبِ الْعَاتِبِ وَ إِن تَرَكَتُمُونِي فَأَنَا
كَأَحَدِكُمْ وَ لَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَ أَطُوعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ وَ أَنَا لَكُمْ وَ زِيرًا خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي
أَمِيرًا) (١٠٢)

يقول (عليه السلام) للناس نحن في ميدان ومعتك فيه اختلافات والتباسات وبدع
حادثة تخلفت من جراء غضب الخلافة من قبل الحكام الماضين، وسرتم بسيرتهم وتابعتهم
طرقهم وسلوكياتهم في الحكم في توزيع الاموال التي كانت خلاف السنه النبوية، فلا
تستطيعون بهذه الصورة ان تنسجموا مع الرؤية الحققة.

يريد الامام (عليه السلام) ان يقول للناس إن تحقيق العدالة أمر صعب في حد نفسها
واجرائها فمن لم يذق طعمها أصعب واشكل فإن قلب المنافق بمعزل عن القيام بالحق
وعقله بعيد عن درك الحقائق والفائل الانسانية (١٠٣)

إن الامام (عليه السلام) كان ينتمي الى مدرسة تلمي عليه القيام بالمسؤولية واحياء
الدين ومفاهيمه السامية وتعاليمه الحقه ويسير في الناس بما يعلم وان تعارضت أهدافه
مع أهداف الناس ولا يابه بعتب العاتب وان كلف ذلك حياته، لأن رضا الناس غاية لا
تدرک، ورضا الله غاية لا تترك

الخامس عشر: المركزية في القرار:

قوله (عليه السلام) (ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا مِنْهَا إِجَابَةٌ عَمَّا لَكَ بِهَا يَعْيَا عَنْهُ كِتَابُكَ وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَخْرُجُ بِهِ صُدُورٌ أَعْوَانِكَ) (١٠٤)

يتحدث الامام (عليه السلام) في هذا المقطع الشريف من العهد حول السلطة التنفيذية، المتمثلة بالمسؤولين والعاملين في المنظومة الإدارية الذين تفوض لهم الاعمال ومباشرتها بأنفسهم، يلزم على المسؤول فيما بينه وبين العاملين معه، أن يتصدى بنفسه على إجابات العمال، من الواضح أن كبار المسؤولين لا يتمكنون من القيام بكافة مهامهم، فيضطرون لتفويض البعض منها لمساعدتهم ومستشاريهم، ولكي يستطيع المسؤول من ممارسة إشرافه على سير مهام مساعديه، فإن عليه أن يفرق بين الاعمال ذات الأولوية عن تلك الثانوية غير الضرورية، فيباشر الأعمال ذات الاولوية على نحو يعين لها أوقاتها بالسرعة والدقة بالاستعانة بمساعديه في سائر الاعمال فلا يؤجل عمل اليوم الى غدا (١٠٥)

السادس عشر: ستر العيوب :

قوله (عليه السلام) (وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ أَطْلُبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا أَلْوَالِي أَحَقُّ مِنْ سَتْرِهَا فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّهَا عَلَيْكَ تَطْهِيرٌ مَا ظَهَرَ لَكَ وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حَقْدٍ، واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يضح لك) (١٠٦)

يتحدث الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف لمالك الاشر (رضوان الله عليه) عن سمات الاشخاص الواجب إبعادهم عن المنظومة الادارية،

في مجملهم هؤلاء يشكلون خطراً على سمعة وقرار الذي يصدر من المسؤول الإداري، ويشير الامام (عليه السلام) الى صنفين من هؤلاء الناس، الصنف الأول الانتهازين المتبعون لعيوب الناس ونقاط الضعف والقصور فيهم ما يسمى (النائم والوشاة)، والصنف الثاني ما يسمى بالسعاة في الناس عند السلاطين الامام (عليه السلام) يشير إلى صفة ورذيلة من الرذائل الخلقية والتي اعتبرها الاسلام من أقبح الرذائل وهو النميمة والوشاية.

ثم يبين الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) أولوية المسؤول أو الحاكم في المنظومة الإدارية، ستر عيوب الناس (فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا).

ثم ينهي الامام (عليه السلام) المسؤول من تتبع عثرات الناس وعيوبهم (فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا) أي لا ينبغي البحث عن العيوب الخفية للناس، كالتصنت عليهم أو الاطلاع على خفايا حياتهم الشخصية. كما ورد في القران الكريم بالنهي عن التجسس (وَلَا تَجَسَّسُوا) (١٠٧)

السابع عشر. حفظ الاسرار:

قوله (عليه السلام): (ثُمَّ انظُرْ فِي حَالِ كُتَابِكَ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ وَأَخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِيُجِوهَ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكِرَامَةُ فَيَجْتَرِي بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَا) (١٠٨)

يتحدث الامام امير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد، حول مبدأ آخر من مبادئ الإدارة في الاسلام، وهو مبدأ حفظ الاسرار في المنظومة الادارية.

لان المدير في الإدارة بحاجة الى جمع المعلومات حول لياقة العاملين معه، وقدراتهم وإمكاناتهم وذكائهم وتجاربهم وسوابقهم الحسنة والسيئة وذلك بهدف اختيار الاصلح

من بينهم لتسلم المسؤوليات، وفي حال أنتشار هذه المعلومات في المؤسسة أو نقلها الى الاشخاص أنفسهم فقد يؤدي ذلك الى اثار نفسية وردود فعل غير مناسبة، تؤدي الى انهيار المنظومة الإدارية.

ما يسمى اليوم بالذاتية أي موظفي الدوائر المختصة بالملفات والاوراق السرية، أسماه أمير المؤمنين (عليه السلام) بالكتاب، فوصف الامام (عليه السلام) لمالك على أن يكونوا خير الكتاب (قَوْلٌ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرُهُمْ)، لأنهم المكلفون بحفظ أسرار الدولة وصيانة خططها والوثائق الخاصة برجال معينين^(١٠٩) التي يجب إخفاءها من الغير ممن لا يحتاطون بحفظها، وايداعها لدى الامناء ممن يمتلكون الاخلاق الفاضلة، فحفظ الاسرار في المجال الإداري يؤمن المنظومة الادارية من الوقوع في الاخطار، وتحفظ للإنسان كرامة ومكاسبه، وتحقق له الاهداف المستقبلية، وسد الابواب والطرق أمام المنافسين من الاعداء. وفي هذا المجال ورد عن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول
سرك أسيرك، فإن تكلمت به صرت أسيره^(١١٠)

الثامن عشر. تأثير العلاقات القريبة للمدراء واهتمامهم بالعاملين معهم :

قوله (عليه اسلام) (ثُمَّ الصَّقُ بِذَوِي المُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ وَأَهْلِ البِيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحُسْنَةِ ثُمَّ أَهْلَ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاخَةِ فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ)^(١١١)

يتحدث الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع من العهد الشريف في وصية لمالك الاشر (رضوان الله عليه) حول مبدأ آخر من مبادئ الادارة في الاسلام، وهو تأثير العلاقات المتبادلة بين المدير والعاملين معه في المنظومة الادارية، والتي من خلالها تترتب القضايا المعنوية في تقوية الاطر الادارية وتحفيز العاملين نحو العمل، وهو

ما يسمى بالاصطلاح العلمي والمنطقي بعلم النفس التحليلي، وعنصر اختيار أفضل الرجال لقيادة الجيش في تولية المهام والوظائف الإدارية.

الامام (عليه السلام) يشرح لمالك (رضوان الله عليه)، في كيفية اختيار الموظفين في دوائر الدولة كالجند ورؤساء الامراء وغيرهم، بعد مراعاة العناصر التالية:

١- المرؤة والنسب: ومن معاني المروءة أنها (آداب نفسانيّة، تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق، وجميل العادات من أصحاب الشخصيات المتميزة) (١١٢) النسب : هو البعد الاجتماعي الذي يمتلكه الانسان الذي يتأثر بالعامل الوراثي، للأسرة والقبيلة،

٢- البيوتات الصالحة : إشارة إلى الاسر والعوائل النظيفة والمرموقة في المجتمع (١١٣)

٣- السوابق الحسنة: إشارة الى السمعة الجيدة التي تمتلكها هذه البيوتات، والتي جعلت عموم الناس تتحدث بسجاياهم الحسنة.

٤- النجدة : يريد الامام (عليه السلام) ان يشير الى نقطة مهمة، وهو لا بد من التميز بين شخصيتين عند الناس، الشخصية الاولى التي تمتلك عنصر الروح العالية في التضحية والمكانة الاجتماعية. وبين الشخصيات الانتهازية أصحاب المطامع الشخصية، لم يكن لهم اهتمام بروح المحبة وخدمة الناس. فيقول الامام (عليه السلام) الصق باهل النجدة أصحاب الروح والهمة العالية، هؤلاء لم يتكاسلوا في أمر ما.

٥- الشَّجَاعَةُ وَالسَّخَاءُ وَالسَّمَّاحَةُ : من يتصف بالشجاعة يتحلى أيضا بالنجدة، وعظم الهمة، والثبات، والصبر، والحلم، والسَّخَاءُ : عبارة عن الجود والكرم، والسخي هو الجواد الكريم. السَّمَّاحَةُ: هي المساهلة والسلاسة واللين في التعامل وسعة الصدر والاتصاف بالحلم

التاسع عشر. الإحسان والمرتب والمكافأة:

قوله (عليه السلام) (ثُمَّ تَفَقَّدَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَكْدِهِمَا، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، وَافْسَحَ لَهُ فِي الْبَدْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، ثُمَّ أَسْبَغَ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَغِنَى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ تَلَمَّوْا أَمَانَتَكَ (١١٤)

يتحدث الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه المقاطع في وصية لمالك (رضوان الله عليه) حول عناصر آخر في المنظومة الادارية، ويجب على المسؤول الاداري العمل بها، وهما عنصر الإحسان الى الناس، وتوزيع الحقوق والمكافأة الشهرية. يقول (عليه السلام) (تَفَقَّدَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَكْدِهِمَا) أحد العناصر المهمة في نجاح المنظومة الادارية في المهمة المناطة بها، لا بد من توفر عنصر الاحسان للأخرين

وقال (عليه السلام) في قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ): العدل الانصاف، والاحسان: التفضل (١١٥)

ثم ينتقل الامام (عليه السلام) الى عنصر آخر من مبادئ الادارة في الفهم الاسلامي، وهو مبدأ المكافأة والحقوق الشهرية، (وَافْسَحَ لَهُ فِي الْبَدْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، ثُمَّ أَسْبَغَ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَغِنَى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ تَلَمَّوْا أَمَانَتَكَ

العشرون - المشورة :

قوله (عليه السلام) (وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدُلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعْدُكَ الْفَقْرَ وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ السَّرَّهَ بِالْجُورِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ) (١١٦)

يتحدث الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده لمالك الاشر (رضوان الله عليه) عن محور آخر من محاور العمل في المنظومة الادارية، وهو كيفية تمكين المسؤول من اختيار مستشاريه الاكفاء في شؤون الادارة، ليستطيع من خلال ذلك الاستفادة من أفكارهم وتجاربهم العملية وآراءهم المدروسة والمبنية على الاسس المنطقية.

المشورة: التشاور والمشاورة والمشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض الآخر من قولهم: شرت العسل إذا اتخذته من موضعه واستخرجته منه. (١١٧)

إن مسألة المشورة والاستشارة تعد من أهم المسائل الاجتماعية في الحياة الانسانية، وهناك نصوص عديدة من السنة الشريفة تؤكد على مبدأ التشاور. منها ما ورد عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) (من أراد أمراً فشاور فيه وقضى هدي لأرشد الأمور) (١١٨)

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: سئل رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عن العزم فقال: (مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم) (١١٩)

وعنه (عليه السلام): (حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء ويضم إلى علمه علوم الحكماء) (١٢٠)

وعنه (عليه السلام): (من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ) (١٢١)

لذا نرى تأكيد الامام (عليه السلام) في وصيته لمالك الاشر (رضوان الله عليه)، لكل

من يتصدى ويتحمل المسؤولية أن يختار مستشاريه بشكل دقيق، ويحذر الامام (عليه السلام) من ادخال اصناف ثلاثة من الناس في المشورة، ممن يحملون الصفات الاخلاقية المذمومة التي نهى عنها الاسلام، البخل، الجبن، الحرص.

فيتحصل: إن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) يحذر المسؤولين من إدخال الاصناف الثلاثة في المنظومة الإدارية، بهدف الاستحواذ على كل شيء بغير حق ثم يقول (عليه السلام) إن الاصل في هذه الخصال (البخل، الجبن، الحرص والطمع) هو سوء الظن بالله سبحانه وتعالى.

ويؤكد الامام (عليه السلام) أن هناك معايير ومواصفات إيجابية للمستشارين ينبغي للمسؤول النظر والتفحص فيها، وهي على سبيل الحصر، (الصدق، العقل، الاخلاص، الشجاعة، الدراية، التجربة والاختصاص، تغليب المصالح العامة على المصالح الشخصية)، ويحذر (عليه السلام) اضافة الى الصفات الثلاثة التي مر ذكرها من المواصفات السلبية الاخرى للمستشارين، وهي (الكذب، التهور، ضيق الافق، الجهل والجهال...).

وعنه (عليه السلام): (لا تستشير الكذاب فإنه كسراب، يقرب إليك البعيد ويبعد عليك القريب) (١٢٢)

الخاتمة والاستنتاجات

بالنظر لأهمية مفهوم مبادئ الإدارة والقيادة، فقد توصل الباحث الى ان دراسة هذه المبادئ وتحليلها نستطيع من خلالها ايجاد نظام إداري يكفل الاستقرار الوظيفي في إدارة البلاد، ويضمن سلامة الاهداف في المنظومة الادارية القيادية.

ويوصي الباحث على التركيز الاعلامي في طرح موضوعات العهد في الجانب الاداري والقيادي في المراكز العلمية كالجامعات والمعاهد، ويوصي بالاهتمام العلمي به.

الهوامش

- ١- نهج البلاغة: رسالة ٥٣
- ٢- نهج البلاغة: رسالة ٥٣
- ٣- نهج البلاغة: ٥٣
- ٤- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: للعلامة المحقق ميرزا حبيب الله الخوئي: ج ٢٠: ص ١٧٥
- ٥- في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية الجزء: ٣ ص ٣٨٩
- ٦- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: الشيخ المتظر الجزء: ١ ص ٣٢٧
- ٧- نهج البلاغة: ٥٣
- ٨- معجم المعاني: للسيوطي: مادة جمع
- ٩- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ج ١٧ ص ٢٣
- ١٠- لسان العرب: ابن منظور: ج ٨: ص ١٦٠: وينظر مجمع البحرين، ج ٢، ص ١١٠١.
- والصحيح: ج ١: ص ٤٠٣
- ١١- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي ص ٨١
- ١٢- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج ١٠ ص ٢٩٤
- ١٣- الصحيفة السجادية لأمام زين العابدين (عليه السلام) مناجاة الشاкин ليوم السبت
- ١٤- غرر الحكم: ٢١٠٦، ٣٤٩١، ٣٤٨٩، ٣٤٩٠، ٧١٧٠. وينظر ميزان الحكمة: محمد الري شهري الجزء: ٤ ص ٣٣٢٥
- ١٥- غرر الحكم: ٢١٠٦، ٣٤٩١، ٣٤٨٩، ٣٤٩٠، ٧١٧٠
- ١٦- غرر الحكم: ٢١٠٦، ٣٤٩١، ٣٤٨٩، ٣٤٩٠، ٧١٧٠

١٧- اخلاقيات الامام علي أمير المؤمنين (عليه السلام): هادي المدرسي: ص ٣٣٤

١٨- نهج البلاغة: حكمة ١٦٠

١٩- معجم المعاني الجامع: للسيوطي: مادة (استأثر)

٢٠- نهج البلاغة: ٥٣

٢١- نهج البلاغة: حكمة ١٦١

٢٢- نهج البلاغة: حكمة ٨٠

٢٣- نهج البلاغة: ٥٣

٢٤- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: للخوئي: ج ٢٠: ص ١٥٢

٢٥- المصدر نفسه: ص ١٥٢

٢٦- نهج البلاغة: خطبة ١٨٢

٢٧- الفرقان: ٣٨

٢٨- ق: ١٢

٢٩-: ورد في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني: ج ١٣، ص ١٨، ط تراثنا الأسود بن يعفر

(ويقال يُعفر، بضم الياء) ابن عبد الأسود بن جندل بن سهم بن نهشل بن دارم بن

مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن تميم. وأم الأسود بن يعفر رهم بنت العباب،

من بني سهم بن عجل. شاعر متقدم فصيح، من شعراء الجاهلية، ليس بالمكثّر.

وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثامنة مع خدّاش بن زهير، والمخبل السعدي،

والنمر بن تولب العكلي، وهو من العشية ويقال العشو بالواو المعدودين في الشعراء.

٣٠- كان فصيحاً جواداً، نادم النعمان بن المنذر، ولما أسن كفّ بصره ويقال له أعشى بني

نهشل

٣١- الدخان: الايات ٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢٨

٣٢- نهج السعادة: ج ٢ ص ١٣٥، ط ١ وينظر بحار الانوار

- ٣٣- بحار الأنوار : العلامة المجلسي الجزء : ٧٥ ص ٧٧
- ٣٤- المصدر نفسة: ص ٧٧
- ٣٥- نهج البلاغة : ٥٣
- ٣٦- نهج البلاغة: رسالة ٥٣
- ٣٧- الصحاح :للجوهري:ج ١ : ص ٣٧٨ وينظر: المصباح المنير: للفيومي: ج ١ ص ٣٠٦، ومفردات القران: للراغب الاصفهاني: ص ٤٤٦
- ٣٨- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج ١٠ ص ٣٠٢
- ٣٩- اصول الكافي ج ٢ باب اتباع الهوى حديث ١ وينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي الجزء ٢١ ص ٢٦٧
- ٤٠- عيون الحكم والمواعظ : علي بن محمد الليثي الواسطي ص ٨٩
- ٤١- النساء: ١٩
- ٤٢- أسد الغابة : ص ٤٨ (انه الاسود بن زيد بن قطبة الانصاري: يقال انه ممن شهد بدرًا)
- ٤٣- نهج البلاغة :رسالة ٥٩ وينظر : بحار الأنوار : العلامة المجلسي الجزء : ٣٣ ص ٥١١
- ٤٤- نهج البلاغة خطبة ٥٠
- ٤٥- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي : ج ٢ ص ٣٥٧
- ٤٦- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي : ج ٢ ص ٣٦٠-٣٦١
- ٤٧- عيون الحكم والمواعظ : علي بن محمد الليثي الواسطي ص ٣٨١
- ٤٨- الخصال : الشيخ الصدوق ص ٦٢١
- ٤٩- ميزان الحكمة : محمد الري شهري الجزء : ٢ ص ١٤٧٨ وينظر: نهج البلاغة : الخطبة ٨٦، والكتاب ٧٨.

- ٥٠- نهج البلاغة : ٥٣
- ٥١- نهج البلاغة : رسالة ٤٥
- ٥٢- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج ١٠ ص ١٤١
- ٥٣- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة: ناصر مكارم الشيرازي: ج ١٠ ص ١٤٥
- ٥٤- نهج البلاغة: ٥٣
- ٥٥- المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني: ص ٥٣٠ مادة: (وقى)
- ٥٦- نهج البلاغة : ٥٣
- ٥٧- معجم الأدباء :ياقوت الحموي (١١ / ٧٢ - ٧٧) والسير) ٧ / ٤٢٩ - ٤٣١
- ٥٨- تحف العقول عن آل الرسول (ص) ابن شعبة الحراني ص ١٥
- ٥٩- عيون الحكم والمواعظ علي بن محمد الليثي الواسطي ص ٢٤
- ٦٠- المصدر نفسة: ص ٢٤
- ٦١- نهج البلاغة: ٥٣
- ٦٢- عيون الحكم والمواعظ : علي بن محمد الليثي الواسطي ص ٣٥
- ٦٣- يون الحكم والمواعظ : علي بن محمد الليثي الواسطي ص ٤٠٣
- ٦٤- معجم المعاني الجامع : للسيوطي (مادة: داهن)
- ٦٥- لسان العرب: مادة دهن
- ٦٦- جامع بيان العلم وفضله : ابن عبد البر الجزء ١ ص ١٣١ : وينظر ملامح القيادة الناجحة في ضوء منهجية الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) مقارنات دراسية في سيكولوجية السلوك التنظيمي المعاصر :محمد عبد الرضا هادي الساعدي : ص ٢٢٦
- ٦٧- تحف العقول عن آل الرسول (ص) : ابن شعبة الحراني ص ١٧٥
- ٦٨- نهج البلاغة: ٥٣

- ٦٩- كنز العمال : للمنتقى الهندي ج ٩ ص ٣٣٥
- ٧٠- بحار الأنوار : ج ٦٩ ص ٢٥٧ ب ١١٤ ضمن ح ٢٠، وينظر فقه العولمة : السيد محمد الحسيني الشيرازي ص ١٢٦
- ٧١- الكافي في الفقه : أبو الصلاح الحلبي ص ٥٩
- ٧٢- وسائل الشيعة (آل البيت) : الحر العاملي الجزء : ١٥ ص ٢٨٧
- ٧٣- غرر الحكم : ٢٦٩:١
- ٧٤- غرر الحكم : ٨٠٥،
- ٧٥- غرر الحكم : ٨٠٥، ٩٩٨٣، ٩٧١
- ٧٦- نهج البلاغة: ٥٣
- ٧٧- نهج البلاغة: ٥٣
- ٧٨- نهج البلاغة : ٥٣
- ٧٩- نهج البلاغة: ٥٣
- ٨٠- نهج البلاغة : ٥٣
- ٨١- نهج البلاغة: ٥٣
- ٨٢- لسان العرب، ابن منظور ج ١، ص ٤٢٤.
- ٨٣-، الرقابة على السلع والأسعار في الفقه الإسلامي: ظاهر فريدة حسين طه رسالة ماجستير (نابلس، جامعة النجاح، ٢٠١١م)، ص ٣.
- ٨٤- نهج البلاغة : ٥٣
- ٨٥- تاج العروس: (مادة حفزه)
- ٨٦- اسرار القيادة عند أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) : جميل كمال : ص ٦٩
- ٨٧- الاعراف: ٩٦

- ٨٨- نوح: ١٠-١١-١٢
- ٨٩- نهج البلاغة : خطبة ٢٠٣ : وينظر أمالي الصدوق : مجلس ٢٣
- ٩٠- نهج البلاغة: ٥٣
- ٩١- معجم المعاني : للسيوطي (ارستقراطية)
- ٩٢- نهج البلاغة: ٥٣
- ٩٣- نهج البلاغة : ٥٣
- ٩٤- الدولة الاسلامية شرح لعهد الامام علي (عليه السلام) الى مالك الاشر النخعي:
محمد الفاضل اللنكراني : ص ٨٦
- ٩٥- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة : ناصر مكارم الشيرازي : ج ١٠ : ص ٣٢٠
- ٩٦- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ميرزا حبيب الله الخوئي : ج ٢٠ : ص ١٦٤
- ٩٧- نهج البلاغة : حكمة ٩٠
- ٩٨- نهج البلاغة: ٥٣
- ٩٩- الشورى : ١٥
- ١٠٠- نهج البلاغة : خطب الإمام علي (عليه السلام) الجزء : ٤ ص ١٠٢ حكمة ٤٣٧
- ١٠١- عيون الحكم والمواعظ : علي بن محمد الليثي الواسطي ص ٤٦٩ : حكمة ٣٠
- ١٠٢- نهج البلاغة : خطبة ٩٢
- ١٠٣- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة : محمد تقى النقوي : ج ٨ : ص ٢٦٠
- ١٠٤- نهج البلاغة : ٥٣
- ١٠٥- الدولة الاسلامية شرح لعهد الامام علي (عليه السلام) الى مالك الاشر النخعي
: محمد الفاضل اللنكراني : ص ١٤٦
- ١٠٦- نهج البلاغة : ٥٣
- ١٠٧- الحجرات : ١٢

- ١٠٨- نهج البلاغة : ٥٣
- ١٠٩- الحكم الاسلامي في مدرسة الامام علي (عليه السلام) : محمد تقي المدرسي :
ص ١٩٧
- ١١٠- غرر الحكم
- ١١١- نهج البلاغة : ٥٣
- ١١٢- مصباح المنير: للفيومي: ج ٨ : ص ٤٤٦
- ١١٣- نفحات الولاية شرح نهج البلاغة : ناصر مكارم الشيرازي : ج ١٠ : ص ٣٧١
- ١١٤- نهج البلاغة : ٥٣
- ١١٥- نهج البلاغة : الحديث : ٢٣١
- ١١٦- نهج البلاغة : ٥٣
- ١١٧- مفردات الفاظ القرآن الكريم : الراغب الاصفهاني ص ٤٧٠
- ١١٨- الدر المنثور: لجلال الدين السيوطي : ج ٦ : ص ١٠
- ١١٩- تفسير ابن كثير القرشي : ج ١ : ص ٤٣٠
- ١٢٠- غرر الحكم : ح ٤٩٦
- ١٢١- نهج البلاغة : ج ٤ ، ص ٤٢ ، الحكمة ١٧٣
- ١٢٢- غرر الحكم : ج ٦ : ٣١٠

المصادر

أ

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الصحيفة السجادية: للأمام زين العابدين (عليه السلام)، تحقيق: : حاج عبد الرحيم أفشاري زنجاني: سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة
- ٣- الشرح الكبير : عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي شمس الدين أبو الفرج، المحقق دار المنار
- ٤- الصحاح : إسماعيل بن حماد الجوهري، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين سنة النشر: ١٩٩٠
- ٥- اخلاقيات الامام علي أمير المؤمنين (عليه السلام): السيد هادي المدرسي، الطبعة الاولى، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، مؤسسة الباقر للطباعة والنشر
- ٦- الكافي : للشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت. ٣٢٩ هـ
- ٧- الاغانى: أبو الفرج علي بن الحسين القرشي الأصبهاني أو الأصفهاني (٢٨٤هـ-٨٩٧م، مطبعة دار صادر بيروت، سنة الطبع سنة ١٩٥٢ - ١٩٩٤ م
- ٨- المعيار والموازنة : الشيخ الاقدم أبي جعفر الإسكافي محمد بن عبد الله المعتزلي، دار محمودي للطبع والنشر، ١٩٨١م

٩- المستدرك على الصحيحين المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الطبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠

١٠- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي الناشر: مدرسة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام الطبعة: الاولى التصحيح الثالث ١٤٢٦

١١- اصول الكافي: ثقة الاسلام الكليني، الناشر: دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان الطبعة: الاولى ٢٠٠٥

١٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، المعروف ابن الأثير، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م

١٣- العقد الفريد (ط. العلمية): أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المحقق: مفيد محمد قميحة، سنة النشر: ١٤٠٤ - ١٩٨٣

١٤- البدعة واثارها الموبقة: جعفر السبحاني

١٥- الخصال: الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي صححه وعلق عليه: علي اكبر الغفاري الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، سنة الطبع: ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش

١٦- الصراط المستقيم: زين الدين أبي محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي

تحقيق محمد الباقر البهبودي

١٧- الأمالي : شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، تحقيق وتصحيح : بهراد الجعفري - الاستاذ علي اكبر الغفاري الناشر: دار الكتب الاسلامية قم ١٤١٤ هجرية الطبعة: الاولى ١٩٦٤ م

١٨- الدولة الاسلامية شرح لعهد الامام علي (عليه السلام) الى مالك الاشر النخعي: الشيخ محمد الفاضل النكراني، تحقيق ونشر مركز فقه الائمة الاطهار (عليهم السلام) ١٤٢٥ هـ

١٩- الرقابة على السلع والأسعار في الفقه الإسلامي: ظاهر فريدة حسين طه رسالة ماجستير (نابلس، جامعة النجاح، ٢٠١١ م)

٢٠- اسرار القيادة عند أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام): جميل كمال، الطبعة الاولى، إصدارات مبرة سيد الشهداء (عليه السلام) الكويت ٢٠١٦

٢١- الحكم الاسلامي في مدرسة الامام علي (عليه السلام): السيد محمد تقي المدرسي، الطبعة الاولى، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م، مركز العصر للثقافة والنشر

٢٢- المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء : تأليف المولى محسن الفيض الكاشاني صححه وعلق عليه: علي اكبر الغفاري الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات الطبعة: الثانية ١٩٨٣

٢٣- الحرية السياسية دراسة مقارنة في المعالم والضمانات : فاضل الصفرار، الناشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦ م

٢٤- الدر المنثور : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ) دار

الفكر - بيروت، ٢٠١٠ م

ب

٢٥- بحار الانوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الاطهار: الشيخ محمد باقر المجلسي، الناشر: دار احياء التراث العربي - بيروت لبنان الطبعة: الثالثة المصححة ١٩٨٣

ت

٢٦- تفسير الميزان : للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي. مؤسسة الاعلمي، بيروت، الطبعة الثانية

٢٧- تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم : السيد حيدر الآملي، حققه وقدم له وعلق عليه: السيد محسن الموسوي التبريزي، الناشر: العهد الثقافي نور على نور الطبعة: الثانية

٢٨- تحف العقول عن آل الرسول (ص): ابن شعبة الحراني، تحقيق: تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش المطبعة: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

ج

٢٩- جامع بيان العلم وفضله : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: أبي الأشبال الزهيري الناشر دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

٣٠- جامع السعادات : المولى محمد مهدي النراقي، دار النشر إسماعيليان قم المقدسة، سنة الطبع ١٤٢٨

د

٣١- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية : الشيخ المتظري، الناشر: الدار
الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٩٨٨

٣٢- دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدي، سنة النشر: ١٩٧١

ر

٣٣- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه : تأليف: المولى محمد تقي المجلسي الاول
تحقيق: علي بنه الاشتهاردي - حسين الموسوي الكرمانى الناشر: بنياد فرهنگ
اسلامى حاج محمد حسين كوشانيور الطبعة: الاولى

س

٣٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (السلسلة الصحيحة
(المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف سنة النشر: ١٤١٥ هـ

١٩٩٥ -

ش

٣٥- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي تحقيق: محمد ابراهيم الناشر: دار الكتاب العربي - دار الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الاولى ٢٠٠٧

ص

٣٦- صفوة شروح نهج البلاغة: جمعة اركان التميمي، الناشر: د.م. تاريخ الطبع: ٢٠٠٠

ع

٣٧- عيون الحكم والمواعظ : فخر الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن الليثي الواسطي المحقق : الشيخ حسين حسني البيرجندي الناشر : دار الحديث، الطبعة : الأولى ١٣٧٦ هجري شمسي

ف

٣٨- فقه الرضا : علي ابن بابويه القمي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المشرفة الطبعة الأولى، سنة الطبع شوال ١٤٠٦ المطبعة: الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام) مشهد المقدسة

٣٩- فقه الدولة بحث مقارن في الدولة ونظام الحكم على ضوء الكتاب والسنة والانظمة الوضعية : فاضل الصفار : الناشر، دار الانصار مطبعة باقري، الطبعة الاولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٤٠- في ظلال نهج البلاغة : محمد جواد مغنية : الناشر: دار العلم للملايين - بيروت لبنان الطبعة: الثالثة ١٩٧٩

ك

- ٤١- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي البرهان فوري والمشهور بالمتقي الهندي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط دائرة المعارف العثمانية (النظامية) بحيدرآباد ١٣١٣

ل

- ٤٢- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي. ولد في محرم سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م

م

- ٤٣- مفاتيح الجنان: للشيخ عباس القمي (رضوان الله عليه)
- ٤٤- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: للعلامة المحقق ميرزا حبيب الله الخوئي: الطبعة الاولى - ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٣م، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر بيروت
- ٤٥- معجم المعاني: مروان العطية: الطبعة الاولى: ٢٠١٢م
- ٤٦- معجم الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ قم (الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ)
- ٤٧- مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي المحقق: السيد احمد الحسيني الناشر: انتشارات مرتضوي المطبعة: طراوت طهران/ إيران الطبعة: الثانية - ١٣٦٥ هـ

٤٨- مصباح البلاغة مستدرك نهج البلاغة الموسوم بمصباح البلاغة في مشكاة الصياغة من تأليفات حسن المير جهاني الطباطبائي المحمد آبادي الجرقوبي الأصبهاني، طبع بتاريخ ١٣٨٨ هـ

٤٩- ميزان الحكمة : محمد الريشهري، الناشر: دار الحديث قم، الطبعة الأولى سنة النشر: ١٤٢٢ هـ

٥٠- مستدرك الوسائل : لميرزا حسين النوري الطبرسي المعروف بـالمحدث النوري من (علماء الشيعة) (المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ). سنة الطبع ١٢٤٥ هـ، ١٣٢٠ قم، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث والنشر

٥١- مفردات القرآن: للراغب الاصفهاني: الناشر: دار القلم - الدار الشامية سنة النشر: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩

٥٢- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة : سيد محمد تقي التقوي، الطبعة الاولى مؤسسة التاريخ العربي، سنة الطبع، ٢٠١٥ م، ١٤٣٦ هـ

٥٣- . مختلف الشيعة في احكام الشريعة : العلامة الحلي ابي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم الشرفه الطبعة: الاولى ١٣٧٢ هـ

٥٤- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، الناشر: دار الغرب الإسلامي سنة النشر: ١٩٩٣-

٥٥- ملامح القيادة الناجحة في ضوء منهجية الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) مقارنات دراسية في سيكولوجية السلوك التنظيمي المعاصر : محمد عبد الرضا هادي

الساعدي : الطبعة الاولى ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م، مطبعة ذوي القربى

٥٦- موسوعة الإمام العسكري (عليه السلام) : مؤسسة ولي العصر (عجل الله فرجه الشريف) للدراسات الإسلامية، محل النشر قم المقدسة

٥٧- مكارم الأخلاق : تأليف الشيخ الجليل رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي رحمه الله، سنة الطبع: ١٣٩٢ - ١٩٧٢ م

ن

٥٨- نهج البلاغة : خطب وكتب الامام علي بن ابي طالب، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠-

٥٩- نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: سنة الطبع الطبعة: الاولى ١٤٢٦

٦٠- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة : الشيخ محمد باقر المحمودي الطبعة الأولى ١٣٩٦ - ١٩٧٦ دار التعارف للمطبوعات بيروت - شارع سوريا - بناية درويش

هـ

٦١- هداية الأمة إلى أحكام الأئمة (عليه السلام) : محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين المعروف بالشيخ الحر العاملي

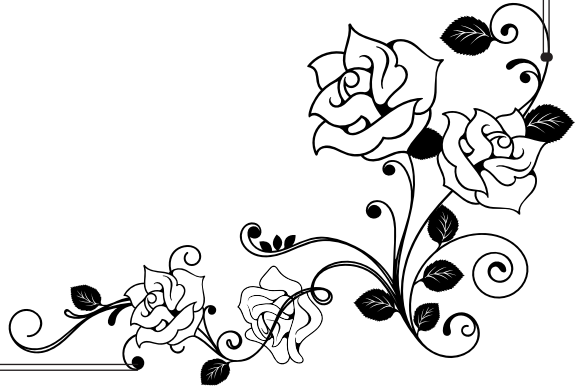
و

٦٢- وسائل الشيعة : للشيخ المحدث محمد بن الحسن بن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لأحياء التراث - بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣، دار إحياء التراث العربي - بيروت

الفكر الإداري في عهد مالك بين النظرية والتطبيق

م.م رزاق فزع جنجر

أ.د حسين علي الشرهاني



المقدمة

يعد عهد الإمام علي عليه السلام لمالك النخعي رضي الله عنه موسوعة متكاملة لجميع قضايا الحكم والإدارة، اشتمل على أعلى درجات التطور الانساني والتقدم الفكري، واختصر التجربة الإنسانية الايجابية على طول تاريخها، واسمى ما بلغته من رقي وابداع، ومهما وصلت أنظمة الحكم والادارة في التاريخ فإنها تبقى عاجزة عن ان تأتي بنظرية ادارية اقتصادية قانونية انسانية متكاملة كما جاء في هذا العهد، لذلك مهما حاولت الاقلام ان تكتب فيه فإنها تبقى قاصرة عن الوصول الى غاياته او ما جاء فيه من قيم عليا ونظريات عملية وعلمية.

لذلك حاولنا في بحثنا المختصر هذا ان نركز على جزئية بسيطة في هذا العهد، فتناولنا منهج الامام علي عليه السلام في ادارته للدولة، واستخلصنا مجموعة من المبادئ الرئيسة التي تضمنها العهد لتكون مرتكزات لبحثنا، ثم اردفنا ذلك بالممارسات العملية التي طبقها الإمام عندما مارس الحكم، في محاولة لربط النظرية بالتطبيق العملي الذي كان سابقا للنظرية. وهذا المنهج الذي اتبعناه وان كان لا يرقى الى مستوى العهد، لكنه يبقى محاولة لفهم بعض جوانبه، لاسيما ان ضيق مساحة البحث دفعنا الى انتقاء بعض النقاط وليس كل ما جاء في العهد، فأخذنا مبدأ الرقابة الذاتية ومبدأ الرقابة الشعبية على الموظف والتي ثبتها الإمام عليه السلام في عهده، والممارسات العملية المتعلقة بهما، ثم اخذنا المزايا الاخلاقية التي يجب ان يتحلى بها كبار الموظفين، والحفاظ على دماء الرعية.

ثم ناقشنا طبيعة اختيار الكادر الاداري ومواصفاته كما ورد في العهد مع التركيز على طبيعة اختيار الامام للموظفين (عمال، ولاة، كتاب) كممارسة عملية، و اردفنا ذلك بالأساليب الوقائية التي حددها الامام في عهده لمالك، حتى لا يسمح للفساد الاداري والمالي بالتسلل الى مرافق الدولة.

البحث

طرح الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) للعالم في عهده لملك الاشر النظريّة السياسيّة للإسلام، واسلوب الحكم والادارة وفق نسق علمي مترابط ومنسجم، فكان هذا العهد اهم وثيقة تاريخية تهدف الى ارساء قواعد العدل والمساواة، وهو اسمى صك لحقوق الانسان استله الامام علي (عليه السلام) من المنهج القرآني والنبوي.

لا ريب ان العهد امتاز بالشمولية والاحاطة بظواهر الحكم وخفاياه، ذلك لان مؤسس العهد (عليه السلام) يعتبر منظومة شاملة لكل العلوم والمعارف الكونية والانسانية^(١)، على هذا فقد اقتبسنا من العهد بعض الفقرات التي تناولت الجوانب الادارية في الحكم.

مفهوم الادارة :-

الادارة هي فن قيادة وتوجيه أنشطة جماعة من الناس نحو تحقيق هدف مشترك^(٢)، وتعرف ايضاً بانها نشاط انساني تعاوني لتحقيق اهداف مشتركة في احسن وجه واقصر وقت وباقل التكاليف^(٣)، ويلاحظ ان التعريفين السابقين جمعا الصفة الانسانية والصفة الفنية للعمل الاداري، زيادة على انها لم يحددا وظيفة بعينها بل كانا شموليان وعامان^(٤).

ومن التعاريف النموذجية للادارة العامة هي تنظيم وادارة الافراد والموارد لتحقيق الاهداف الحكومية^(٥)، وتعرف ايضاً انها فن ادارة الاعمال في مجال شؤون الدولة، كما يمكن تعريف الادارة بانها عملية اجتماعية مستمرة تعمل على استغلال الموارد المتاحة استغلالاً امثل، عن طريق التخطيط والقيادة والرقابة للوصول الى هدف محدد^(٦).

نخلص الى ان العملية الادارية لا تتوقف طالما ان حاجات الفرد والجماعة لا تنقطع ولا تقف عند حد معين، كما ان قوام تلك العملية الادارية المستمرة هو العنصر الانساني، والموارد المعنوية المتمثلة بالأفكار و النظريات والاساليب التي ترسم ملامح العملية الادارية وقدرتها على استخدام الموارد المتاحة وقيادة الناس، ومن قوامها ايضا الموارد المادية الذي تشمل الاموال والادوات والمعدات والالات التي يجب توافرها لكي تقوم الادارة بوظائفها من تخطيط وتنظيم وقيادة ورقابة^(٧).

أهمية العهد

ابطلت حكومة الامام علي (عليه السلام) النظرة الشائعة التي تقضي بان مفاهيم الادارة القديمة تبنى على مجموعة من النصائح والارشادات التي توجه الى الحكام والاداريين، وانها تختلف عن الادارة الحديثة من حيث الموضوعية والتطبيق العلمي، ويمكن ان نرى ذلك بوضوح من خلال التطبيقات العملية في مؤسسات الدولة ابان خلافة الامام علي (عليه السلام) ومقارنتها مع فقرات العهد الذي دونه الامام (عليه السلام) لمالك الاشر^(٨).

ولا شك بان الغاية الاساسية عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هي اقامة دولة الحق المستندة الى الحكم الإلهي ونشر العدل والفضيلة، وقد طبق المفاهيم التي طرحها على ارض الواقع ولم يكن كلامه مجرد تنظير لا مصداق له، لذلك كان عهده لمالك الاشر منهجاً متكاملأ في السياسة والحكم والادارة، وليس هذا الحديث من باب التحيز للمنهج العلوي ولا من قبيل المبالغة، وإنما كلام مبني على أساس البحث والدراسة. حيث توفرات في ذلك المنهج عناصر جعلته يفوق غيره من المناهج الاخره، ومن تلك العناصر:

العنصر الاول :- إن ما يقدمه هذا المنهج ليس نتاج اجتهاد بشري وفرضيات وضعها إنسان فهي قابلة للصحة أو الخطأ، وإنما هي حدود وتعليمات وتشريعات صدرت عن الباري عز وجل^(٩).

العنصر الثاني :- إن ما يقدمه لنا هذا المنهج هو نظام تم تطبيقه على ارض الواقع، واثبت نجاعته ونجاحه، فقاد الدولة الإسلامية الى بناء حضارة امتدت من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب^(١٠).

العنصر الثالث :- ملائمته كل زمان ومكان (مرونة المنهج العلوي)^(١١).

العنصر الرابع :- إن الادارة عند أمير المؤمنين (عليه السلام) ليست فعلاً ميكانيكياً بل هي مجموعة صفات وخصال تمتزج فيما بينها للحصول على المدير الجيد والادارة الجيدة، وهذه الصفات هي التنظيم، فلا إدارة بدون تنظيم ونظام، فإذا حلَّ نقص التنظيم حلتَّ محله الفوضى^(١٢).

العنصر الخامس :- الانسانية وكمالها وتكاملها هدف اسمى في منهج الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، بمعنى ان الذي يتحرك ويفعل الادارة هو الانسان وليس الآلة، فكان لأبد من معرفة الانسان والتعريف على نقاط قوته ونقاط ضعفه، فالادارة الجيدة هي التي تحاول أن تستثمر نقاط القوة في أعضائها وتعالج نقاط الضعف فيهم^(١٣).

العنصر السادس :- الحالة الاجتماعية في منهج امير المؤمنين (عليه السلام)، أي أن الادارة تشكل بمجموعها مجتمعاً منظماً تنشأ فيه العلاقات الانسانية وتنمو فيه الروح الجماعية. وعندما تتحرك هذه الادارة كأنها المجتمع بأسره قد تحرك وهذه النظرة تحالف أولئك الذين ينظرون إلى الادارة وكأنها متكونة من أجزاء بشرية متناثرة لا يربطها رابط سوى

القوانين الصارمة، كما هي البيروقراطية^(١٤) وغيرها من نظريات الإدارة العلمية^(١٥).

العنصر السابع :- الهدفية في المنهج الإداري العلوي، فلا بد أن يكون للإدارة هدفاً وأن يكون هذا الهدف منسجماً مع أهداف الانسان في الحياة، وبالتالي يجب أن تكون هذه الأهداف منصبة في بناء الإدارة القوية، وهنا نجد أنفسنا أمام دائرة متكاملة شاملة وهي المعبرة عن الفضائل الانسانية والساعية أيضاً إلى تحقيقها في الحياة^(١٦).

في السنة الثامنة والثلاثين للهجرة (٦٥٨ م) بعث خليفة المسلمين الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الى مالك بن الحارث النخعي الاشر رضي الله تعالى عليه بكتاب حين ولاه مصر^(١٧) والتي عرف فيما بعد ب(عهد الاشر) والذي اشتمل على قواعد نظام الإدارة الإسلامية وحقوق الراعي والرعية في المنهج الإسلامي، لذا جاءت عنايتنا تبحث في هذه الوثيقة الدستورية الراقية في محاولة لاستخلاص القواعد الأساسية للنظام الإداري في المنهج العلوي الإسلامي، ولا إثبات أسبقية ذلك النظام الإداري الإسلامي في وضع الأسس الإدارية وتوزيع المسؤوليات بالاعتماد على البناء الوظيفي للهيكل الإداري والتوزيع الأفقي للطبقات الإدارية والاجتماعية بدلا من التوزيع العمودي، الذي أتت به النظريات الإدارية الحديثة والممارسات الإدارية القديمة بما في ذلك الممارسات التاريخية، وتتجه النظريات الحديثة اليوم إلى إلغاءه والاعتماد على التوزيع الأفقي بكونه بديلا أكثر فعالية عنه .

اهداف العهد العامة :

لخص الإمام (عليه السلام) المهات السياسية والإدارية للملك في عهد التولية بالمرتكزات الاربعة الآتية: جباية الخراج، وجهاد العدو، واستصلاح الناس، وعمارة البلاد^(١٨).

جباية الخراج :- وإنما بدأ بجباية الخراج لأنه مصدر التمويل الرئيس وعماد اقتصاد الدولة وإدامة أجهزتها. وثنى بالدفاع عن الأرض وجهاد العدو، ثم أتم ذلك باستصلاح الناس، وأراد بذلك إدارة شؤونهم ورعاية مصالحهم وتحقيق العدالة بينهم، وختم مهامه بعمارة البلاد وتنمية الاقتصاد وتوفير أسباب الطمأنينة للقوى المنتجة. وقبل تفصيل الحديث عن هذه المحاور الأربعة حرر الإمام فقرة أوجز فيها الإشارة إلى فئات المجتمع الذي وجه إليه مالكا، وسماههم طبقات^(١٩) وفيها: جنود الله (العسكريون) ومنها كتاب العامة والخاصة (من يقوم بشبه مهام الوزراء) ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق (الإداريون والجباة) ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس (المزارعون ومربو الماشية والأنعام)، ومنها التجار، وأهل الصناعات (الحرفيون) ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجات والمسكنة (فقراء المدن والريف).

جهاد العدو : حين شرع الإمام (عليه السلام) بتفصيل الحديث عن حقوق فئات المجتمع وواجباتها بدأ بالحديث عن الجنود الممثلين لتشكيلات الحرس النظامي والمقاتلين من المجاهدين المندوبين للدفاع أو الفتح. فامتدحهم بأنهم «حصون الرعية وزين الولاية وعز الدين وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم»^(٢٠) ولا بد من تموينهم بما لدى الدولة من موارد مالية تتمثل في عائدات الخراج والجزية وأمور الزكاة، وتوفير مستلزماتهم حتى يمكنهم الدفاع عن عهدهم، فضلا عن احتياجهم إلى طبقات المجتمع من إداريين وتجار وحرفيين يوفرون لهم مستلزماتهم وسلعهم وعددهم مما لا يقوم به غيرهم، ورسم (عليه السلام) بان يختار لقيادتهم والإمرة عليهم أقومهم سيرة وأكثرهم تحريا للعدل والإنصاف، وحدد لذلك شرائط وضوابط لخصها بالقول: «فول من جنودك انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأطهرهم جيبا وأفضلهم حلما، ممن يبطيء عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويراف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء»^(٢١) وفي

هذا النص حذر الإمام (عليه السلام) من خطرين: الأول: خطر الفساد، الذي شهد ما شهد منه في زمانه، قبل توليه الأمر، وانتهى بثورة أدت إلى مصرع عثمان بن عفان.

والثاني: خطر الاستبداد الذي يعطل أحكام الشريعة، فجعل الحلم والأناة والرأفة بالضعفاء والحزم مع الأقوياء المتنفذين شرطاً في من يتولى المسؤولية وميزاناً لاختياره (٢٢).

استصلاح أهلها: - ويعنى بالاصلاح الاجتماعي، والاهتمام برعاية شؤون الأمة والمجتمع، وضرورة توعية المواطنين على مبادئ الحق والعدل، و ارادة البناء، ومشاريع الخير والبر والاحسان، وتنمية مواهبهم، وصقل قدراتهم، وتحرير طاقات الافراد، وخلق التوازن الاجتماعي، واشاعة ثقافة الوحدة والاخاء، والتعاون والتكافل، وترسيخ مفاهيم المحبة والاخاء والتسامح والايثار، وتحقيق الانسجام بين المكونات الاجتماعية (٢٣).

وعمارة بلادها: - إن اعمار البلاد والتنمية الاقتصادية في منهج الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) لا يتوقف عند حدود توفير الخدمات، وتحقيق الرفاهية الاقتصادية، بل هو برنامج متكامل من حيث التخطيط والعمل لكي يحكم كل مناحي الحياة، وذلك من خلال فتح افاق تنموية رحبة في مجالات التعليم، والصحة، والثقافة، والادب، والتكنولوجيا، بهدف توجيه الأمة بكل قطاعاتها الى الاستثمار بالشكل الذي يخدم حياة الانسان الفردية والاجتماعية، ومراعاة الصالح العام في الحاضر والمستقبل (٢٤).

كانت هذه الاركان الاربعة المهمة التي تقوم عليها الدولة، وتبنى عليها مؤسسات المجتمع المدني، فهي تغطي بشكل عام الجوانب السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وافاق التنمية والاعمار، اذا ما تفاعلت بصورة وثيقة فيما بينها، حيث ان العلاقة بين تلك الجوانب تحتاج الى قيادة ادارية واعية تمتلك القدرة على التخطيط والموازنة، بشكل

لا يطغى جانب على جانب آخر، كأن تنفرد السياسية على الجوانب الأخرى، أو يكون الاقتصاد أهم من التنمية والمجتمع، وذلك تلافياً لتدهور النظام، وبالتالي فشل وانحيار الحكومة.

بيد أن هذه البرنامج الكامل لم يجد له مجالاً للتطبيق العملي في مصر نتيجة عمليّة الاغتيال التي جرت لمالك الأشتر، ولكنها طبقت في حكومة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، فقد جسدها امير المؤمنين (عليه السلام) باعتبارة رئيساً نموذجياً عادلاً للدولة الاسلامية، ورائداً عظيماً من رواد الحضارة الانسانية.

السياسة الادارية في حكومة الامام علي (عليه السلام) :

عندما تولى الإمام علي (عليه السلام) الخلافة كانت الدولة الاسلامية تعيش ظروفًا غير طبيعية، لكنه (عليه السلام) كان على قدر المسؤولية ولم تهمة هذه الظروف بل اصر على اصلاح كل مرافق الدولة، فترك لنا ارثاً عظيماً سواء على مستوى النظرية او التطبيق الفعلي، واول ما بدأ به هو انه طرح برنامجاً اصلاحياً متكاملًا في الخطبة التي القاها في يوم توليه للخلافة، فقال فيها: ((أما بعد فإنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استخلف الناس أبا بكر ثم استخلف أبو بكر عمر، فعمل بطريقة ثم جعلها شورى بين ستة فأفضى الأمر إلى عثمان، فعمل ما أنكرتم وعرفتم ثم حصر وقتل، ثم جئتموني طائعين فطلبتم إلي، وإنما أنا رجل منكم، لي ما لكم وعلي ما عليكم، وقد فتح الله الباب بينكم وبين أهل القبلة، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، ولا يحمل هذا الأمر إلا أهل الصبر والبصر والعلم بمواقع الأمر، وأني حاملكم على نهج نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم، ومنفذ فيكم ما أمرت به، إن استقمتم لي، والله المستعان، ألا ان موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته كموضعي منه أيام حياته، فأمضوا لما تأمرون به، وقفوا عند ما تنهون عنه، ولا تعجلوا في أمر

حتى نبينه لكم، فإن لنا عن كل أمر تنكرونه عذرا، ألا وان الله عالم من فوق سمائه وعرشه، إني كنت كارها للولاية على أمة محمد، حتى أجمع رأيكم على ذلك، لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أيما وال ولي الأمر من بعدي أقيم على حد الصراط، ونشرت الملائكة صحيفته، فإن كان عادلا أنجاه الله بعدله، وان كان جائرا أنتفض به الصراط حتى تترايل مفاصله، ثم يهوي إلى النار فيكون أول ما يتقيها به أنفه وحر وجهه، ولكني لما اجتمع رأيكم لم يسعني ترككم^(٢٥).

ثم ألتفت (عليه السلام) يمينا وشمالاً، فقال: ((إلا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا، فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الروقة الحسان، فصار ذلك عليهم نارا وشنارا، إذا ما منعهم ما كانوا يخوضون فيه، وأمرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك ويستنكرون، ويقولون حرمننا ابن أبي طالب من حقوقنا، إلا وإيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يرى الفضل له على من سواه لصحبته، فإن الفضل النير غدا عند الله، وثوابه وأجره على الله، وإيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا، ودخل ديننا واستقبل قبلتنا، فقد أستوجب حقوق الإسلام وحدوده، فانتم عباد الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء، وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين جزاء، وما عند الله خير للأبرار))^(٢٦).

لقد لخص الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في هذه الخطبة الكثير من الأشياء، وأوضح للمسلمين انه عازم على تغيير اوضاع الدولة الإسلامية وارجاعها الى ما كانت عليه عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، فبدأ بخطوات على الصعيد العملي فألغى نظام التفاوت الطبقي بين المسلمين الذي سنه عمر بن الخطاب، وغير الكادر الإداري الفاسد

بموظفين على درجة كبيرة من النزاهة والكفاءة والامانة مع اخضاعهم للتجربة وعدم السماح لهم باستغلال وظائفهم والتجاوز على الاموال او الرعية، وذلك عبر تأسيسه لنظام رقابي شامل يشرف عليهم، كما اصلح نظام الضرائب ونظام جبايتها، ورفع الحيف عن الرعايا وراعى اهل الذمة من غير المسلمين وضمن حقوقهم^(٢٧).

النظام الإداري للحكومة والولاية

لقد كان ابن أبي الحديد في منتهى الدقة والإنصاف حين وصف هذا (العهد بأنه):
نسيج وحده، ومنه تعلّم الناس الآداب والقضايا والأحكام والسياسة... وحقيق مثله
أن يُقتنى في خزائن الملوك^(٢٨).

يصلح النظام الإداري الإسلامي على الأفراد المتمين لذلك النظام بتسمية هي (الرعية)، فقد جاء في وصية الامام علي (عليه السلام) للاشتر: ((... وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير^{٢٩} لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على ايديهم في العمد والخطأ فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفأك امرهم وابتلاك بهم))^(٢٩)، وان المسؤول الاول عن ادارة شؤون ومصالح الرعية هو الخليفة (الراعي)، الذي بدوره باختيار الطاقم الاداري واسناد المهام الادارية اليهم، والغرض من هذا الاسناد هو الاعانه لعدم امكانية الفرد بطاقته البشرية المحدودة على القيام بذلك بمفرده، لذلك كان يستعين بالولاية لادارة الامصار البعيدة عن مركز الخلافة، ويامرهم باتخاذ النمط الاداري المعمول به في حكومة المركز، فقد جاء في عهده (عليه السلام) للاشتر حين ولاه على مصر: ((... ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدلٍ وجور وأن الناس

ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده)) (٣٠)

يعتمد النظام الإداري الإسلامي في توزيعه للعمل على تقسيم المجتمع (الرعية) الى ثنائي طبقات وظيفية في خط افقي تكون الادارة العليا للمؤسسه طبقة واحدة من تلك الطبقات أي انها ترتبع فوق هرم النظام الإداري، ويلغي هذا التوزيع الغاء كاملا للتوزيع العمودي لما يترتب عليه من تفاضل وتمايز بين الافراد في غير مواد التفاضل، كما هو الحال في التنظيمات الادارية الحديثة، اذ ليس في هذا النظام ما يمثل الهرم في التوزيع، وانما تمثل جزء منها وهي حالة فريدة لم تتكرر في أي نظام اداري بما في ذلك الانظمة الحديثة التي تدعو اعتماد الهيكلية الافقية بدلا من العمودية (٣١)، فقد جاء في عهد الامام للاشتر ما يؤكّد ذلك بقوله: ((... واعلم ان الرعية طبقات ولا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمال الانصاف والرفق ومنها اهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات و منها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكل قد سمى الله له سهمه ووضع على حده فريضة في كتابه اوسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) عهداً منه عندنا محفوظاً)) (٣٢)

وقد كان الامام حريصاً على تبيان كل توجيهاته لموظفيه حتى يعرفوا حدود مسؤولياتهم تجاه الرعية ويتجنبوا الاهمال والتقصير، وسنحاول ان نوجز ما جاء في ميثاق عهد الدولة وفقاً للمبادئ الآتية:

أولاً: الرقابة الذاتية على النفس

ان النظام الاداري الاسلامي متداخل مع النظام الاجتماعي الاسلامي لدرجة يبدو معها النظام اجتماعيا لا اداريا ولعل هذا السبب هو ما حال دون اعتماد الباحثين في المجال الاداري لهذا النص لاستخلاص النظام الاداري الاسلامي، وفي مقابل ذلك، فان الانظمة الادارية الاخرى لم تكن تعر أي عناية تذكر للبعد الاجتماعي في النظام الاداري حتى العقد الثالث من القرن الماضي، اذ بدا المفكرون الاداريون يربط الادارة بالبعد الاجتماعي الذي تطور في ما بعد، ولا يزال قيد التطور في محاوله لمعالجة ما خلفته نظريات الادارة البحتة - غير المعتمدة على البعد الاجتماعي - من نظرات وقصور (٣٣).

اوضح الإمام (عليه السلام) ان للموظف الذي تحوله السلطة وتمنحه مجموعة من الصلاحيات يجب ان لا ينتظر الرقابة منها، بل يجب ان يكون لديه وازع داخلي يمنعه من الإخلال بعمله ((املك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك)) (٣٤)، لان هذه الرقابة تمنعه من التجاوز على الرعية اذا تحققت شروطها ومنها: إنصاف الله والناس من نفسه وخاصة أهله والمقربين من أعوانه، فيؤدي ذلك الى ترويض النفس واجبارها على كسر الشهوات (٣٨)، ينطلق الامام علي (عليه السلام) من القاعدة الالهية التي نصت عليها الاية الكريمة ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)) (٣٥) وقد كان امير المؤمنين (عليه السلام) الانسان الكامل في تركية النفس وترويضها فهو القائل : ((وأيم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعموما، وتقنع بالملح مأدوما)) (٣٦)، وقوله: ((وإنها هي نفسي أروضها بالتقوى، لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وثبتت على جوانب المزلق)) (٣٧).

فاللبنة الأولى التي وضعها أمير المؤمنين (عليه السلام) هنا في منهجة بناء الذات الإنسانية وصيرورتها صالحاً في حركتها البشرية حياتياً في معاملاتها مع الناس أو ربها سبحانه وتعالى، وهي رياضة النفس البشرية نظرياً وعملياً بمعنى تمرينها وتدريبها وبصورة مستمرة عملياً على التقوى النفسية والسلوكية في تعاطيها الحياتي الخاص والعام، وتعطي عملية ترويض النفس قيماً إنسانية وإدارية لإقبال الدولة وقيامها عنده (عليه السلام) ويحددها بثلاث هي:

أولاً: العدل: حيث يقول (عليه السلام): ((ما حُصِّنَ الدُّولُ بِمِثْلِ الْعَدْلِ))^(٣٨)، حيث يكون العدل، قيمة سياسية أولى، بمثابة سور يحمي الدولة من السقوط أمام العدوان الخارجي.

ثانياً: الحِذْقُ (المهارة): ويُعد النظر، والقدرة على دقة التصرف في الأمور، حيث يقول (عليه السلام): ((أماراتُ الدولِ إنشاءُ الحِجْلِ))^(٣٩).

ثالثاً: اليقظة والانتباه: حيث يقول (عليه السلام): ((من دلائل الدولة قلة الغفلة))^(٤٠)، وقوله (عليه السلام): ((من أمارات الدولة التيقظ لحراسة الأمور))^(٤١).

ويحذر (عليه السلام) منذ البداية من الإنسان الذي تسيطر عليه نفسه الامارة بالسوء من ان يتصدى لنشوء وتأسيس الدولة وادارتها، حيث يقول (عليه السلام): ((إحذر الشرير عند إقبال الدولة لِئلا يُزيلها عنك، وعند إدارها لِئلا يُعين عليك))^(٤٢).

ان مبدأ الرقابة الذاتية على النفس تقدم للمسؤول او الحاكم نموذج من اسلوب السلطة العليا في الاسلام، وتوضح تكليف إمام المسلمين. وما يجب على من يكون

إمام المسلمين وخليفة الله، وفي هذا الشأن يقول (عليه السلام) : ((أقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش...)) (٤٣)

لذا نرى ان بعض من الحكام، انحرفوا عن القوانين الإسلامية، فأخذوا بجمع الأموال والانسياق وراء مشتبهات النفس وترك أحكام الله، فكان المسلمون يردون عليهم ويهددونهم ويقتلون بعضهم، ويثورون ضد آخرين منهم.

ثانياً : الرقابة الشعبية على عمل الموظف

يعد هذا المبدأ من المبادئ المهمة جداً لنجاح العمل الاداري، وقد خول الإمام (عليه السلام) الرعية بمراقبة الموظف وتشكيل رأي عام على تصرفاته فكان الكتاب بمثابة تحويل للرعية لمراقبة الموظف، ((إن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر من أمور الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقوله فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده)) (٤٤)، وهذا يعني ان الامام جعل معيار رضا الرعية (الرأي العام) شرطاً في نجاح الموظف. لان الرأي العام يعد مصدراً رئيساً في الضغط الايجابي على الكادر الاداري للتعامل بإيجابية مع الوظيفة.

وهذا الاجراء جعل من سكان تلك الولايات سواء كانوا مسلمين أو من أهل الذمة يراقبون تصرفات الولاية والعمال، ويشخصون الأخطاء التي تحصل من هؤلاء، وأمرهم بإيصال أي سلبية يرونها في ولاياتهم إليه مباشرة، أما عن طريق الكتابة له، أو عن طريق المجيء الى العاصمة وتقديم الشكاوي (٤٥)، لذلك اعتمد مجموعة من الوسائل، من أجل تفعيل الرقابة الإدارية على العمال والولاية، ومن هذه الوسائل التي اعتمدها المخاطبة المباشرة للناس عندما يعين أحد الأشخاص في عمل ما، وهذه المخاطبة على نوعين إما

إلقاء كلمة يجعل فيها الرعية رقيبة على الوالي أو العامل، أو إلزام هؤلاء بقراءة كتب التعيين على الناس عندما يتولوا أعمالهم، ويمكن التعرف على النوع الأول من الخطاب الموجه من الخليفة للناس، عندما ولي عبد الله بن عباس على البصرة بعد معركة الجمل، إذ خطب الناس في المسجد وقال لهم: ((يا معشر الناس قد استخلفت عليكم عبد الله بن العباس، فأسمعوا له وأطيعوا أمره ما أطاع الله ورسوله، فإن أحدث فيكم أو زاغ عن الحق فأعلموني أعزله عنكم،...))^(٤٦)، وهذا يعني أن أمر بقاء الوالي أو عزله مرتبط بطاعته لله والرسول (صلى الله عليه واله وسلم) أولاً، والعمل بمبادئ الإسلام التي تقوم على العدل والمساواة، ثم جعل الناس مصدر الرقابة على الوالي، فهو باق في عمله مادام يعمل بالحق، فإذا زاغ عن هذا المنهج فإن الخليفة خول الناس بالكتابة له، وبالفعل فقد كتبت قبيلة تميم إحدى القبائل التي كانت تسكن البصرة للخليفة، ان الوالي عبد الله بن عباس كان يستعمل الشدة في معاملتهم، نتيجة لأنهم ساندوا المتمردين في معركة الجمل^(٤٧)، فأرسل الخليفة للولي كتاباً يلومه فيه على هذا التصرف غير المقبول بحق الناس، لاسيما أن الخليفة أصدر عفواً عاماً عن كل المشتركين بتلك المعركة، ولم يستخدم وسائل انتقامية مع أعدائه، فكتب له: ((وقد بلغني تنمرك لبني تميم، وغلظتك عليهم...، فأربع أبا العباس رحمك الله فيما جرى على يدك ولسانك من خير أو شر، فإننا شريكان في ذلك، وكن عند صالح ظني بك، ولا يفيلن رأيي فيك))^(٤٨).

أما قراءة كتب تعيين الولاة والعمال على الناس، من أجل أن يكونوا مراقبين لأداء هذا الوالي أو العامل، ويمكن أن نأخذ مثلاً على ذلك كتاب تعيين قيس بن سعد بن عبادة عندما ولاه على مصر، إذ كتب لأهل مصر: ((وقد بعثت إليكم قيس بن سعد الأنصاري أميراً فوازره وأعينوه على الحق، وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم، والشدة على مريبكم والرفق بعوامكم وخواصكم، وهو ممن أرضى هديه وأرجو صلاحه ونصيحته، نسأل الله

لنا ولكم عملا زاكيا وثوابا جزيلا ورحمة واسعة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته))
(٤٩)، وهذا معناه أن الخليفة عرف الرعية بحقوقهم، بحيث لا يستطيع أي والي أن يتجاوز
على حقوقهم، رغم ثقة الخليفة بقيس وبسيرته.

كذلك كتاب تعيين محمد بن ابي بكر الذي ولاه الخليفة على مصر بعد عزل قيس بن
سعد، إذ قرأه الوالي الجديد على أهل مصر عندما وصل إليها، وفي هذا الكتاب توصيات
وتشديد على الوالي في الحفاظ على حقوق الرعية، ونلمس تعريف الناس بحقوقهم
وواجباتهم التي حددها الخليفة لهذا الوالي، والتي عرفها الناس من خلال قراءة هذا
الكتاب عليهم، لذلك لا يستطيع أن يتلاعب بالأموال أو يظلم أحداً، وسنذكر جزءاً
من هذا الكتاب : ((هذا ما عهد به أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر،
أمره بتقوى الله والطاعة له في السر والعلانية، وخوف الله في المغيب والمشهد، وأمره باللين
للمسلم وبالغلظة على الفاجر، وبالعدل على أهل الذمة، وبالإنصاف للمظلوم، وبالشدّة
على الظالم، وبالعفو عن الناس، وبالإحسان ما استطاع، والله يجزي المحسنين، ويعذب
المجرمين، وأمره أن يدعو من قلبه الى الطاعة والجماعة،.... وأمره أن يجبي خراج الأرض
على ما كانت تجبي عليه من قبل ولا ينتقص ولا يتدع، ثم يقسمه بين أهله كما كانوا
يقسمون عليه من قبل)) (٥٠).

كذلك فإن الخليفة قد أعطى الحق للناس بالكتابة إليه مباشرة، في حال ظلمهم الوالي
أو تجاوز على الأموال، لأن الوالي يعد أعلى سلطة في الولاية، فتكون الشكوى مقدمة الى
من هو أعلى منه في هرم السلطة وهو الخليفة، وقد رأينا ذلك في كتابة قبيلة تميم للخليفة
عن تجاوز الوالي عليهم، لكن هذا الأمر سبقه توجيهات للولاة وعمال الخراج، في تلقي
الشكاوى المباشرة من الناس، سواء كانت هذه الشكاوى على العمال الذين يعينهم الوالي
في الإدارة المالية، أو الذين يعملون في جباية الضرائب من الناس (٥١)، ويمكن أن نعرف

هذا الأمر عندما نقرأ بعض فقرات الكتاب الذي أعطاه الخليفة لمالك بن الحارث الاشر لما ولاه على مصر: ((أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك ألا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله، كان الله خصمه دون عباده، ومن خصمه الله أدحض حجته، وكان لله حربا حتى ينزع أو يتوب، وليس شيء أدعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته، من إقامة على ظالم فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد))^(٥٢)، ويمكن القول إن مثل هذا التوصيات لم تكن موجهة لمالك الأشر فقط، بل هي تعليقات يعمل عليها جميع الولاة والعمال في أرجاء الدولة الإسلامية، وجميع أوامر التعيين التي أصدرها الخليفة لهؤلاء الموظفين كانت تتضمن تعليمات قريبة من هذا النص، ولا يخفى أن الهدف من هذا النص، هو أن الوالي يجب أن يستشعر هموم الناس البسطاء، ويعالج أي ظلم يقع عليهم، وهذه هي المرحلة الأولى التي أرادها الخليفة من الولاة والعمال، لذلك أوصاهم بضرورة أن تكون أبوابهم مفتوحة لاستقبال الناس في ولاياتهم، دون أن يكون هناك حجاب يفصلهم عن رعيتهم، أو وجود مجموعة من الأشخاص يشكلون حاجزا بين الوالي أو العامل وبين الناس، فكتب بعض الكتب لهؤلاء في المعنى المتقدم، إذ تذكر الروايات أنه كتب لمالك الاشر: ((وأما بعد فلا تطولن احتجاجك عن رعيتك، فإن احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور))^(٥٣)، وفي كتاب آخر وجهه الى قيس بن سعد: ((فألن حجابك، وافتح بابك، واعمد الى الحق))^(٥٤)، وفي بعض الحالات التي يقع الظلم على الرعية من الوالي نفسه، ولا يجدون في ولاياتهم من ينصفهم منه، يكتبون الى الخليفة مباشرة، وهذه الكتابة لم تقتصر على المسلمين فقط، بل تعدت ذلك الى غير المسلمين، لأن رعايا الدولة لم يكونوا من المسلمين فقط، بل كان هناك مجاميع كبيرة تعيش في ظل الدولة من الفلاحين والصناع والتجار من غير المسلمين، ففي رواية أن الدهاقين في ولاية أصفهان كتبوا الى الخليفة، إن عامل الخراج عمرو بن سلمة الارحبي

كان لا يعاملهم باحترام، ويقسو عليهم ويحتقرهم، لذلك كتب اليه الخليفة كتابا يأمره بتغيير هذا السلوك، مع هؤلاء الفلاحين الذين هم الركيزة الأساسية لاقتصاد الدولة، ونموذج التعايش بين المسلمين وغيرهم، وعليه فإن عدم دخولهم للإسلام يجب أن لا يكون مدعاة لاحتقارهم، ((أما بعد فإن دهاقين بلدك شكوا منك غلظة وقسوة، واحتقارا وجفوة، ونظرت فلم أرهم أهلا لأن يدنوا لشركهم، ولا يقصوا ويجفوا لعهدهم))^(٥٥).

وعندما تحدث خيانة من أحد العمال، كان الناس الذين يسكنون في تلك الولاية، أحد المصادر التي يعتمد عليها نظام الرقابة، من أجل تأكيد أو نفي التهمة عن شخص الوالي أو العامل، ومن الأمثلة على ذلك الشكوى التي قدمها بعض المسلمين، الذين كانوا يسكنون في إصطخر ضد عامل هذه المدينة المنذر بن الجارود العبدى، ومفاد هذه الشكوى إن هذا العامل سرق بعض الأموال من تلك المدينة، لذلك عندما وردت للخليفة نفس هذه المعلومات من جهاز العيون، أحضر هذا العامل وعاقبه وعزله عن تلك الولاية^(٥٦).

وفي بعض الحالات كان الناس يفتدون الى الخليفة من أجل تقديم الشكاوى ضد الولاية والعمال، إذ تذكر الروايات أن سوده بنت عمارة ومجموعة من قومها، قدموا الى العاصمة لتقديم شكوى ضد عامل الصدقات في المنطقة التي يسكنون فيها، لأنه كان لا يلتزم بالأوامر التي أصدرها الخليفة، والمتعلقة في كيفية جباية هذه الصدقات، مما نتج عنه ظلم في الجباية والتوزيع، وكانت هذه المرأة هي التي تحدثت مع الخليفة عن الأمر لذلك عندما سمع الخليفة هذه الشكوى تأثر كثيرا نتيجة للإساءة التي صدرت من هذا العامل، وبكى لأن الظلم وقع على رعايا دولته، ثم رفع يديه الى السماء وقال: ((اللهم أني لم أمرهم بظلم خلقك، ولا ترك حقك))، ثم كتب كتابا الى العامل يأمره بحفظ الأموال التي بحوزته، لحين تعيين شخص آخر يتولى المهمة بدلا عنه: ((بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾، فإذا قرأت كتابي هذا فأحفظ بما في يدك من عملنا، حتى يقدم عليك من يقبضه منك، (والسلام))^(٥٧) لكن هذا الإجراء الذي اتخذته الخليفة تبعه بالتأكيد تدقيق في صحة الشكوى المقدمة من الأهالي ضده، إذ ليس من المعقول أن يعاقبه بدون تدقيق، وربما الشخص الذي سيقبض الأموال منه كان هو الذي يدقق في هذه الشكوى^(٥٨).

ثالثاً: تجنب التكبر والشعور بالعظمة والاستبداد

كان منهج الإمام (عليه السلام) في ادارته للدولة عماله يقوم على قاعدة رئيسة مفادها ان الولاية والعمال ليسوا اكثر من موظفين لهم واجبات محددة، ولا يحق لهم ان يستغلوا الوظيفة باي شكل من الاشكال، او يتكبروا على الناس ويشعروا بالأبهة ويرتدوا رداء الكبرياء على عباد الله، لذلك كانت توجيهات العهد واضحة في هذا الباب : ((وإذا أعجبك ما أنت فيه من سلطانك فحدثت لك به أبهة أو مخيلة، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فإن ذلك يطامن إليك من طمأحك، ويكف عنك من غربك ويفيء إليك ما عزب من عقلك، وإياك ومساماته في عظمته، أو التشبه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار ويمين كل مختال فخور))^(٥٩)، وهذا القول يردع الوالي عن عن الطغيان ويضمن عدم تكبره، وضمان له من التجبر، وهما اشد ما يفسد الدول ويخرّب المجتمعات وينقض العمران. وقديما قيل: من استبد برأيه هلك. وقيل: ما خاب من استشار. وقيل: مشاوره العقلاء مشاركة لهم في عقولهم^(٦٠).

رابعاً: الحفاظ على الدماء

كان الانسان في دولة الامام علي (عليه السلام) يمثل اعلى قيمة، فسعى من خلال توجيهاته وممارساته العملية الى الحفاظ عليه وعلى كرامته، فحذر مالكاً - مع قربه الشديد منه - من التجاوز على الدماء، بل ذهب اكثر من ذلك عندما حذره من ان أي تجاوز على الدماء سيقابله الاقتصاص من شخص الوالي، ((إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء ادعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أخرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها. والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة. فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله. ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمدة لأن فيه قود البدن))^(٦١).

إن آفة الابتلاء بسفك الدماء بغير حلها، وهو أخطر ما امتحن الناس به، وشهدوا ما شهدوا منه من أهوال في عهود الطغاة من الذين استحوذوا على مقاليد الأمور بعد استشهاد (عليه السلام) وانقضاء عهده الشريف، فهذه الآفة المهلكة، كما يبصرها الإمام (عليه السلام) وكما شهدت به الوقائع التاريخية وما تزال تشهد به اليوم تستدعي عند الله النقمة، وزوال النعمة، وتعجيل الأجل، وتعظيم التبعة، وتتقدم - لشناعتها عند الله - غيرها من الخطايا في المساءلة يوم الحساب.

يعقد جورج جرداق^(٦٢) مبحثين مهمين في كتابه ((الإمام علي صوت العدالة الإنسانية)) يشغل الأول منها خمسا وأربعين صفحة وعنوانه ((علي ومبادئ الثورة الفرنسية))، ويشغل الثاني منها عدة صفحات وعنوانه ((وثيقة حقوق الإنسان))، وفيه يربط بين مبادئ هذه الوثيقة وتعليمات الإمام (عليه السلام) ووصاياه إلى ولاته وعماله ومرؤوسيه، الأمر الذي يوحى بأن الإمام (عليه السلام) قد سبق في فكره ورؤياه فلاسفة الثورة الفرنسية والمشرعين العالميين في عصرنا هذا بعدة أجيال ومراحل.

خامساً: النهي عن الاحتجاج عن الرعية

من القواعد الهامة التي وضعها الإمام علي عليه السلام لموظفيه انه يجب ان يكون التواصل مع الرعية من دون حجاب، فيكون الوالي والعامل متابعاً لأحوال مواطنيه، ويكون المواطن على معرفة تامة بما يدور في الدولة، فيشعر انه جزء مهم وفاعل فيها، لذلك وجه مالكاَ بعدم الاحتجاج فقال له في العهد: ((فلا تطولن احتجاجك عن رعيتك، فإن احتجاج الولاة عنالرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمر، والاحتجاج يقطع عنهم علم ما احتجواؤونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحقبالباطل، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور وليستعلى القول سمات يعرف بها الصدق من الكذب، فتحصن من الادخال في الحقوقبلين الحجاب فإنما أنت أحد رجلين: إما امرء سخت نفسك بالبذل في الحقفقيم احتجاجك؟ من واجب حق تعطيه؟ أو خلق كريم تسديه؟، وإما مبتلى بالمنع فماأسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك مع أن أكثر حاجات الناس إليكمالامؤونة عليك فيه من شكايمة مظلمة أو طلب إنصاف))^(٦٣)، وهذا يعني ان الوالي على مساس مباشر مع الناس حتى لا تكثر التكهينات وتسود الظنون، ويجرم اصحاب الحاجات من قضاء حاجاتهم، فيتعرف على شؤونهم مباشرة من دون وساطات قد تزيف الامور.

من يتصفح سيرة الامام علي (عليه السلام) يجده اكثر التصاقا بالناس وحضوراً معهم في السراء والضراء، وهذه الصفة الاخلاقية من اهم الاسباب التي رسخت محبة الامام (عليه السلام) في قلوب الناس، وجعلته لا يغيب عن ذاكرة الامة مع مرور الزمن، ويمكننا تلخيص السيرة العملية لامير المؤمنين (عليه السلام) ونهجه في التعامل مع الجماهير بما يلي :

- ١- مساواته (عليه السلام) لنفسه مع اضعف الناس حالاً.
- ٢- البساطة في العيش، والابتعاد عن مظاهر البذخ التي يمارسها اكثر الحكام.
- ٣- الاهتمام بتأمين حوائج الناس بنفسه (عليه السلام).
- ٤- حفظ كرامة الجماهير، والتواضع امامهم، ومعاملتهم باحسان.
- ٥- مواساة المستضعفين، والسعي الدؤوب في تأمين مستوي معيشي لائق بهم.
- ٦- تطبيق العدل والمساواة في المجتمع، وازلة الفوارق الطبقية بين افراد المجتمع.
- ٧- اعتبار نفسه (عليه السلام) وولاته خداماً للمجتمع، وحراساً لرعاية مصالح الناس.
- ٨- رعاية حقوق آحاد المجتمع بصرف النظر عن انتماءاتهم العرقية والدينية.
- ٩- عدم الحد من الحريات المشروعة للناس حتى بالنسبة للذين خالفوه ولم يبايعوه، وتحذيره لولاته بعد ايقاع العقوبة بأحد الا بعد ارتكابه جريمة تخالف الشرع.
- ١٠- الاقرار بدور الامة وانعقادها في امر القيادة السياسية والادارية والاجتماعية^(٦٤).

سادساً: الحذر من البطانة

سعى الامام علي (عليه السلام) الى تحقيق اعلى درجات العدالة في المجتمع الاسلامي، وان يتمتع الجميع بالحقوق نفسها بغض النظر عن القرابة مع الحاكم، وقد شهدت مدة حكم عثمان بن عفان استئثاراً بالسلطة والاموال والاقطاعات من قبل بطانته المتمثلة ببني امية، فوضع الامر حدا لهذه الآفة التي فتكت بالمجتمع وشككت بعدالة الاسلام، والزم بقية الموظفين بالالتزام التام بنهج الخلافة، فكتب في عهده لمالك: ((ثم إن للوالي خاصة وبطانة، فيهم استئثار وتناول وقله انصاف، فاحسم مؤونة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولا تقطعن لاحد منخاصتك وحامتك قطيعة، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة، تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك، يحملون مؤونته على غيرهم،

فيكون مهناً ذلك لهم دونك، وعييه عليك في الدنيا والآخرة، والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعا ذلك من قرابتك وخواصك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فان مغبة ذلك محمودة، وان ظنتالرعية بك حيفا فاصحر لهم بعذرک، واعدل عنهم ظنونهم باصهارک، فإنفي ذلك اعدارا تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحق))^(٦٥)، وقد ارتبط هذا الإجراء ارتباطاً بنهج الاصلاح الذي اتبعه الإمام (عليه السلام) في خلافته، وهو في الوقت نفسه يراعي مبدأ حقوق الإنسان الذي نادى به المنظمات في العصر الحديث.

وقد كانت توجيهات الامام تحمل بين طياتها تشخيصاً دقيقاً لواقع هذه الطبقة، فعدها طبقة نفعية غير مستعدة للتضحية عندما تتعرض الدولة لأزمة، وهي اثقل طبقة من حيث المؤونة في اوقات الرخاء، اي انها ليس لها الا ادوار سلبية في الدولة، وكان هذا التشخيص بناءً على تجارب شخصية مر بها الإمام (عليه السلام)، إذ تعامل مع هذه الطبقة في عهد عثمان بن عفان وكيف اسهمت في الثورة عليه وقتله من قبل المسلمين، وقد حجمها عندما تولى الخلافة وسحب امتيازاتها وصادر اموال الدولة التي استحوزوا عليها بحكم قربهم من عثمان بن عفان.

كما انه (عليه السلام) لم يسمح لأقربائه بتولي المسؤوليات في الدولة او استغلال قربهم منه، فجعل الامام (عليه السلام) هذا الامر نظاماً عاماً في الدولة، وفرض على الولاية الحذر من استغلال المقربين منهم لسلطاتهم: ((وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإن مغبة ذلك محمودة))^(٦٦)، ونظراً لقرب المستشارين والوزراء من الحاكم بطبيعة موقعهم ووظيفتهم، فان الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) يشركهم في بطانة الحاكم، غير انه لتمييز مكانتهم فانه (عليه السلام) يفرد لهم فقرة تفعيلية توضح

للحاكم من يمكن ان يعتمدهم مستشارين ومن يجب عليه ان يبعدهم ويتعد عنهم،
 فيبدأ باكثر الاخلاق دمامة التي تمتاز بها بطانة السوء وهي البخل، قال تعالى ﴿ وَمَنْ
 يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
 غَيْرِكُمْ ثُمْ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمُ ﴾^(٦٧)، فيقول: ((ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل
 بك عن الفضل أي يمنعك ببخله عن البذل والاحسان والعطاء، ويعدك الفقر))^(٦٨) أي
 يخوفك من الفقر إذا ما بادرت بالبذل والعطاء ف((البخيل بعيد عن الله، بعيد من الناس،
 بعيد من الجنة، قريب من النار))^(٦٩) كما يقول الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم
 و((جاهل سخي احب إلى الله من عابد بخيل))^(٧٠).

وأما الصفة الأخرى الواجب تجنبها في المستشارين فهي الجبن فيقول (عليه السلام):
 ((ولا جباناً يضعفك عن الامور)) إذ كما يقول الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم
 ((لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلاً ولا جباناً))^(٧١).

أما الصفة الثالثة المبعوضة في المستشار بحسب نص الامام علي بن ابي طالب (عليه
 السلام) فهي الحرص، قال (عليه السلام) ((ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور))^(٧٢)
 ويلخص الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) بعد ذلك السبب الجامع
 لدم هذه الصفات في الانسان عموماً وفي المستشار بخاصة فيقول: ((فان البخل
 والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله))^(٨٣) أي ان هذه الصفات
 هي صفات مناقضة للايمان بالله عزه وجل، وبالتالي فان تواجدها في بطانة
 الحاكم وخاصته أو في أي جزء من اجزاء ادارة الدولة انها تترتب عليه المفسد
 والمظلوميات وانتهاك الحقوق^(٧٣).

وعليه، فإن مواصفات البطانة السيئة والمستشارين التي يجب على الحاكم أو المدير ان يتجنبها ويتحاشاها حسب ما يفهم من النص هي من يتصف افرادها باي من الصفات الآتية: ((الحقد، الضغينة، الحسد، الوشاية، الانتقاص من الناس و اظهار عيوبهم، السعي للمآرب والمكاسب الشخصية بدون وجه حق كالانتفاع من العطايا الخاصة أو المناصب أو الصلاحيات أو ما إلى ذلك من مكاسب دنيوية، الجشع، البخل، الجبن، الحرص، قلة المروءة، الكذب، قلة الغيرة، الانجرار وراء هوى النفس ورغباتها، التدليس والمخادعة واخفاء العيوب بقصد الغش))^(٧٤).

سابعاً: طبيعة اختيار العمال والولاية

وضع الإمام علي (عليه السلام) منهاجاً متكاملًا عند اختياره للعمال والولاية، فراعى فيهم الكفاءة والخبرة والسمعة الطيبة والانتساب الى البيوتات الصالحة والالتزام الديني والتربية العالية، وذلك حفاظاً على ادارة الدولة بصورة امثل، لاسيما بعد الاعتراضات التي واجهت الخليفة عثمان عندما حول الدولة الاسلامية الى ضيعة لبني امية بعد ان ولاهم على ولايات المسلمين وتغافل عن سوء تصرفهم، فبدأ الإمام بتصحيح الأوضاع في كل مفاصل الدولة الإسلامية فكان تغيير الكادر الاداري على رأس سلمه الإصلاحى، لذلك الزم ولاته باتباع النهج نفسه في ولاياتهم، لاسيما ان النظام الإداري للدولة الإسلامية كان يقوم على اللامركزية، إذ أن الولايات الإسلامية كانت تتمتع بنوع من الحكم اللامركزي مع ارتباطها بالمركز، أي ان الولاية كان عندهم حيز من الحرية في إدارة ولاياتهم، ويعود ذلك الى اتساع الدولة الإسلامية، وصعوبة الاتصالات بين الولايات والمركز، كذلك بعد المسافة ووعورة الطرق، الأمر الذي أدّى الى إعطاء الولاية مجموعة من الصلاحيات، لتسهيل حكم ولاياتهم، لكن على الرغم من مميزات هذا النظام، فإنه قد يعد خطراً إذا ما تولى أشخاص غير مناسبين إدارة هذه الولايات، وهذا

ما لمسناه من خلال التأكيد الشديد للإمام (عليه السلام) لواليه على مصر اذ قال له :
 ((وتوَحَّ منهم اهل التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة
 فإنهم أكرم اخلاقاً وأصح اعراضاً واكل في المطاعم إشراقاً وأبلغ في عواقب الأمور نظراً))
 (٧٥) ويجذر الامام مالكا ان يكون الاختيار بناءً على المحاباة والأثرة، ويحدد له بان يكون
 الاختيار بناءً على الاختبار والتجربة، وان يراعى بالاختيار اولئك الذين يتمتعون بحياء
 يمنعهم من استغلال وظائفهم، وهذا الحياء قرنه الامام عليه السلام بالتربية العالية في
 البيوت الصالحة التي تعلم ابنائها فضائل الاخلاق

وهذه النقاط الرئيسة لها انعكاسات ايجابية على الادارة، لان الاختيار بناءً على
 الشروط المتقدمة يعني اختيار عمال على درجة عالية من الاخلاق يعني انهم قادرين
 على صيانة انفسهم من الوقوع في الخيانة، واستغلال وظائفهم، لاسيما انه اوصاه بان
 يعطيهم رواتب تتناسب مع عملهم حتى لا ينظروا الى الاموال التي تحت ايديهم، وهي
 في حجة على هؤلاء ان خانوا اماناتهم، عندما تولى الامام علي (عليه السلام) الخلافة
 سعى لتطبيق هذه السياسة على أرض الواقع، بعد أن شخص العلل وحاول أن يضع لها
 حلولا، وكان رأيه إن إحدى الآفات الرئيسية التي سببت الأزمة السياسية والاقتصادية،
 هي تعيين أشخاص غير مناسبين في المواقع الإدارية، لاسيما ماله مساس مباشر بأموال
 المسلمين، لذلك كان رأي الخليفة علي (عليه السلام) معالجة هذه المشكلة بالتحديد،
 وأول إجراء اتخذته هو تغيير الكادر الإداري في عهد عثمان بن عفان، وهذا التغيير لم يكن
 من أجل التغيير فقط، بل من أجل معالجة المشكلة السياسية والاقتصادية التي تعاني
 منها الدولة الإسلامية، وهذه المعالجة كانت تركز على إصلاح الإدارة المالية للدولة
 الإسلامية، وهذا الإصلاح يقوم على اختيار موظفين كفؤين قادرين على صيانة أموال
 المسلمين، وهؤلاء الموظفون هم الولاة وعمال الخراج والجزية والصدقات، واختيارهم

كان يعتمد على مجموعة من المعايير وضعها الخليفة علي بن ابي طالب، مع ارتباط هذا الاختيار للموظفين الكفوئين، بنظام رقابي شديد طبقه على ولايات الدولة الإسلامية، والقائمة التي اختارها الخليفة علي بن ابي طالب للعمل كولاة وعمال خراج تتوفر فيها الصفات المذكورة انفاً، فقسم كبير من هؤلاء الذين اختارهم لهذه الوظائف هم من الصحابة الأوائل الذين سبقوا الناس في دخول الإسلام، وهم من أهل الورع والتقوى وعاشوا مع الرسول فترة من الزمن تعلموا من خلالها الفقه الإسلامي، ولم يؤثر عليهم سلبيات في الفترة التي سبقت خلافة علي بن ابي طالب، لذلك فإنهم قادرون على تطبيق تعاليم الإسلام في الولايات والمدن التي تقع تحت سلطتهم، وهو أمر مهم في الإصلاح الاقتصادي الذي انتهجه الخليفة، لان هؤلاء يتحلون بصفات الإيمان والعلم بالأحكام الشرعية، والشجاعة والبذل والتضحية، وهذه هي صفات المسلمين الأوائل^(٧٦).

ومن هذه الأسماء عثمان بن حنيف الذي ولاه الخليفة على ولاية البصرة، وهو أحد الصحابة من الأنصار أسلم عند هجرة الرسول صلى الله عليه واله وسلم الى المدينة، واشترك في معركة احد وجميع المعارك التي بعدها، وكذلك اخاه سهل بن حنيف الذي ولاه الخليفة علي بن ابي طالب على المدينة، كان من خيار الصحابة الأوائل أسلم عند هجرة الرسول صلى الله عليه واله وسلم، وهو من الصحابة الذين اشتركوا في معركة بدر الكبرى وجميع المعارك التي بعدها، ومن الذين ثبتوا يدافعون عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم في معركة احد عندما حاصره المشركون وفر أغلب الصحابة، إذ بايعه على الموت في تلك المعركة. كما عين الخليفة أبا ايوب الأنصاري على المدينة، وهو من الصحابة الأوائل من الأنصار أسلم قبل هجرة الرسول صلى الله عليه واله وسلم الى المدينة، وبايع بيعة العقبة عندما كان الرسول صلى الله عليه واله وسلم في مكة، وبعد وصول الرسول صلى الله عليه واله وسلم الى المدينة سكن في بيته، واشترك ابو ايوب في

معركة بدر وجميع المعارك التي بعدها، ومن الولاة الآخرين حذيفة بن اليمان الذي كان واليا على المدائن، وهو من الصحابة الأوائل من حلفاء الأنصار، اشترك في معركة احد وجميع المعارك التي بعدها، وكانت له مكانة كبيرة عند الرسول صلى الله عليه واله وسلم، واشترك في الفتوحات الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه واله وسلم، وكان أحد قادة الجيوش الإسلامية في هذه الفتوحات.

ومن الولاة الآخرين عبد الله بن عباس الذي ولاه الخليفة على البصرة، وهو من قدماء الصحابة، أسلم في مكة وهاجر مع الرسول صلى الله عليه واله وسلم الى المدينة، وكان يسمى البحر لسعة علمه ويسمى حبر الأمة، وهو ابن عم الرسول صلى الله عليه واله وسلم والخليفة علي بن ابي طالب، ومن المقربين من الخليفة وسيرته كانت محمودة في عهد الحكام بعد الرسول صلى الله عليه واله وسلم، وهو من الفقهاء المعروفين في عهدهم^(٧٧).

كان قيس بن سعد بن عبادة والي مصر من أوائل الصحابة، وهو ابن سعد بن عبادة أحد سادات الخزرج الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه واله وسلم قبل هجرته الى المدينة، وأحد النقباء الأثني عشر الذين أختارهم الرسول صلى الله عليه واله وسلم ليكونوا ممثلين عنه في المدينة، وقيس من شجعان العرب وكرمائم المشهورين، وذو رأي صائب ومن بيت سيادة، وكان صاحب شرطة رسول الله، وكان أبو قتادة الأنصاري والي المدينة من أوائل الصحابة من الأنصار، اشترك في معركة احد وجميع معارك المسلمين، وكان يسمى فارس رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، وكان قرظة بن كعب الأنصاري من الصحابة الأوائل، اشترك في معركة احد مع الرسول والمعارك التي تلتها، وكان أحد أبطال المسلمين في الفتوحات الإسلامية^(٧٨).

ومن الولاة الآخرين الذين اعتمد عليهم الخليفة في إدارة الدولة الإسلامية عمر بن أبي سلمة الذي ولي على البحرين وفارس قبل معركة صفين، وهو ابن الصحابي أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي أول من هاجر الى المدينة من المسلمين، ثم اشترك في معركة بدر وأحد، فجرح في معركة أحد ثم توفي بعد هذه المعركة متأثراً بهذا الجرح، وعندما استشهد تزوج الرسول صلى الله عليه واله وسلم أمه أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة، فكان عمر قد تربى في حجر الرسول، وكان يسمى ربيب الرسول، وكان مخنف بن سليم والي الإمام على أصبهان، وهو من الصحابة أسلم في عهد الرسول صلى الله عليه واله وسلم وسكن في الكوفة، وكذلك كان الصحابي سليمان بن صرد الخزاعي أحد عمال الإمام على منطقة الجبل، وهو من الصحابة أسلم في عهد الرسول، وكان فاضلاً خيراً له دين وعبادة سكن الكوفة بعد تأسيسها، وكان عبد الرحمن بن أبيزيد الذي ولاه الخليفة على خراسان، من الصحابة الأوائل وروى عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم بعض الأحاديث^(٧٩).

وسنكتفي بهذا الإيجاز السريع عن سيرة الولاة والعمال، الذين اختارهم الخليفة علي من أجل العمل في الولايات الإسلامية، وهؤلاء الذين ذكرناهم هم من الصحابة فقط، أما الآخرون فقد كانوا من التابعين الذين عاشوا مع الصحابة وتعلموا منهم، والهدف من هذا الإيجاز التعرف على دقة اختيار الخليفة لعماله، والذي يعني معالجة للمشاكل الاقتصادية والمالية التي خلفتها الفترة الماضية، فهؤلاء لم يكن من بينهم من أتهم بسرقة أموال المسلمين أو قصر في المهمة الموكلة إليه، إذ لم تسجل كتب التاريخ وغيرها أي تصرف سيء قام به هؤلاء الموظفون، سواء لأموال المسلمين أو لإدارة الدولة أو للرعايا الذين كانوا ولاية عليهم^(٨٠).

ثامناً : طبيعة اختيار الكادر الاداري

نهج الإمام (عليه السلام) في ادارته للدولة الاسلامية منهجاً دقيقاً مترابطاً لا توجد فيه ثغرات، فالتفت الى كل المفاصل وعالج سلبياتها ووضع حلول لكن مشكلات الدولة، ولم تكن حلوله مبنية على النتائج فقط، بل انه اوجد علاج استباقي وقائي، فركز على حسن اختيار الموظف وضرورة تمتعه بمميزات تتناسب مع الوظيفة المكلف بها، حتى يضمن احسن اداء وظيفي، لذلك كان العهد فيه توجيهات دقيقة لمالك للالتزام بهذا المنهج، فحدد له الكيفية التي يختار بها كادره الاداري، - وقد قدمنا في النقطة السابقة توصياته في اختيار العمال، وكان من ضمن هذا الكادر الكتاب الذين يمثلون في الوقت الحاضر مدراء المكاتب او امناء السر او حتى الوزراء في الحكومات التي تعتمد النظام الفدرالي^(٨١)، فكتب له: ((ثم انظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائذك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق، ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلافك بحضرة ملاً، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك، وإصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطينك. ولا يضعف عقدا اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك))^(٨٢)، وهذا تفصيل دقيق لمواصفات الموظف الذي يشغل هذه الوظيفة المهمة، فكان معيار الاخلاق على رأس هذه المواصفات، زيادة على تمتعه بالحكمة والكياسة والحنكة والقدرة على الحفاظ على الاسرار، لاسيما انه يتعامل مكاتبات الوالي ومراسلاته مع عماله وقادة الجيش وغيرهم، كما اشترط فيه ان يكون خبيراً في المكاتبات متقناً لها، حتى لا تلبس عليه الأمور ويكون ضابطاً لعمله^(٨٣).

ثم ينتقل الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في الفقرة الثالثة والخمسين من عهده لبيان الاسلوب الامثل لتوزيع المهام بين الكتاب، فيؤكد على مبدأ التخصصية

في العمل من جهة وتوزيع العمل في مجموعات من الجهة الاخرى، فيقول ((واجعل لرأس كل امر من امورك رأساً منهم)) أي انه لا يجب ان تستند المهام للكتاب بصورة عشوائية وانما يجب ان يختص كل كاتب بعمل ما من جملة الاعمال، والسبب في ذلك هو ان هذه المهام والاعمال كما سبقت الاشارة تمتاز بالحساسية من جانب وتحتاج الى الكفاءة العالية من جانب لآخر ولذلك كان من بين الاشتراطات حضور البديهة وعدم الغفلة، ولا يمكن تحصيل المستوى العالي من الكفاءة المهنية والقدرة على القيام بالعمل بوجهه الصحيح الا من خلال امرين:

١ - المداومة على ممارسة نفس العمل، والذي يضمن تعزيز المهارة حتى تتحول الى مقدرة تلقائية لدى الفرد على القيام بالعمل.

٢ - التفرغ للقيام بالعمل وعدم التشتت بسبب الانشغال بالعديد من الاعمال، لان المطلوب بالدرجة الاولى هو ((الكيف)) وليس ((الكم)) في العمل^(٨٤).

ولم يقتصر تحديد مواصفات الموظف على الكتاب والعمال وغيرهم بل شمل القضاة الذين تركز عليهم العدالة وهم الوجه القانوني للدولة، فحدد له طبيعة اختيارهم، ووضع شروطاً عدة لذلك والزمه باتباعها، منها انه يجب ان يكون انه الناس عقلاً واكثرهم وعياً بالأمور، لا يتعب من تحري الحق ولا يأنف من الرجوع عن الخطأ ومراجعة احكامه، ويكون صارماً ان تين له الحكم بعيداً عن الطمع والاغراء، كما اشترط عليه ان يجري على القضاة ارزاقاً كافية تكفل لهم حياة كريمة حتى لا يقعوا في مهاوي الاغراء، وفي الوقت نفسه اشترط عليه ان يعطيهم الدافع المعنوي فيرفع مكانتهم في المجتمع، ولا يسمح بالتجاوز عليهم، وبذلك يكون للقاضي منزلة خاصة في الدولة والمجتمع فيضمن بذلك استقلال القضاء وقوته، ((ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك، في نفسك ممن لاتضيق به الأمور، ولا تحككه الخصوم، ولا

يتهادى في الزلة، ولا يحرص من الفء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وأخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم. ممن لا يزدديه إطراء ولا يستميله إغراء. وأولئك قليل. ثم أكثر تعاهد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيل علتة وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك. فانظر في ذلك نظرا بليغا، فإن هذا الدين قد كان أسيرا في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى، وتطلب به الدنيا^(٨٥).

ان الحديث عن كفاءة الامام علي (عليه السلام) لاتستوعبها وريفات هذا البحث لذلك سنكتفي بالقول بان علي بن ابي طالب (عليه السلام) كان قبل توليه الخلافة يمثل ما تمثله اليوم محاكم التمييز التي تملك الحق في ابرام الاحكام ونقضها، فقد عد الامام (عليه السلام) وجود اخطاء في القضاء دليل على سلبية الحكم لذلك حين كان بعض الحكام بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) يصدر احكاماً في قضايا معينة وهو يظن انه فصل فيها وفقاً لكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله، فكان علي (عليه السلام) يملك سلطة التدخل ووقف تنفيذ الحكم الصادر عن الخليفة ثم تعاد القضية إلى المناقشة ليبدلي فيها علي (عليه السلام) برأيه وقضائه، ويبدو ان ما كان يمارسه الامام (عليه السلام) هو تأكيد لحق المحكوم عليهم بتمييز الاحكام الصادرة ضدهم امام جهة ذات امكانية علمية وقدرة قضائية اسمى من الجهة المصدرة للاحكام، فيقول الامام علي (عليه السلام) ((لا عدل افضل من رد المظالم)) ((وان)) احسن العدل نصره المظلوم^(٨٦).

اما في السيرة العملية للامام (عليه السلام) اثناء خلافته، فقد تطور القضاء في عهده اذ كان الامام المجدد الامثل لمفاهيم القضاء والمطور الافضل للمجتمع الاسلامي والمفسر الاعظم لبواطن الشريعة ووضعها مواضعها مما يلائم الظروف على صعيد التطور

ومسايرة الزمن على مدى التقدم فهو (عليه السلام) اول من فرق بين الشهود، واثبت محاضر التسجيل، ناهيك عن وضع الامام (عليه السلام) بعض العلوم الاخرى مثل علم النفس والبايولوجي والرياضيات وغيرها من العلوم في خدمة العملية القضائية وتحقيقاً للعدالة في المجتمع، فضلاً عن ذلك كان الامام (عليه السلام) اول من اسس ديوان ((متابعة المظالم))، وكان هدفه النظر في الشكاوى التي يرفعها المواطنون ضد الولاة والحكام اذا انحرفوا عن طريق الحق وجاروا على الرعية، وسلبوهم حقوقهم المادية والمعنوية وفي ذلك كله تأكيد دعوة الامام ضرورة تطوير القضاء وتقديم أفضل اداء ممكن لازالة الظلم^(٨٧).

تاسعاً: السياسة الوقائية والقضاء على الفساد

وتبدأ الرقابة في فكر الإمام (عليه السلام) من أصغر الأمور، وتصحيح الأوضاع منذ بدايتها، وليس انتظار الأمور حتى تكبر، وتتفاقم، ثم يكون التنكيل والانتقام، وبالمحصلة فالرقابة في فكره (عليه السلام) إنما هي تحصين العمال ضد الغش والخيانة، وبعبارة أخرى هي وقاية وليست علاجاً، وقد قيل قديماً: ((درهمٌ وقاية خيرٌ من قنطار علاج))^(٨٨)، ونستطيع أن نتلمس ذلك كله من خلال النصوص التي وردت إلينا عن الإمام علي (عليه السلام)، وهو يوصي عامله على مصر بضرورة تعاهد عماله بالرقابة، وتفقد شؤونهم، والسؤال عن أحوالهم؛ ليتضح لنا كم كان هدف الرقابة نبيلاً، وكم كانت غايتها سامية جليلة، بقوله: ((ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانُ مِنْ وَلَدَيْهِمَا، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَدْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ، وَلَا تَدْعُ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ^(٨٩).

فالرقابة عند الإمام علي ((عليه السلام)) إنما هي منع الانزلاق في مهاوي الخطأ

والظلم، وليس القبض على العامل متلبسا بجريمه، فالربح كل الربح في تحصين العمال والولاء من الخيانة للإمام والأمة، كما أن الرقابة في فلسفة الإمام علي (عليه السلام) كلها حُنُوٌّ ومودة، وهي كتفقدهم الوالدين لشؤون ولدتهما، والوقوف على احتياجاته؛ لتجنيبه ما يكره وما يكرهون من الأمور، فهي أذن رقابة الأب العطوف، وليست رقابة المتسلط الجبار^(٩٠).

لقد كان الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) يختار العمال وفق معايير خاصة منها الأمانة والدين والخبرة وغيرها، إلا أنه لم يكتف بهذا الإجراء بل تعداه إلى وضع نظام متكامل يدقق على العمال أعمالهم، وجزء من هذا النظام كان العيون التي يستقي منها الخليفة معلوماته عن تصرفات هؤلاء الولاة والعمال في ولاياتهم البعيدة عن مركز الدولة، ويمكن أن نقول إن هذه النظام يشبه نظام الاستخبارات في وقتنا الحالي، لأن هؤلاء العيون لا يعرفهم سوى الخليفة، ويكتبون إليه مباشرة عن السلبيات والإيجابيات التي يرونها في مناطق عملهم، لذلك نرى أن الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان يعلم بكل الأشياء التي تجري في الولايات الإسلامية، وقد أدى هذا النظام الرقابي فاعليته في مراقبة تصرفات الموظفين التابعين للدولة الإسلامية، لأن الولاة كانوا حذرين في التعامل مع أموال المسلمين، وأصبحت لديهم قناعة أنهم لم يكونوا مطلقي اليد بهذه الأموال، وليس لديهم أي حصانة إذا خانوا الأمانة التي في أيديهم، لذلك كانوا حريصين على أداء أعمالهم بصورة جيدة^(٩١).

ومن خلال وصية الامام علي لملك الاشتر ندرك بان هناك جهازين للعيون، أحدهما تابع للخليفة يراقب الولاة والعمال، والآخر تابع للولاة يراقب عمال الخراج والجزية، لاسيما أن الدولة الإسلامية كانت مترامية الأطراف، وعلى الرغم من أن المصادر لا تذكر لنا أسماء العيون، الذين كان يضعهم الخليفة في الولايات والمدن التابعة لها، فإن وجودهم

كان أكيدا وغير قابل للشك، لأن الإجراءات التي اتخذها الخليفة علي بن ابي طالب بحق بعض الولاة والعمال، تبين أنه كان يعتمد على العيون في معرفة الأخبار، إذ جاء في أغلب الكتب التي وجهها لولاته وعماله الذين تجاوزوا على أموال المسلمين، كذلك في الأخطار التي تتعرض لها الولايات والمدن الإسلامية عبارة (قد بلغني)، وفي هذا دلالة على أن الذي أبلغ الخليفة علي بن ابي طالب هي العيون التي وضعها في كل أرجاء الدولة الإسلامية، وفي أحيان أخرى نراه يصرح أن مصدر معلوماته جاء عن طريق عيون، كما في الكتاب الذي وجهه الى قثم بن عباس والي مكة، عندما وجّه معاوية حملة على هذه المدينة، إذ قال له: ((فإن عيني بالمغرب كتب إلي يخبرني...))، وتبين كتب الخليفة الى الولاة والعمال حجم المعلومات (الاستخبارية)، التي كانت تصل للخليفة عن تصرفات هؤلاء الولاة والعمال (٩٢).

وقد وجّه (عليه السلام) كتباً شديدة اللهجة الى مجموعة من الولاة بناء على هذه المعلومات، مع العلم إن قسم منهم كان من كبار الصحابة مثل عثمان بن حنيف وعبد الله بن عباس، لأنه بالرغم من الثقة التي أعطاها هؤلاء الولاة، كان يريد أن يحمي الناس من هؤلاء، إذا ما استعملوا صلاحياتهم بصورة غير شرعية، كذلك كان يريد أن يحميهم من أنفسهم أيضا، ومن الأمثلة على المعلومات التي وصلت للخليفة عن الولاة، إن والي البصرة عثمان بن حنيف قبّل دعوة أحد أغنياء البصرة لتناول وجبة طعام في بيته، فكتب له الخليفة كتابا بهذا الشأن، وسوف نأخذ جزء من هذا الكتاب من أجل التعرف على رقابة الخليفة على ولاته وعماله: (أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلا من فتية أهل البصرة قد دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل لك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو.....، ألا وان لكل مأوم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وان إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن

طعامه بقرصيه، ألا وأنكم لا تقدرّون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد...)) (٩٣).

وعلى الرغم من أن المعلومات التي بلغت الخليفة جاءت عن طريق العيون، لكن ربما تكون هذه العيون التي أبلغت الخليفة غير معينة من قبله، بل تطوع من بعض المسلمين الذين يسكنون في هذه الولاية، مثل كتاب أبو الأسود الدؤلي^(١٢٣) إلى الخليفة يخبره عن تصرف والي البصرة عبد الله بن عباس، الذي أصبح واليا بعد عثمان بن حنيف، إذ كتب له أن الوالي أخذ عشرة آلاف درهم من بيت المال، فكتب الخليفة للوالي يأمره برد هذه الأموال، وبالفعل أرجعت هذه الأموال إلى بيت المال، وكتب إلى أبي الأسود الدؤلي (أما بعد فقد فهمت كتابك، ومثلك نصح الإمام والأمة، ووالي على الحق، وفارق الجور، وقد كتبت إلى صاحبك، فيما كتبت فيه من أمره ولم أعلمه بكتابك فيه، فلا تدع إعلامي ما يكون بحضرتك، مما النظر فيه للأمة صلاح)، ومن خلال قراءة هذا الرد نستنتج أنه عين أبا الأسود عينا للدولة بصورة رسمية في تلك الولاية^(٩٤).

وعلى الرغم من الشدة التي أتصف بها الخليفة مع العمال المقصرين، إلا أننا في الوقت نفسه نلمس منه حرصه على عدم تصديق كل المعلومات التي ترد إليه، فقد كان يرسل إلى الولاية والعمال الذين ترد معلومات عنهم، ويتبع معهم مجموعة من الإجراءات لمعرفة حقيقة هذه الأعمال، ولا يعاقب أحداً منهم إلا عندما يقر على نفسه بارتكاب الجناية، وفي الحالات التي كانت فيها المعلومات الواردة صحيحة، فإن الخليفة كان يحاسب هؤلاء المقصرين، وأول هذه العقوبات هو عزلهم عن العمل في إدارة الدولة، واسترجاع ما أخذوه من أموال بالنسبة للمتجاوزين على أموال المسلمين^(٩٥).

ولابد من الإشارة الى نقطة مهمة جدا، وهي ظهور سلبيات على الولاة وعمال الخراج، مع أن الخليفة كان يدقق في اختيار هؤلاء، ولا يُعيّن أحداً منهم إلا بعد توفر مجموعة من المميزات فيه كما ذكرنا سابقا، ونحن نعتقد أن هذه المسألة كانت للخليفة علي بن ابي طالب أكثر من كونها عليه، لأن هذه السلبيات كانت موجودة بكثرة في الفترة التي سبقت خلافته، والفترة التي تلتها، لكن لم تكن هناك محاسبة هؤلاء، فلم يضطر أحد من الولاة أو العمال أن يهرب بأموال المسلمين، مادام يتصرف كيفما يشاء ودون حساب، أما في عهد علي بن ابي طالب فقد اختلفت الأمور، فهو لا يرضى بأي تصرف مهما كان بسيطا، إذا لمس فيه إساءة للمسلمين أو لأموالهم، كما أن هؤلاء الذين عينهم ممن توافرت فيهم الصفات المطلوبة لإشغال هذه الوظائف، ولم تسجل عليهم ملاحظات قبل قيامهم بالعمل، والسلبيات التي ظهرت كانت بعد مباشرتهم في أعمالهم، لذلك لا يتحمل الخليفة الإساءات التي ظهرت منهم، لاسيما أنه لم يسمح لهم بالاستمرار في الإساءة، فعزل قسم منهم وعاقب القسم الآخر^(٩٦).

ثم ان الخليفة علي بن ابي طالب (عليه السلام) اتخذ اسلوباً آخر من الرقابة الإدارية وهو التفتيش الاداري على الموظفين الذين يعملون بمعيتهم، وكان هذا النظام يستند على محورين مهمين، أولهما إرسال مفتشين الى المناطق، وثانيهما استدعاء الخليفة هؤلاء الولاة ومراجعة حساباتهم المالية، والتدقيق عن تصرفاتهم^(٩٧).

وهؤلاء المفتشين لم يحدد لهم الخليفة وقت من أجل القيام بهذا العمل، بل يرسلهم حسب الحاجة الى هذا الإجراء، كما أنه لا يوجد موظفين خاصين للقيام بهذه المهمة، بل كان الخليفة يرسل من يثق به من أجل القيام بهذه المهمة، ومن النصوص الواردة لنا عن هذا الإجراء هو تكليف الخليفة لمالك بن كعب الأرحبي عامل عين التمر، بالقيام بمهمة التفتيش في أراضي السواد، أما الجانب الآخر من التفتيش فهو إرسال الخليفة للعمال

والولاية من أجل الحضور الى العاصمة وتدقيق حساباتهم وأعمالهم، وهذا الإجراء كان مكملاً لإرسال الموظفين الى الولايات، ويمكن أن نلمس من خلال الرواية التي تذكر إن الخليفة أرسل الى والي اذربيجان الأشعث بن قيس^(١٢٩) من أجل الحضور الى العاصمة، بعد أن بلغه ان هذا الوالي أخذ بعض الأموال من ولايته، فلما حضر الى العاصمة ألزمه إرجاع الأموال الى بيت المال^(٩٨).

الخاتمة

نحن اليوم بأمس الحاجة الى استلهام الدروس والعبر من تجربة الإمام علي (عليه السلام) في الحكم، لاسيما ونحن نعاني نكوصاً كبيراً في كل جوانب الحياة وعلى جميع المستويات سواء كانت السياسية او الادارية او الاجتماعية او الاقتصادية، وبعد ان فشلت القوى السياسية الاسلامية في تطبيق نظرية الامام علي (عليه السلام) في الحكم التي طالما نادى بها قبل ان تتسلم الحكم. فأصبنا بإحباط كبير نتيجة لهذه التجربة الفاشلة التي اساءت للنظرية الاسلامية في الحكم، فساد شعور اليأس من تحقيق الأهداف التي طالما نشدناها.

والذي نعيشه اليوم من انتكاسة هو نسخة قريبة من تجربة عثمان بن عفان في الحكم اذ استلم الحكم على اساس تطبيق النظرية الاسلامية، لكنه عندما تولى الخلافة لم يستطع كبح جماح اقاربه، الذين اعتبروا الخلافة ملكا لهم يستطيعون التصرف به كما يشاؤون، كما عبر ابو سفيان بن حرب بن امية عن هذا المعنى بقوله: ((اعندكم احد من غيركم، قالوا: لا، قال: يا بني امية تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به ابو سفيان، ما من عذاب ولا حساب، ولا جنة ولا نار، ولا بعث ولا قيامة...))، وحسب المعنى المتقدم فإن خلافة المسلمين أصبحت ملكا لبني أمية، فأصبحت الدولة واموالها مغنما لهم، واعتبروا العباد خولا لهم، ولم يتته الامر الا عندما ثار المسلمون وقتل عثمان بن عفان.

الهوامش

١. جرداق، الامام علي صوت العداة الانسانية، ص ٢٥.
٢. عبد الوهاب، مقدمة في الادارة، ص ١٢.
٣. المرجع نفسه، ص ١٢.
٤. المرجع نفسه، ص ١٢.
٥. الهواري، الادارة، ص ٤.
٦. حسن الشيخ، ملامح من الفكر الاداري في عند الامام علي (عليه السلام)، ص ١٤.
٧. شنشل، نظام الحكم والادارة (عهد الامام علي بن ابي طالب لملك الاشر)، ص ٤٤.
٨. المرجع نفسه، ص ٤٥.
٩. المرجع نفسه، ص ٤٥.
١٠. المرجع نفسه، ص ٤٥.
١١. المرجع نفسه، ص ٤٥.
١٢. المرجع نفسه، ص ٤٥.
١٣. المرجع نفسه، ص ٤٥.
١٤. البيروقراطية : وتعني باللغات الاوربية ((مكتب)) أي تنظيم وادارة الدولة ومؤسساتها عن طريق المكاتب. ينظر: كشك، اسس الادارة العلمية، ص ٣٨.
١٥. حسن الشيخ، ملامح من الفكر الاداري في عند الامام علي (عليه السلام)، ص ١٥.

١٦. شنشل، نظام الحكم والادارة، ص ٤٦.
١٧. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦ / ٧٤؛ الطبري، تاريخ، ٥ / ٩٥.
١٨. الشامي، البرنامج الامثل لادارة الدولة وقيادة المجتمع، ص ١٤١.
١٩. المرجع نفسه، ص ١٤٢.
٢٠. المرجع نفسه، ص ١٤٢.
٢١. المرجع نفسه، ص ١٤٣.
٢٢. المرجع نفسه، ص ١٤٣.
٢٣. المرجع نفسه، ص ١٤٤.
٢٤. المرجع نفسه، ص ١٤٥.
٢٥. الشرهاني، التغيير في السياسة المالية، ص ١٢٢.
٢٦. المرجع نفسه، ص ١٢٢.
٢٧. المرجع نفسه، ص ١٢٢.
٢٨. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦ / ٧٣.
٢٩. المصدر نفسه، ٦ / ٧٤.
٣٠. المصدر نفسه، ٦ / ٧٤.
٣١. شنشل، نظام الحكم، ص ٥٠.
٣٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦ / ٧٥.
٣٣. شمس الدين، نظام الحكم والادارة في الاسلام، ص ٦٨؛ شنشل، نظام الحكم، ص ٥٠.
٣٤. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥ / ٧٥.

٣٥. سورة الشمس، الايات ((٩ - ١٠)).
٣٦. المجلسي، بحار الانوار، ٢٢ / ١٢٥.
٣٧. المصدر نفسه، ٢٢ / ١٢٥.
٣٨. المصدر نفسه، ٢٢ / ١٢٥.
٣٩. المصدر نفسه، ٢٢ / ١٢٥.
٤٠. المصدر نفسه، ٢٢ / ١٢٥.
٤١. المصدر نفسه، ٢٢ / ١٢٥.
٤٢. المصدر نفسه، ٢٢ / ١٢٥.
٤٣. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، من رسالة امير المؤمنين لواليه على البصرة
٤٤. المصدر نفسه، ٦ / ٧٦.
٤٥. الشرهاني، التغيير في السياسة المالية، ص ١٥٥.
٤٦. ابن ابي الحديد، شرح، ٦ / ١٥٢.
٤٧. المصدر نفسه، ٦ / ٢٦٤.
٤٨. الشرهاني، التغيير في السياسة المالية، ص ١٥٦.
٤٩. المرجع نفسه، ص ١٥٧.
٥٠. المرجع نفسه، ص ١٥٨.
٥١. المرجع نفسه، ص ١٥٨.
٥٢. المرجع نفسه، ص ١٥٨.
٥٣. المرجع نفسه، ص ١٥٩.
٥٤. المرجع نفسه، ص ١٥٩.

٥٥. المرجع نفسه، ص ١٥٩.
٥٦. المرجع نفسه، ص ١٦٠.
٥٧. المرجع نفسه، ص ١٦٠.
٥٨. المرجع نفسه، ص ١٦٠.
٥٩. ابن ابي الحديد، شرح، ٥/ ٢٥.
٦٠. ابو جناح، قراءة في عهد التوليه، ص ٦.
٦١. ابن ابي الحديد، الشرح ٥/ ٧٠.
٦٢. الامام علي صوت العدالة الإنسانية ١/ ٣٥٢.
٦٣. ابن ابي الحديد، الشرح ٥/ ٧٠.
٦٤. عبد الله، نظرية التنظيم والادارة في فكر الامام علي، ص ١٩٨.
٦٥. ابن ابي الحديد، الشرح ٥/ ٧٠.
٦٦. المصدر نفسه، ٥/ ٧٠.
٦٧. سورة محمد، الآية ٣٨.
٦٨. المجلسي، بحار الانوار، ٢٢/ ١٥٣.
٦٩. المصدر نفسه، ٢٢/ ١٥٥.
٧٠. المصدر نفسه، ٢٢/ ١٥٦.
٧١. شنشل، نظام الحكم، ص ١٨٩؛ نادر، النظام الاداري الاسلامي، ص ١٦٣.
٧٢. المرجع نفسه، ص ١٨٩.
٧٣. المرجع نفسه، ص ١٨٩.
٧٤. المرجع نفسه، ص ١٨٩.

٧٥. ابن ابي الحديد، شرح، ٥ / ٥٠ .
٧٦. الشرهاني، التغيير في السياسة المالية، ص ١٧٦ .
٧٧. المرجع نفسه، ص ١٦٧ .
٧٨. المرجع نفسه، ص ١٦٧ .
٧٩. المرجع نفسه، ص ١٦٧ .
٨٠. المرجع نفسه، ص ١٦٧ .
٨١. شنشل، نظام الحكم، ص ١٩٠ .
٨٢. ابن ابي الحديد، شرح، ٥ / ٥٥ .
٨٣. شنشل، نظام الحكم، ١٩٠ .
٨٤. المرجع نفسه، ص ١٩٠ .
٨٥. ابن ابي الحديد، شرح، ٥ / ٦٠ .
٨٦. السعد، حقوق الانسان عند الامام علي، ص ٩٦ .
٨٧. المرجع نفسه، ص ٩٧ .
٨٨. الشرهاني، التغيير في السياسة المالية، ص ٢١٠ .
٨٩. ابن ابي الحديد، شرح، ٥ / ٦٦ .
٩٠. الشرهاني، التغيير في السياسة المالية، ص ٢١٠ .
٩١. المرجع نفسه، ص ٢١٠ .
٩٢. المرجع نفسه، ص ٢١١ .
٩٣. ابن ابي الحديد، شرح،
٩٤. الشرهاني، التغيير في السياسة المالية، ص ٢١٠ .

٩٥. المرجع نفسه، ص ٢١١.

٩٦. المرجع نفسه، ص ٢١١.

٩٧. المرجع نفسه، ص ٢١٢.

٩٨. المرجع نفسه، ص ٢١٣.

المصادر

- القران الكريم
- ابن أبي الحديد، ابو حامد عبد الحميد بن هبة الدين المدائني، شرح نهج البلاغة، ط ٢، دار احياء الكتب العربية، بيروت، (١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م).
- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ٦، دار المعارف، القاهرة، (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٦م).
- المجلسي، محمد باقر بن محمد الاصفهاني، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)

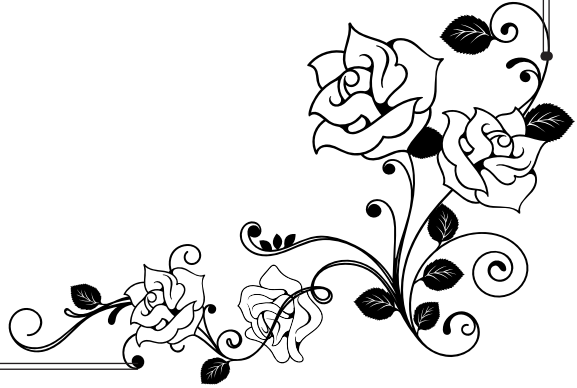
المراجع

- ابو جناح، صاحب، السياسة الادارية عند الامام علي، قراءة في عهد التولية لمالك الاشر، (د.م).
- جرداق، جورج، الإمام علي بن أبي طالب صوت العدالة الإنسانية، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨.
- حسن الشيخ، محمد، ملامح من الفكر الاداري في عهد الامام علي (عليه السلام)، ط ١، دار البيان العربي، بيروت، ١٩٩٣.
- السعد، غسان، حقوق الانسان عند الامام علي، ط ٢، بغداد، ٢٠٠٨م.
- الشامي، حسين بركة، البرنامج الامثل لادارة الدولة وقيادة المجتمع في عهد الامام علي لمالك الاشر، ط ٢، دار الاسلام، بغداد، ٢٠٠٨.

- الشرهاني، حسين، التغيير في السياسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة علي بن أبي طالب، ط ١، تموز للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٣ م.
- شمس الدين، أية الله، محمد مهدي، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، الطبعة الثالثة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، دار الثقافة للطباعة والنشر.
- شنشل، قلاح حسن، نظام الحكم والإدارة في الإسلام عهد الامام علي بن أبي طالب للمالك الاشر، رسالة ماجستير منشورة على صفحات الانترنت.
- كشك، محمد بهجت جاد الله، اسس الادارة العلمية، (د.م).
- عبد الله، عيسى مكي، نظرية التنظيم والادارة في فكر الامام علي، ط ١، مكتبة الروضة الحيدرية، النجف، ٢٠٠٩.
- عبد الوهاب، علي محمد، مقدمة في الادارة، معهد الادارة العامة، ١٩٨٢.
- الملاح، نادر، النظام الإداري الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م إدارة المكتبات العامة.
- الهواري، سيد، الادارة، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٢.

**النشاط التجاري
في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام)**

المدرس الدكتور جمعه ثجيل الحمداني
المدرس الدكتور حيدر عبد العالي
جامعة ذي قار / كلية الآداب / قسم التاريخ



المقدمة

لعل اصعب ما يواجه الباحث هو ان يضع خطأً حاسماً يفصل بين مرحلتين تاريخيتين لمجتمع ما، لأن تحول المجتمع من حالة الى حالة اخرى بطيء وتدرجي، ولذلك فمن العسير تعيين وحدة زمنية والقول بأنها خاتمة عهد وبداية عهد جديد.

وهذه الصعوبة التي نواجهها هنا حين نبغي وضع تحديد زمني دقيق للمرحلة التاريخية التي بدأت الامة المسلمة تشهد فيها الانحراف الصريح عن مبادئ الاسلام، ولكننا نستطيع ان نشهد هذا التحول واضحا منذ بداية النصف الثاني من عهد عثمان.

ولكي يستوفي الباحث شروط البحث الموضوعي، الايكتفي بالظواهر فقط، بل نمضي في البحث عن جذور هذه الظواهر في تصرفات الجماعات والرجال الذين صاغوا تاريخ لهد الفترة، منبهين الى اننا هنا انما نبحت عن طبيعة الاحداث واليتها، ومدى مساهمتها في التعجيل بظهور هذا التيار الجديد في الحياة الاسلامية، لاعتقادنا بان هذه الاحداث كغيره في الاحداث الاجتماعية الهامة لم تكن وليدة اندفاعات وقتية، وانما كانت نتيجة للظروف الاجتماعية التي سبقتها.

ومن الناحية الاقتصادية تحديداً فإن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) سوى بين المسلمين في العطاء، فلم يفضل احداً منهم على احد، وجرى على مبدأ التسوية في العطاء ابو بكر مدة حكمه، اما عمر فقد جرى حين فرض العطاء في سنة عشرين للهجرة على مبدأ التفضيل عندما دون الدواوين وفرض العطاء سنة عشرين للهجرة. ففضل السابقين على غيرهم، وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضل المهاجرين كافة على الانصار كافة، وفضل العرب على العجم، وفضل الصريح على المولى^(١).

وقد ولد هذا المبدأ فيما بعد اسوأ الآثار في يالحياة الاسلامية، حيث انه وضع اساس تكون الطبقات في المجتمع الاسلامي، وجعل المزية الدينية من سبل التفوق المادي، وزود الاستقرائية القريشية التي مكنت لنفسها من جديد بتمكن ابي بكر من الحكم بمبرر جديد الاستعلاء والتحكم بمقدرات المسلمين، فجميع امتيازات الفضيل تجعل القريشيين افضل في العطاء من غير القرشيين^(٢). وهذا يعني ان قريشا افضل الناس، لانها قریش، وكفى بهذا مبررا للتحكيم والاستعلاء.

وقد كون هذا المبدأ سببا جديدا من اسباب الصراع القبلي بين ربيعه ومضر، وبين الاوس والخزرج بما تضمن من تفضيل ثر مضر على سائر ربيعة، وتفضيل الاوس على الخزرج. وقد ارسى هذا المبدأ اول اساس من اساس الصراع العنصري بين المسلمين العرب وغيرهم من المسلمين بما جرى عليه عمر من تفضيل العرب على العجم والصريح على المولى^(٣).

وعندما جاء عثمان سار على نفس المبدأ الذي سار عليه عمر في التمييز بين في العطاء، فظهرت الآثار الضارة لهذا الترسيح في الحياة الاسلامية. وكانت من اهم العوامل التي مهدت للفتنة بين المسلمين.

أدت سياسة عثمان التي ارتكزت على محاباة بني أمية، وسوء توزيع الثروة في الدولة، ورفع أسوا الناس على رقاب المؤمنين، وتركيز السلطه في يد عائله بعينها دون اعتبار للأهلية، والكفاءة الى تمرد عامة الشعب، وتذمر الصحابه حتى انتهى الامر بمقتله^(٤).

ان التاريخ علمنا ان وراء كل ثوره تحدث اسبابا سياسية واخرى اجتماعية او ثقافية، وأسبابا اقتصادية، والذي يهمننا في هذا البحث هو الاسباب الاقتصادية التي أدت الى اندلاع الثورة والتي لم يركز عليها المؤرخون والكتاب ولم يعطوها اهميتها التي تستحقها

في مقتل عثمان بن عفان تحديداً.

أن المشكلة التي سببت الثورة على عثمان ومقتله كان أساسها انحرافاً اقتصادياً مادياً بالدرجة الأولى وهو ما يظهر من عبارة الامام علي عليه السلام التي قالها للمهاجرين والانصار بعد مقتل عثمان، وحينما أتوه وقالوا له: «هلم نبايعك، فقال: ... أني قد كنت كارها لأمركم فأبيتم الا أن أكون عليكم. ألا وانه ليس لي أن آخذ منه درهما دونكم، رضيتم؟ قالو نعم، قال اللهم أشهد ثم بايعهم على ذلك»^(٥).

وهذا يدل على أن الامام علي عليه السلام قد شخص العله التي قامت من أجلها الثورة، وهو الانحراف الاقتصادي الذي بدا واضحا للعيان من خلال تأثيره الكبير على المجتمع الاسلامي آنذاك، ولو لم يكن لهذا الانحراف علاقة بما جرى، ماكان الامام علي عليه السلام قد خصه بالذكر في عهد البيعة الذي له منزلة الدستور.

وأستناداً لكل ماتقدم نستطيع القول: ان الفكر الاقتصادي عند الامام علي (عليه السلام) يحتل مساحة واسعة في كيفية ادارة الدولة من خلال نشاطها الاقتصادي، وكانت التجارة وحركة الاسواق وسبل السيطرة عليها وتحريكها من الامور التي لم تغب عنه (عليه السلام) في تلك المرحلة. وسيوضح ذلك من خلال المباحث القادمة.

تمهيد

أول شيء أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) به مالك الأشر، الذي عينه والياً على مصر، ان يكون محباً للرعية، محترماً لمشاعر الناس من أي فئة كانوا، سواء كانوا مسلمين أم من أهل الأديان الأخرى، ولا يخفى ان في ذلك تثبيتاً لأنسانية الإسلام واحترامه لمشاعر الناس، وتقوية لبنية النظام والحكومة.

قال (عليه السلام) : ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللفظ بهم، ولا تكونن عليهم سبباً ضارياً، فأنتهم صنفان : أما أخ لك في الدين، وأما نظير لك في الخلق)).

ثم دعاه أن لا يميز بين القريب والبعيد في عطاءاته من بيت المال، وقد عانى الناس من التمييز في العطاء أثناء العهد السابق، فكان ذلك من الأسباب التي دعتهم إلى الثورة على الخليفة الثالث.

ثم تعرض (عليه السلام) لأقسام الرعية واصنافها وبين ان كل قسم منها يحتاج للقسم الآخر ومرتب به ارتباطاً عضوياً، حيث ان كل تلك الأقسام تشكل نظاماً متكاملًا ومتناسكاً، فهي بمثابة الجسم الواحد، وعين لكل صنف مسؤوليته ومهمته حتى لا تتداخل الأمور وبالتالي تسود الفوضى.

وفي حديثه عن كل صنف من الاصناف كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يؤكد على ضرورة وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ويؤكد على اختيار أصحاب الكفاءات وحذر من الاختيار القائم على المحاباة والذي تجرع الناس منه الغصص والويلات. قال (عليه السلام) : (واعلم ان الرعية طبقات، لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها

عن بعض، فمنها : جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها : قضاة العدل، ومنها : عمال الانصاف والرفق، ومنها اهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها : التجار واهل الصناعات، ومنها : الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكل قد سمى الله سمه ووضع على حده فريضة في كتابه او سنة نبيه (صلى الله عليه واله وسلم).

واكثر ما تحدث امير المؤمنين (عليه السلام) في كتابه للأشتر (رضوان الله عليه) عن

الطبقة السفلى اي

الفقيرة، وهذه الطبقة تشكل القسم الاكبر في المجتمع في كل زمان ومكان، ولهذا جعل كل تلك الطبقات لحماية ومساعدة هذه الطبقة، حتى تنهض مما هي فيه وتنعم بالعدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. ولو يصار الى تأدية حقوقها كاملة في كل زمان لنهضت، ولكن هيهات!! في ان ينتهي عهد، حتى يأتي عهد جديد يعمق هوة الفقر والمسكنة، وهكذا تتوسع هذه القشرة وتكبر وتتأصل جذورها اكثر فأكثر.

وقد سطر امير المؤمنين (عليه السلام) جاهاً لرفع الغبن والحيف عن هذه الطبقة، خلال الفترة القصيرة التي حكمها، وقد نجح الى حد بعيد في هذا الاتجاه، وان كانت المدة التي حكم فيها غير كافية لقلع جذور الفقر والاستضعاف.

يقول جورج جرداق في كتابه: ((علي وحقوق الانسان)) : ان لعلي بن ابي طالب في حقوق الانسان اصولاً واءاء، تمتد لها في الارض جذور وتعلوها فروع)) وقال في حكاية اخرى من الكتاب : ((له شأن اي شأن، وآراؤه فيها (حقوق الانسان) تتصل اتصالاً كثيراً بالاسلام يومذاك، وهي تدور على محور من رفع الاستبداد والقضاء على التفاوت الطبقي.

قال عليه السلام : ((ثم الله الله في الطبقي السفلى، من الذين لاحيلة لهم من المساكين والمحتاجين واهل البؤس والزمن ؛ فأن هذه الطبقة قانعا ومعترا. واحفظ الله ما استحفظك من حق فيهم)).

وقد ذكر لهذه الطبقة حقوقاً مفصلة كحقوق العامة، الا انها اكثر الحاح هنا. والملاحظ ان الامير (عليه السلام) طلب من واليه على مصر ان يشرف بنفسه على اوضاع هذه الفئة، مضافاً الى الاشراف العام وحذره من التهاون في تنفيذ حاجياتهم، واداء حقوقهم المالية والقانونية والشرعية.

قال عليه السلام : ((واجعل لهم قسماً من اهل بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلد))، ثم قال عليه السلام في موضع اخر : ((واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تقرع لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك)).

المبحث الأول : النشاط التجاري وحركة الأسواق

التجارة والأسواق عند العرب

يتفق المؤرخون على ان العرب كانوا أقدم تجار في العالم، وان جزيرتهم كانت أول المواضع التي شهدت أقدم حركة للتجارة بين الدول، إذ تمتعت هذه الجزيرة بموقع استراتيجي مهم، فهي وسط العالم القديم وعلى طريق التجارة العالمية ولاسيما الطرق التي تصل الشرق الأقصى والهند ببقية أنحاء العالم، وان الرأي القائل بان العرب وخاصة في جاهليتها كانت أمة منعزلة عن العالم لا تتصل بغيرها أي اتصال، وان الصحراء من جانب والبحر من جانب حصرها وجعلها منطقة معزولة عمن حولها. هو رأي خاطئ^(٦).

وقد كانت جزيرة العرب طريقاً عظيماً للتجارة، فطوراً تنقل غلاتها إلى ممالك أخرى كالشام ومصر، وأهم هذه الغلات البخور الذي يكثر في الجنوب ولاسيما ظفار، وطوراً تنقل غلات بعض الممالك إلى بعضهم الآخر. لذا صارت التجارة عصب الحياة الاقتصادية لأكثر الدول التي تكونت في هذه الربوع وغلبت الصفة التجارية على المجتمعات الحضرية، واتسع المجال للتبادل الثقافي بين مراكزها التجارية والثقافات الأجنبية في بعض الفترات^(٧).

وعندما جاء الإسلام أباح كل وسيلة شرعية وكريمة للكسب، ومن هذه الوسائل

التجارة، فقد كان سيد الكائنات محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يعمل في هذه المهنة الشريفة، إذ خرج (صلى الله عليه وآله وسلم) تاجراً إلى الشام في مال خديجة بنت خويلد التي عرضت عليه ان يخرج في مالها تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره لما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه. فخرج (صلى الله عليه وآله وسلم) في مالها حتى قدم الشام^(٨).

ويبدو ان النشاط التجاري كان كبيراً إلى درجة ان بعض الصحابة (رضي الله عنهم) قد مارسوا التجارة مثل عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، وامتلك هؤلاء ثروات طائلة وكبيرة ليس أدل على ذلك من ان سعيد بن المسيب ذكر ان زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسّر بالفؤوس، غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار. وهو الأقل ثروة من بين هؤلاء^(٩).

وقد ذكر الشيخ الكليني^(١٠) العديد من الأحاديث الصادرة عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) بين فيها آداب التجارة وضوابطها وأحكامها وأهميتها في النهج الاقتصادي الإسلامي. وأوضح ان الإمام علي (عليه السلام) كان يحث الناس على مزاولتها وعدم تركها، حيث يقول (عليه السلام): (تعرضوا للتجارة فان فيها غنى لكم عما في ايدي الناس)^(١١) وقال عليه السلام: (اتجروا بارك الله فيكم، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ان الرزق عشرة اجزاء، تسعه في التجارة وواحد في غيرها)^(١٢)، ونقل الشيخ الصدوق^(١٣) قول امير المؤمنين عليه السلام: (تسعة اعشار الرزق في التجارة، والخير الباقي في السابياء، يعني الغنم)، ولم يقتصر الامر في ذكر الاحاديث التي تحث على مزاوله التجارة على الامام علي عليه السلام فقط، بل ان الائمة الاطهار الاخرون حذوا حذوهم في حثهم المسلمين على مزاوله التجارة وبيان محاسنها، وفي هذا قال الامام الصادق عليه السلام: (ان التجارة تزيد في العقل)^(١٤)،

وقال أيضاً : (ترك التجارة ينقص العقل) ^(١٥)، وأكد أيضاً : (ان من طلب التجارة استغنى عن الناس وان كان معيلاً لان تسعة أعشار الرزق في التجارة) ^(١٦)، وهذا يؤكد أفضلية العمل التجاري عند الإمام علي وباقي الائمة الاطهار (عليه السلام) على الأعمال والمهن الأخرى على الرغم من ان كل عمل، وكل تخصص له دوره المعروف في إدامة ونجاح عجلة الحياة الاقتصادية.

وهكذا شجع الإسلام التجارة بعدّها وسيلة مهمة لتلبية ما تحتاجه متطلبات الحياة اليومية. إلا ان ما ورثه العرب من تمسكهم بالعادات القبلية والأفكار الجاهلية، كانت من العوامل التي تعرقل حركة النشاط التجاري منها ان التوفير كان ينظر اليه بازدراء، كما ان الاقتصاد كان يُعدُّ بخلاً ^(١٧). فكان الناس يستهزئون بالتجار لان خطة التاجر الناجح كانت تقوم على الاعتماد على فضول الأموال الصغيرة من القراريط والدوانق والأرباع والأنصاف. فالتجار كانوا يجمعون ثرواتهم من صغائر الأموال لتصبح بعد ذلك ادخارات أي أموالاً مؤهلة للاستثمار ^(١٨)، وهذا ما لا يقره الفكر القبلي في بداية نشوء الدولة الإسلامية.

أما من الناحية الاجتماعية فكان ينظر إلى التجار على انهم أقل مكانة اجتماعية من الأشراف والملوك، وتتفاوت هذه النظرة على التجار بتفاوت أصناف التجار في أطوارهم ^(١٩). إلا ان هذا لا يعني ان التجار كانوا لا يحظون بالاحترام، وابرز مثال على ذلك ما روي عن امير

المؤمنين عليه السلام عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال لزيب العطاره : (إذا أتيتنا طابت بيوتنا، فقالت : بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله. فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إذا بعثت فأحسني ولا تغشي فإنه اتقى الله وأبقى للمال) ^(٢٠). ونستفيد من هذا الحديث الشريف ان هذه التجارة كانت تحظى بالاحترام

الكبير من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لمزاوتها هذه المهنة الشريفة. وقد كان رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يحثها على مزاولة عملها وفي الوقت نفسه على الالتزام بضوابط العمل التجاري. وهناك العديد من الأحاديث التي تؤكد المكانة المحترمة التي يحظى بها التاجر في الإسلام. فقد روي عن الإمام علي (عليه السلام) قوله : (لا تدعوا التجارة فتهونوا، اتجروا بارك الله لكم) (٢١).

وقد رافق هذا النشاط نشاط الحركة في الأسواق التي أخذت تتطور حتى أصبحت لها أهمية خاصة في حياة العرب قبل الإسلام وبعده. وقد كان لهذه الأسواق أهمية كبيرة. فقد أفادت البدو الذين كانوا يأخذون مبالغ مالية نظير الحماية والخدمة في القوافل الوافدة إلى الأسواق (٢٢).

وقد كانت هذه الأسواق في عصر ما قبل الإسلام معروفة ومحددة العدد. إلا أن المؤرخين اختلفوا في عددها فمنهم من ذكر أنها عشرة أسواق، ومنهم من قال أنها أكثر من ذلك (٢٣).

وكان نشاط هذه الأسواق يقتصر في الأعم الأغلب على ما كان يجاوره من الأحياء والقرى، وما ينزل بساحته من القبائل كسوق هجر وحجر اليمامة (٢٤)، ومنها ما كان عاماً تفد إليه الناس من أطراف شبه جزيرة العرب مثل سوق دومة الجندل وسوق صنعاء وسوق عكاظ وسوق عدن وغيره (٢٥).

أما أسواق العرب في الإسلام فقد أصبحت تحتوي على كل أنواع البضائع المعروفة لهم، وأهم هذه الأسواق هو سوق المربد في البصرة (٢٦).

ومن خلال الروايات التي نقلها الشيخ الكليني (٢٧) يتضح لنا أن العمل في الأسواق يحظى بأهمية بالغة في النهج الاقتصادي الإسلامي لهذا كان الإمام الصادق (عليه السلام)

بحث معاذ

بياع الأكسية على مزاوله العمل في السوق فيقول له : (يا معاذ أضعفت عن التجارة أو زهدت فيها؟ ثم يقول له لا تركها فان تركها مذهبة للعقل اسع على عيالك وإياك ان يكونوا هم السعاة عليك). أما الإمام الكاظم (عليه السلام) فكان يقول للسائل : (إعد إلى عزك - وكان يعني السوق-) (٢٨).

وقد كانت الرقابة على الاسواق في عهد امير المؤمنين (عليه السلام)، تحظى بأهمية بالغة منه (عليه السلام) مباشرة، وهذا يدل على الحنكة والخبرة الاقتصادية الكبيرة التي كان (عليه السلام) يتمتع بها، لان ترك الاسواق دون مراقبة سيؤدي الى نتائج وخيمة نتيجة تلاعب الباعة والمضاربين في الاسواق، والتي تؤدي في النهاية الى استغلال الطبقات الفقيرة التي دائما ماتكون هي المتضرر الاكبر من هذه المخالفات الحاصلة في الاسواق. لهذا نرى ان الامام (عليه السلام) يراقب هذه الاسواق ليس عن كذب فقط، بل مباشرة من قبله شخصيا. فقد ورد عنه (عليه السلام) انه وقف على خياط، فقال : ياخياط ثكلتك الثواكل، صلب بالخيط ودقق الدروز، وقارب الغرز، فأني سمعت رسول الله (صلى الله عليه و(اله) وسلم) يقول : يحشر الخياط الخائن وعليه قميصا ورداء مما خاط وخان فيه، واحذروا السقطات فصاحب الثوب احق بها ولا تتخذ بها الايادي تطلب بها المكافئات (٢٩).

وقال (عليه السلام) في ضوء متابعاته وتوجيهاته لنشاط الاسواق : ((لا يقعدن في السوق الا من يعقل الشراء والبيع)) (٣٠).

وكان (عليه السلام) يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول: معاشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا، ولا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره (٣١)، وعن الامام الباقر

(عليه السلام) قال : ((كان امير المؤمنين (عليه السلام) بالكوفة عندكم يغتدي كل يوم بكرة من القصر فيطوف في اسواق الكوفة سوقا سوقا ومعه الدرّة على عاتقه وكان لها طرفان وكانت تسمى السبيبة فيقف على اهل كل سوق فينادي: يا معشر التجار اتقوا الله عز وجل فاذا سمعوا صوته (عليه السلام) القوا ما بأيديهم وارعوا اليه بقلوبهم وسمعوا باذانهم فيقول (عليه السلام): قدموا الاستخارة وتبركوا بالسهولة واقربوا من المقتاعين وتزينوا بالحلم وتناهوا عن اليمين وجانبوا الكذب وتجافوا عن الظلم وانصفوا

المظلومين ولا تقربوا الربى واوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشيائهم ولا تعثوا في الارض

مفسدين. فيطوف الإمام(عليه السلام) في جميع اسواق الكوفة ثم يرجع فيقعده للناس.)) (٣٢)

وفي اثناء جولاته عليه السلام في سوق الكوفة جاءه يوما الاصبغ بن نباته وقال له: ((انا اكفيك هذا يا امير المؤمنين واجلس في بيتك فقال له عليه السلام: مانصحتني يا اصبغ، وكان يركب بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الشهباء ويطوف في الاسواق سوقا سوقا، فأتى يوما طاق اللحامين فقال: يا معشر القصابين لاتعجلوا الانفس قبل ان تزهدق، وياكم والنفخ في اللحم، ثم اتى الى التمارين فقال: اظهروا من رديء بيعكم ماتظهرون جيده، ثم اتى السماكين، فقال: لاتبيعوا الا طيبا، وايكم وماطفا، ثم اتى الكناسة وفيها انواع التجارة من نحاس وقماط وبائع ابل وصيرفي وبزاز وخياط، فنادى باعلى صوت: يا معشر التجار ان اسواقكم هذه يحضرها الايمان فشوبوا ايمانكم بالصدقة وكفوا عن الحلف، فان الله تبارك وتعالى لا يقدر من حلف باسمه كاذبا)) (٣٣).

المبحث الثاني:

السلوكيات والمظاهر المنهي عنها شرعاً في الأسواق

في عهد الامام علي (عليه السلام)

أولاً : الاحتكار :

ومن السلوكيات والمظاهر اليومية في الأسواق والتي كان الامام عليه السلام يراقبها عن كثب : الاحتكار : والاحتكار يعني حبس السلعة والامتناع عن بيعها بقصد أغلاء السعر^(٣٤)، وهو مأخوذ من الحكر وهو الظلم^(٣٥)، والالتواء، والعسر، وسوء المعاشرة^(٣٦). واحتكار الطعام يعني احتباسه تربصاً وانتظاراً للغلاء. وأصل الاحتكار الجمع والإمساك^(٣٧). والحكرة اسم من الاحتكار^(٣٨).

وقد حصر الشيعة الامامية الطعام الذي يتحقق فيه الاحتكار في سبعة أشياء هي الحنطة والشعير والتمر والزبيب والزيت والملح^(٣٩)، وقد ذكر الشيخ الكليني خمسة من هذه المواد لقول الإمام علي (عليه السلام) : (ليس الحكرة إلا في الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن)^(٤٠).

وقد أولى النهج الاقتصادي الإسلامي هذه المشكلة كغيرها من المشاكل اهتمامه البالغ ووضع لها الاحتياطات الوقائية والعلاجية كافة. ذلك ان غايته إصلاح الفرد والمجتمع معاً.

وحين يقول الفقهاء ان الاحتكار هو الحبس لم يكونوا يقصدون ان كل حبس هو احتكار محرم بل لا بد من توفر شروطه وهو الإضرار بالناس. لذلك نقل الشيخ

الكليني^(٤١) قول الإمام علي (عليه السلام) بهذا الخصوص : (الحكرة ان يشتري طعاماً ليس في المصر غيره فيحتكره فان كان في المصر طعام أو يباع غيره فلا بأس ان يلتمس بسلعته الفضل)، وقال (عليه السلام) حين سئل عن حبس الزيت : (ان كان عند غيرك فلا بأس بإمساكه).

ويرى الشيخ الكليني^(٤٢) ان الاحتكار في الطعام لا يتحقق إلا إذا كانت هناك حاجة شديدة لهذا الطعام وأصنافه. أي شحتها أو نفاذها من السوق حيث لا يوجد منها في البلد، وهنا يصبح الاحتكار محرماً. فقد روي عن الإمام علي (عليه السلام) قوله : (الحكرة في الخصب أربعون يوماً وفي الشدة والبلاء ثلاثة أيام، فما زاد على الأربعين يوماً في الخصب فصاحبه ملعون، وما زاد على ثلاثة أيام في العسرة فصاحبه ملعون)، وفي قول آخر له (عليه السلام) : (ان كان الطعام كثيراً يسع الناس فلا بأس به وان كان قليلاً لا يسع الناس فانه يكره ان يحتكر الطعام ويترك الناس ليس لهم طعام).

وعند التدقيق في الحديثين السابقين للإمام علي (عليه السلام) نجد دقة الحسابات العلمية والموضوعية للفكر الاقتصادي الإسلامي الذي لا يقيد حركة الأسواق وحرية التجار في التصرف بما لديهم من البضائع المطلوب تداولها في الأسواق بمجرد ان التاجر تصرف في بضاعته وحجبها عن الأنظار، فما دامت السلع معروضة في الأسواق من قبل تجار آخرين وأوضاع البلد في حالة استقرار فلا يوجد تأثير سلبي على السوق في حالة حجبها، أما اذا كانت الأوضاع في حالة غير اعتيادية كأن تكون السلع شحيحة او يكون البلد في ظروف استثنائية كظروف الحرب مثلاً فالاحتكار هنا يجب محاربه بكل الطرق التي شرعها الإسلام لحماية المجتمع من جشع المستغلين.

وقد أشار الامام علي وفي إطار المعالجات التي ينبغي اتخاذها لمواجهة الآثار السلبية للاحتكار إلى الفكر الاقتصادي الثاقب لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين ذكر

ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

أمر أحد المحتكرين ببيع سلعته بأي سعر يشاء وذلك عندما نفذ الطعام على عهده (صلى الله عليه وآله وسلم) وأتاه المسلمون وقالوا له : (يا رسول الله قد نفذ الطعام ولم يبق شيء إلا عند فلان فمره ببيعه للناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا فلان ان المسلمين ذكروا ان الطعام قد نفذ إلا شيئاً عندك فأخرجه وبعه كيف شئت ولا تجسسه) (٤٣)، وعن الامام علي (عليه السلام) انه قال : (ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مر بالمحتكرين فأمر بحكرتهم ان تخرج الى بطون الاسواق وحيث تنظر الابصار اليها، فقبل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لو قومت عليهم، فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى عرف الغضب في وجهه، انا اقوم عليهم؟! انما السعر الى الله يرفعه اذا شاء ويخفضه اذا شاء) (٤٤). وهذا يعني ان الفكر الاقتصادي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو إلى وفرة المواد الغذائية وبيعها مع غلاء سعرها لان هذا أفضل بكثير من حبسها أو عدم وجودها وذلك لتجنب الآثار السلبية السيئة الناتجة من الاحتكار لان هذه الآثار قد تتعدى الجانب الاقتصادي إلى التأثير على الجوانب الاجتماعية والأخلاقية، بل وحتى السياسية أحياناً. وقد يكون الاحتكار في أحيان كثيرة سبباً من أسباب قلة فرص العمل وازدياد البطالة، لان حجب السلع عن التبادل يؤدي إلى قلة عمليات البيع والشراء وتحريك الأسواق.

والاحتكار حرمه الشارع ونهى عنه لما فيه من الجشع والطمع وسوء الخلق، والتضييق على الناس، فقد ورد عن الامام علي (عليه السلام) انه كتب للاشتر حين ولاه مصر بخصوص الاحتكار : ((... ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات الى ان قال : واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضره للعامة، وعيب على الولاية، فأمنع الاحتكار، فأمر رسول الله

(صلى الله عليه واله وسلم) منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً، في موازين عدل، واسعاراً لا تتجحف بالفريقين البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه، فنكل به وعاقبه من غير اسراف^(٤٥) ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين واهل البؤس والزمنى، فأن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً. واحفظ الله ما استحفضك من صفة فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلد، فأن للاقصى فيها مثل الذي للادنى...)).

وقال (عليه السلام) : (المحتكر محروم نعمته)، وقال : (الاحتكار شيمة الفجار)، وقال : (المحتكر بخيل جامع لمن لا يشكره وقادم على من يعذره)^(٤٦) وقال : (المحتكر اثم عاص)^(٤٧).

ولم يكتف (عليه السلام) بالاقوال بل ترجمها الى اجراءات وافعال فقد نقل عنه انه مر بشط الفرات فأذا كدس الطعام لرجل من التجار حبسه ليغلي به، فأمر به فأحرق. ونقل عنه (عليه السلام) انه كتب الى رفاعه : انه عن الحكرة، فمن ركب النهي فأوجعه، ثم عاقبه بأظهار ما احتكر^(٤٩).

ثانياً : الربا

الربا في اللغة : الزيادة^(٥٠)، وربا الشيء : إذا زاد على ما كان عليه فعظم فهو يربو ربواً^(٥١). أي يأخذ أكثر مما يعطي. وإنما قيل للرابية لارتفاعها ولزيادتها في العظم والإشراف على ما استوى من الأرض مما حولها^(٥٢). ويعني الربا أيضاً الفائدة الفاحشة^(٥٣).

وفي الاصطلاح يعني الربا : فضل أحد المالين المتجانسين على الآخر بلا عوض، شرط لأحد العاقدين. ويعني أيضاً الزيادة على رأس المال قلت أو كثرت

في أشياء مخصوصة^(٥٤).

والربا في الجاهلية هو ان يكون على الرجل دين لرجل، فيحل الدين فيقول له صاحب الدين: تقضي أو تربى، فأن أخره زاد عليه وأخره^(٥٥).

والربا محرم في جميع الأديان السماوية، ومحظور في اليهودية، والمسيحية، والإسلام. وقد حارب الإسلام الربا وتشدد بشكل حازم مع المرابين، لان الكسب عن طريقه خروج على الأساس الشرعي للاكتساب. قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾^(٥٦) أي يذهب ببركته ويهلك المال الذي دخل فيه، (ويربي الصدقات) أي يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويربها كما يربي أحدكم مهره، (والله لا يحب كل كفار أثيم) فالكفار عظيم الكفران والأثيم عظيم الإثم^(٥٧).

وقد حرص الامام علي (عليه السلام) على ذكر الأحاديث التي تحث الناس على عدم التعامل بالربا في الحياة اليومية والابتعاد عنه، فقد أكد ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في توصياته

للناس كان ينهاهم عن التعامل بالربا بعده سلوكية سيئة تضر بالفرد والمجتمع. ففي حديث له (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (من باع واشترى فليحفظ خمس خصال وإلا فلا يشتري ولا يبيع الربا والحلف وكتمان العيب والحمد إذا باع والذم إذا اشترى)^(٥٨). وفي باب التشديد في حرمة أكل الربا لعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أكل الربا ومؤكله.

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يتجول في أسواق الكوفة، ويقول مخاطباً أهل

السوق : (قدموا الاستخارة وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين وتزينوا بالحلم وتناهوا عن اليمين وجانبوا الكذب وتجاؤوا عن الظلم وأنصفوا المظلومين ولا تقربوا الربا)^(٥٩). فيطوف (عليه السلام) في جميع أسواق الكوفة ليوضح للناس الضوابط الأخلاقية التي يفرضها الشرع على المسلم في تعاملات السوق اليومية، ومنها الابتعاد عن الربا.

ولكي يعزز الامام علي (عليه السلام) محاربة النهج الاقتصادي الإسلامي لظاهرة الربا في المجتمع، ويوضح أيضاً عدم ابتعاد هذا النهج عن الجانب التعبدي والأخلاقي. ينقل لنا قول أمير المؤمنين (عليه السلام) على المنبر مخاطباً التجار : (يا معشر التجار الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، والله للربا في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا، شوبوا إيمانكم بالصدق، التاجر فاجر والفاجر في النار إلا من أخذ الحق وأعطى الحق)^(٦٠).

وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شديداً في التهيب والتحذير من مخاطر التعامل بالربا. فقد روي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : (لدرهم ربا أشد عند الله - تعالى - من ست وثلاثين زنية في الخطيئة)^(٦١)، وفي قول آخر له (صلى الله عليه وآله وسلم) : (الربا سبعون باباً أسرها ان ينكح الرجل أمه)^(٦٢). ولهذا عد الإمام علي (عليه السلام) (كسب الربا أخبث المكاسب)^(٦٣).

الآثار السلبية للتعامل بالربا

ان المجتمع المكّي الذي ولد فيه الإسلام كان مركزاً للتجارة الرأسمالية، فسكان مكة كانوا يستثمرون أموالهم بالتجارة وبالقرض بفائدة، ويهدفون من وراء ذلك إلى تنمية رؤوس أموالهم^(٦٤). فسعر الفائدة ثمن يجيء دون ان يقابله أي عمل أو مخاطرة، وفي

هذا التعامل خروج بالنقود عن وظيفتها الأصلية مما يستتبع أضراراً اقتصادية واجتماعية جسيمة^(٦٥). ومع تعاضم المال والاستثمار الربوي كان الأغنياء يزدادون ثراءً، في حين ان المعدمون والفقراء من أحرار القبيلة يزدادون ضنكاً وفقراً، وتتوضح معالم التفاوت الاقتصادي والتمايز الاجتماعي إلى درجة انقسم فيها المجتمع المكّي إلى طبقتين غير متناسبتين العدد والعدة هما طبقة التجار والمرابين وطبقة الفقراء والمستضعفين والأرقاء

(٦٦)

وكان طبيعياً ان يتدخل الإسلام في هذا الوضع من المعاملات وان يفضح هذا الاستغلال الذي يقطع صلوات المودة والرحمة بين الناس ويؤدي بهم إلى الابتعاد عن عمل الخير.

وقد اشار الامام علي (عليه السلام) في تحذيراته عن التعامل بالربا الى امر مهم جدا تجسد بقوله (عليه السلام): (إنما حرم الله عز وجل الربا لكيلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف)^(٦٧)، فإباحة الربا واتخاذ النقود متجراً يجعل معظم رأس المال في أكثر الأحيان مدخراً ومرتكزاً في موضع واحد دون ان يتقلب في الشؤون النافعة المثمرة، وذلك لا لشيء إلا لان الرأسمالي يرفع سعر الربا في السوق فيحول دون جريان النقود إلى تجارة البلاد وصناعتها وزراعتها ولا يسمح له بالجريان إلا إذا وافق ذلك مصلحته الشخصية^(٦٨).

ان خطورة التعامل بالربا دفعت النهج الاقتصادي الإسلامي ان يكون شديداً في التحذير من مخاطر هذه الآفة الكبيرة والمضرة بالمجتمع في حالة الاستمرار بها أو تعاطيها. فقد شمل الترهيب والتحذير كل من كان وسيلة يسهل ترويج هذه المعاملة، ولم يقتصر الترهيب على المرابي فقط. فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (أكل الربا ومؤكله وكتبه وشاهديه فيه سواء)^(٦٩).

ومن الآثار السلبية الأخرى للربا هو إضعافه لروح التعاون بين الناس، وكثيراً ما يؤدي إلى نشوء العداوة بين الأفراد، لان من عادة المرابي ان يكون جشعاً نهماً، قاسي القلب، غليظ الطبع، لا يتورع ان يسفك دم مدينه الفقير إذا اقتضى الأمر، ومهما رأى من فقر مدينه وحاجته فان ذلك لا يعنيه في شيء إنما الذي يعنيه بالدرجة الأولى ان يضيف إلى دراهمه درهماً، ولو مات الفقير جوعاً وهماً.

أما من الناحية الاجتماعية فانه يؤدي إلى خلق طبقة مترفة لا تعمل شيئاً، كما يؤدي إلى تضخيم الأموال في أيديها دون جهد مبذول، فتكون كالنباتات الطفيلية تنمو على حساب غيرها.

ويعد الربا عاملاً مهماً من عوامل تشجيع المتعاملين به على الكسل والابتعاد عن العمل. وفي هذا الإطار قال الإمام الصادق (عليه السلام): (عدو العمل الكسل)^(٧٠). والإسلام يمجّد العمل ويكرم العاملين، ويجعله أفضل وسيلة من وسائل الكسب، وقد أشار الشيخ الكليني^(٧١) في هذا الأمر إلى قول الإمام الصادق (عليه السلام): (إياك والكسل والضجر فأنهما يمنعاك من حظك من الدنيا والآخرة). كما يؤدي الربا أيضاً إلى ضعف الشعور الديني في نفس الفرد المسلم عندما يرى ان ما يطبق في الأرض غير ما ينزل من السماء.

وهكذا أعلنها الإسلام حرباً شعواء على الربا وعلى المرابين الذين يسلبون أموال الناس ويأكلونها ظلماً وعدواناً. ويستغلون ضعف الفقراء وحاجتهم إلى المال.

ومع كل هذا فالإسلام لا يقف أبداً في طريق التائبين العائدين لطريق الحق. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَحْرَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ

وَلَا تُظْلَمُونَ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٢﴾، وهذا يعني ان الإسلام جاء بالحكم القاطع في تحريم الربا وهو محاربة من كان مصراً على التعاطي به. أما في حالة التوبة والرجوع إلى طريق الهداية فلکم رؤوس أموالکم. أي إبطال الزيادة وجعل أصل المال ملكاً لذويه (٧٣).

ومن نافلة القول ان نبين هنا ان بعض الكتاب العرب المعاصرين وبعض المستشرقين من المتحاملين على الدين الإسلامي الحنيف يؤكدون ان الربا هو مفتاح الرخاء الاقتصادي، ولذا فاضت كتاباتهم بالقول ان الإسلام بتحريمه للربا جعل تجارة المال في العالم الإسلامي حكرة في أيدي المسيحيين واليهود، وان منع الربا يعد عاملاً من عوامل عرقلة نمو الصيرفة والائتمان، وان الإسلام بتحريم الربا بدائي ومتخلف يمنع تابعيه من سلوك الطريق إلى الرخاء الاقتصادي.

يقول رودنسون (٧٤): ان الدليل على ان تحريم الربا لم يؤدي إلى كثير من الآثار العملية، هو ان فقهاء الشريعة بذلوا الكثير من الجهد لاكتشاف أساليب يدورون بها من حول التحريم النظري، أساليب عرفت في العربية باسم ((الحيل)). وذكر رودنسون على سبيل المثال واحدة من هذه الحيل هي: (أبيع هذا الكتاب الذي أمامي بمئة وعشرين قرشاً على ان يدفعها لي بعد سنة، ثم أشتريه منه على الفور بمئة قرش أدفعها له نقداً. وإذ ذاك لا أكون قد أقرضت بفائدة بل أكون بعت واشترت!).

ويبدو ان هؤلاء يقتبسون هذه الحيل المبتذلة وينسبونها إلى الفقهاء لتشويه صورة الإسلام، نعم ان هذه القصص موجودة في الكتب العربية ولكنها ليس بالصورة التي يصورها هؤلاء، فكتب الجاحظ (٧٥) مثلاً مليئة بالقصص والحكايات الظريفة التي لم يقصد بها الإساءة للفقهاء الإسلامي، وإنما هي قصص تحدث في كل زمان ومكان، استطاع

الجاحظ من خلالها ان يتحف المكتبة العربية بالمزيد من المؤلفات الأدبية الثمينة. كما ان هذه الحيل لو حصلت فعلاً وهي على الأرجح حاصلة على مر العصور فأنها لا تمثل إلا فئة قليلة لا تحسب على الإسلام وأهله.

ومن الجدير بالذكر ان الإسلام لم يكن أول من حارب الربا، فقد وجد في المجتمعات القديمة فلاسفة نادوا بتحريم الربا وشنعوا على من يتعامل به، ومن هؤلاء أرسطو فيلسوف اليونان الشهير. فقد نادى بتحريم الربا لانه طريق غير طبيعي وغير معقول لاستثمار الأموال وقال : (الأرض يمكن ان تخرج نباتاً والدابة يمكن ان تلد دابة مثلها، ولكن كيف يتصور ان يلد الدرهم، أو الدينار درهماً آخر أو دينار آخر. لقد خلقته الطبيعة عقياً، ويجب ان يبقى كذلك) (٧٦).

ثالثا : الحلف في الشراء والبيع

ومن الظواهر السيئة التي نهى عنها النهج الاقتصادي الإسلامي ظاهرة الحلف في الشراء والبيع.

فقد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: (إياكم والحلف فإنه ينفق السلعة ويمحق البركة)^(٧٧)، وفي قول آخر له: (يا معشر السامسة اقلوا الأيمان فأنها منفقة للسلعة محقة للبركة)^(٧٨).

نستشف مما تقدم ان وصايا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) في التشديد على الإنسان المسلم للالتزام بضوابط وتعاليم النهج الاقتصادي الإسلامي، انها تعود بالمنفعة على جميع المسلمين وفي جميع المجالات الدينية منها والأخلاقية والاجتماعية إضافة إلى جانبها الاقتصادي الكبير الواضح للعيان، فلو دققنا في معنى الأحاديث وتطبيقها من الناحية العملية لوجدنا دقة حسابات الفكر الاقتصادي الإسلامي. فالغش والتدليس والاحتكار والربا كلها عوامل تؤدي إلى شحة السلع عن السوق، وتقليل فرص العمل في المجتمع إضافة إلى العوامل السلبية الأخرى المضرة بالناس وهذا يعني ان الالتزام بتعاليم الإسلام والابتعاد عن الطرق غير المشروعة في تعاملات الأسواق اليومية انها تعود بالفائدة الاقتصادية الكبيرة للمجتمع.

الهوامش

١. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٥٢
٢. شمس الدين، ثورة الحسين (عليه السلام) ص ٣٧
٣. المصدر نفسه، ص ١٣٨
٤. للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص ٢٤، ج٧، ص ٣٩٦. ترجمة عبدالله بن سعد بن ابي سرح ؛ خليفة ابن خياط العصفري، تاريخ خليفة بن الخياط، ص ١١٥
٥. الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص ٤٥٠ ؛ ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص ١٣٩
٦. الدوري، مقدمة تاريخ صدر الاسلام، ص ٣٨ ؛ دلو، جزيرة العرب، ص ١٣٥
٧. الهمذاني، صفة جزيرة العرب، ص ٢١٩
٨. ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٢١
٩. المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٣٥٢ ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢١٤
١٠. فروع الكافي، ج٥، ص ١٥٦ وما بعدها
١١. المصدر نفسه، ص ١٤٩
١٢. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص ١٩٢
١٣. الصدوق، الخصال، ص ٤٤٦
١٤. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص ١٩١
١٥. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص ١٩٢
١٦. المصدر نفسه والصفحة
١٧. الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٣٨
١٨. الجاحظ، البخلاء، ص ١٥، ٣١، ٥٦

١٩. ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٠٠
٢٠. الكليني، فروع الكافي، ج ٥، ص ١٥١
٢١. المصدر نفسه، ص ١٥٣
٢٢. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ٧٦؛ ياسين، تطور الاوضاع الاقتصادية، ص ٥٦
٢٣. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٣٠؛ التوحيد، الامناع والمؤانسة، ج ١، ص ٦٤
٢٤. الافغاني، اسواق العرب، ص ٢١٧-٢٢٤
٢٥. المصدر نفسه والصفحة
٢٦. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٣٠
٢٧. الكافي، ج ٥، ص ١٥٦
٢٨. المصدر نفسه والصفحة
٢٩. الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ١٣، ص ٢٩٥
٣٠. الكليني، الكافي، ج ٥، ص ١٥٤؛ من لا يحضره الفقيه؛ ج ٣، ص ١٩٣
٣١. حسن القبانجي، مسند الامام علي (عليه السلام)، ج ٦، ص ١٦
٣٢. الكليني، الكافي، ج ٥، ص ١٥١
٣٣. الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ١٣، ص ٢٣٥
٣٤. فتح الله، معجم الفاظ الفقه الجعفري، ص ٣١
٣٥. الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ص ٤٠٤
٣٦. الزمخشري، اساس البلاغة، ص ١٣٦
٣٧. الزمخشري، الفائق، ج ٣، ص ٤٤
٣٨. ابو حبيب، القاموس الفهري

٣٩. مجموعة مؤلفين، موسوعة جمال عبد الناصر، ج ٣، ص ١٩٦
٤٠. الكافي، ج ٥، ص ١٦٥
٤١. المصدر نفسه والصفحة
٤٢. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٢٦٧
٤٣. الكليني، فروع الكافي، ج ٥، ص ١٦٤
٤٤. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٢٦٥
٤٥. نهج البلاغة، الشيخ محمد عبده، ج ٣، ص ٩٩
٤٦. الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ١٣، ص ٢٧٦
٤٧. القاضي النعمان، دعائم الاسلام، ج ٢، ص ٣٥
٤٨. المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٤، ص ١٨٢
٤٩. القاضي النعمان، دعائم الاسلام، ج ٢، ص ٣٦
٥٠. الرازي، مختار الصحاح، ص ١٧٨
٥١. القرطبي، الجامع الاحكام القرآن، ج ٣، ص ٢٣٥
٥٢. الفراهيدي، العين، ج ٢، ص ٩٤
٥٣. فتح الله، معجم الفاظ الفقه الجعفري، ص ٢٠٣
٥٤. الجرجاني، التعريفات، ص ١٤٦
٥٥. ابو حبيب، القاموس الفقهي، ص ١٤٣
٥٦. البقرة، الاية ٢٧٦
٥٧. البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ١، ص ١٦٢
٥٨. الكافي، ج ٥، ص ١٥١
٥٩. الطوسي، النهاية، ص ٣٧١
٦٠. الكافي، ج ٥، ص ١٥٠

٦١. الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ١١٧
٦٢. ابن ماجة، سنة ابن ماجة، ج ٢، ص ٧٦٤
٦٣. الكليني، فروع الكافي، ج ٥، ص ١٥٣
٦٤. رودنسون، الاسلام والرأسمالية، ص ٤٣
٦٥. الكبيسي، الحاجات الاقتصادية، ص ١٩١
٦٦. دلو، جزيرة العرب، ص ١٨٠
٦٧. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٤٣٠
٦٨. الكبيسي، الحاجات الاقتصادية
٦٩. الكافي، ج ٥، ص ١٥٣
٧٠. الكليني، فروع الكافي، ج ٥، ص ١٥٤
٧١. المصدر نفسه والصفحة
٧٢. البقرة الايات ٢٧٨-٢٨٠
٧٣. الطبري، جامع البيان، ج ٣، ص ١٤٨؛ الطوسي، التبيان، ج ٢، ص ٣٦٦
٧٤. الاسلام والرأسمالية، ص ٥٠
٧٥. البخلاء، ص ٥٠
٧٦. خروفة، نظرات في الاسلام، ص ١٨٠
٧٧. الكافي، ج ٥، ص ١٥٤
٧٨. المصدر نفسه والصفحة

قائمة المصادر والمراجع

اولاً : القرآن الكريم

ثانياً : المصادر الاولية :

- ابن الاثير، ابو الحسن عز الدين بن ابي الكرم بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)

١- الكامل في التاريخ، (دار صادر، بيروت، د.ت)

- الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٩م)

٢- البخلاء، تحقيق : عباس عبد الستار، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضري (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٤م)

٣- المقدمة، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).

ابن خياط، ابو عمر خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م)

٤- طبقات خليفة، تحقيق : سهيل زكار، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)

- الزمخشري، جار الله محمد بن عمر (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٤م)

٥- الفائق في غريب الحديث، ط ١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)

- الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت ٧٢١ هـ / ١٣٢٠ م)
- ٦- مختار الصحاح، تحقيق : احمد شمس الدين، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م).
- سبط ابن الجوزي، ابو المظفر شمس الدين بن فرغلي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م)
- ٧- تذكرة الخواص، (مطبعة مصر، قم، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م)
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري، (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م)
- ٨- الطبقات الكبرى، (دار صادر، بيروت، د.ت)
- الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ / ٩٩١ م)
- ٩- من لا يحضره الفقيه، تحقيق : علي اكبر غفاري، ط١، (مؤسسة النشر الاسلامي
لجماعة المدرسين، قم، د.ت)
- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)
- ١٠- تاريخ الامم والملوك، ط٤، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣ هـ /
١٩٨٣ م)
- ١١- جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق : خليل الميس، (دار الفكر للطباعة والنشر
والتوزيع، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م).
- الفيروز آبادي، محب الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٥ م)
- ١٢- القاموس المحيط، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط٢، (دار احياء التراث
العربي، بيروت، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م).

- القاضي النعمان، ابو حنيفة بن محمد بن منصور التميمي المغربي (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م)

١٣- دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام عند اهل بيت الرسول عليه افضل السلام، تحقيق : آصف بن علي اصغر فيضي، ط ١، (دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م).

- القرطبي، ابو عبدالله محمد بن احمد الانصاري (ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م)

١٤- الجامع لاحكام القرآن، ط ٢، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).

- الكليني، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م)

١٥- الكافي، تحقيق : علي اكبر الغفاري، ط ٣، (مطبعة حيدري، طهران، ١٣٨٨ هـ / ١٩٧٨ م).

- المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام (ت ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م)

١٦- كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، تحقيق : الشيخ بكري حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م)

- المسعودي، ابو الحسن بن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م)

١٧- مروج الذهب ومعادن الجواهر، ط ١، (شركة ابناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م)

- الميرزا نوري، حسين الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٣ م)

١٨- مسترك الوسائل ومستنبط المسائل، ط ١، (مؤسسة ال البيت عليهم السلام)

لأحياء التراث، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م).

- الهمذاني، الحسن بن احمد بن يعقوب (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)

١٩- صفة جزيرة العرب، تحقيق : محمد بن علي الاكوع، (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

- ابن هشام عبد الملك الحميري (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م)

٢٠- السيرة النبوية، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد، ط ١، (مطبعة المدني القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م).

٢١- تاريخ يعقوبي، (دار صادر، بيروت، د.ت).

- يعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب (ت ٢٩٢هـ / ٩١٨م)

ثالثا: المراجع الحديثة

١- الافغاني، سعيد

٢- اسواق العرب في الجاهلية والاسلام، (دار الافاق العربية، بيروت، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م).

٣- امين، احمد

٤- فجر الاسلام، ط ١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م).

٥- دلو، برهان الدين

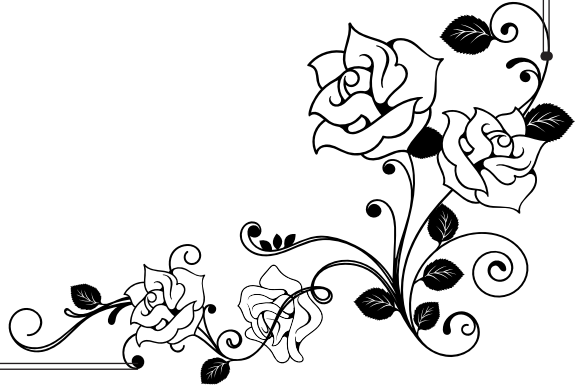
٦- جزيرة العرب قبل الاسلام التاريخ الاقتصادي - الاجتماعي - السياسي، ط ٢، (دار الفارابي، بيروت، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م).

- ٧- الدوري، عبد العزيز
- ٨- مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، ط ١، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م)
- ٩- تاريخ الطرق الاقتصادية في القرن الرابع الهجري، ط ٤، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م).
- ١٠- رودنسون، مكسيم
- ١١- الاسلام والرأسمالية، تقريب : نزيه الحكيم، ط ٤، (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م).
- ١٢- شمس الدين، الشيخ محمد مهدي
- ١٣- ثورة الحسين (عليه السلام) ظروفها الاجتماعية واثارها النفسية، تحقيق: سامي الغريبي الغراوي، (مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، قم، د.ت)
- ١٤- القبانجي، حسن
- ١٥- مسند الامام علي (عليه السلام)، ط ١، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م).
- ١٦- الكبسي، حمدان عبد المجيد
- ١٧- الحاجات الاقتصادية في المذهب الاقتصادي والايلامي، ط ١، (مطبعة العاني، بغداد، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م).

التنمية الاقتصادية

في فكر امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)
دراسة في ضوء عهده لعامله على مصر مالك الاشرى رضوان الله عليه

أ. د. زمان عبيد وناس



((وان افضل قررة عين الولاية استقامة العدل في البلاد))

أمير المؤمنين علي عليه السلام

على الرغم من ان لفظ التنمية ومصطلحاتها مفهوم معاصر، إلا ان السير على خطاها عمليا لم يكن غائبا في عصر النبوة، لان النبي وعلي بن ابي طالب عليهم افضل الصلاة والسلام كانوا ينهجون بمقتضى امر الحكم المطلق، الله عز وجل، فالنظرية الاقتصادية الاسلامية متكاملة بكل جوانبها، ومنها التنموية، وان لم تسمها بألفاظها، فلم تشأ هذه القاعدة الاقتصادية أو النظرية ان تجعل الانسان يعيش عبثا، من غير قوانين تحكم ديمومة استمرار نوعه، التي من اهم شرائطها: حفظ امنه، وتامين معاشه، وتطور نوعه، وكمال عقله وصحته، وكيف ان يتركه العقل المطلق - خالقه سبحانه - ويعمل فيها العقل الناقص - البشر - لذا فان هذا لا يعني ان الفكر الاقتصادي الاسلامي لا يعي مدلولاته التي كانت تعني اتخاذ مجموعة تدابير أو سياسات اقتصادية تؤدي الى زيادة معدلات النمو لاقتصاد المجتمع الاسلامي بالاعتماد على قواه الذاتية - قوة العمل واستغلال الموارد الاولية الامثل - لديمومة استمرار التنمية والنمو وتوازنه تحقيقا لحاجات المجتمع المادية، وصولا الى اكبر قدر ممكن من العدالة الاجتماعية، وإن الالفاظ الدالة على هذا المفهوم، كانت تطلق بمصطلحات مغايرة بلفظها لكنها مشابهة لفلسفة المعنى والتطبيق، مثل الاعمار، والغراس، والنماء، والمنافع، والاحياء.^(١)

ثم ان ذلك النظام قد جعل الانسان محور تلك العملية، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) وان اختلفت التفسير والآراء في مقصد القران الكريم من لفظ خليفة، هل هو المعنى العام المطلق ام الخاص الذي يراد

به معشر الانبياء والاولياء، فكل ذلك مرجعه ان الانسان هو محور الاستخلاف، قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٣)، وهؤلاء من تقع على عاتقهم مسؤولية السعي لوضع السياسات والادوات للظواهر الاقتصادية المختلفة للنهوض بواقع الامة أو المجتمع، سيما واننا نتحدث عن وصية لولي من اولياء الله سبحانه، كتبها لاحد عماله يضع فيها قواعد تنموية غاية في الدقة والاهمية الاقتصادية التي كانت ملحة آنذاك، بل يجوز لنا القول - بعد البحث فيها - يمكن ان تكون دستور اساسي للعاملين في وضع رؤى تطور الانظمة الاقتصادية الموصلة الى رقي المجتمعات ورفاهها المعيشي، لان ما فيها من افكار تنموية يحاكي وبصورة اعمق احدث النظريات الموضوعة اليوم عن الية النهوض الاقتصادي وديمومة نموه.

- علي بن ابي طالب عليه السلام منهجا للنبوة :

ان سياسة التنمية بعيدة الغور، قد يتصورها البعض هي مجرد الحث على العمل واثقانه لحدوث التغيير، لكن في واقع حالها هي اعمق من ذلك، ومدلولاتها العملية في الفكر الاقتصادي الاسلامي موجودة، وان دولة الاسلام طبقتها بأروع ما يمكن ان تحققه من حركة نهضوية اقتصادية زمن النبي صلى الله عليه واله، حتى يجدونا الامر للقول : انها مفخرة انسانية، فهي انموذج يمكن تطبيق فلسفتها في كل زمان ومكان لبناء اقتصاد مزدهر، مع علمنا بالفارق الزمني الذي نحن نتحدث فيه، لكن اذا ما اتخذنا دليل او دليلين على قولنا نجده نافع لبيان الحجة وايصال الفكرة، والبرهنة على ان خطط النبي صلى الله عليه واله التنموية هي مدرسة متكاملة يمكن العمل وفق منهاجها في وقت نشاء.

ومن هذه الشواهد التي اخترناها كيفما اتفق - لان الشواهد في عهد النبي صلى الله عليه واله كثيرة جدا - وثيقة المدينة^(٤)، فلم تأتي تأويلا في حدثها أو نحملها ما لا تطيق، وللناقد الخبير ان يجد صحة ما ندعيه فيها، فالوثيقة هذه لم تكن فقط في وضع الية الحكم الناس في المدينة او سياستها ورسم صلة الناس ببعضهم البعض وقيام التكافل بينهم حسب، بل هي اعمق في دلائلها من ذلك، فمنظور الحكم لمن آمن بالله وحده لا شريك له بيد النبي صلى الله عليه واله، وهو المعنى الاول بسياسة الدنيا وتنظيم امور الدين، وهو المرجع الوحيد لهم في بيان امر الله جل علاه، وهذا لا يحتاج الى توثيق، وإن قلنا: ان هناك من لا يؤمن بالنبوة في المدينة، مثل اليهود او حتى المنافقين، لكن هذا امر محسوم لا جدال فيه، إذن السؤال « ما المغزى من وراء ذلك ؟ والجواب هو ان الدافع من بناء نظام عام يحكم المدينة عاصمة الدولة المرتقبة يهدف بأصله الى اقامة تنمية حقيقة شاملة، اذ من دونها لا يمكن ان تكون دولة، فلا امة من غير مجتمع متماسك ولا دولة من غير ارض مصانة معروفة حدودها، وكل هذا يبني بعنصر المواطنة وبناء النفس على الولاء للوطن والامة والدين، ومن ذا تكون بواكير التنمية ومنها الاقتصادية، فأقام النبي صلى الله عليه واله مجتمع متماسك موحد، فبدل ان يقيم افراد الامة ولاءاتهم للعشيرة والقبيلة اقامها للمجتمع، ثم عرفهم ان المجتمع لا يمكن ان يقوم الا اذا كانت له ارض يعمرها، وبهذا بنى صلى الله عليه واله عنصر المواطنة، والصق الفرد بالوطن، ليقوم بعد ذلك الركن الثالث (الدولة) التي حكمها بحكم الله عز وجل وفق ايدولوجية شرحها القرآن الكريم واضحة، فصارت هذه الدولة وذاك المجتمع محكوم بقانون يسير فيه لتنظيم شؤون حياته وتطورها ورفاهية العيش في حياة آمنة، وهذه من اهم انماط التنمية واعظمها، لان التنمية الاقتصادية تبدأ أولا بالفرد والمجتمع - العامل البشري - وهذا برأي علماء الاقتصاد المعاصرين^(٥).

ثم وضع سياسة اقتصادية وفق ايدولوجية مدروسة تمثل روح الدولة والمجتمع الاسلامي، وبعد لجأ الى النهوض المعرفي والامني والمستوى المعاشي للامة، وبنى فرضية المساواة والعدالة بين افراد الامة، وكان هذا مغزى الوثيقة المدنية التي تضاف الى اهدافها المشهورة.

والمثال الثاني فتح خيبر^(٦): ففي الجزء الذي فتح عنوة منها، ترك الارض لليهود حتى يقوموا بواجب الارض وابقى المسلمين خارج حدود العمل المباشر بها، مقابل ان لهم خراجها على القسمة بينهم واليهود، وقد علل بعضهم ان سبب ابعاد المسلمين عن الضرب في الارض هو لدواعي الحاجة الماسة للمقاتلة من جهة وان المسلمين ليسوا اهل دراية بمزاولة الزراعة من جهة اخرى، لكن الامر لا يتعلق بهذا الراي ابدا، فمن باب الجهاد فكل مؤمن مكلف بواجبه عند الحاجة وان كان يزاول مهن او حرف تطلبتها ضروريات الحياة، فالتخلف عن الجهاد بفتوى النبي صلى الله عليه واله ادخله بإشكال شرعي، لذا العمل لم يكن عائق ابدا امام جهاد المسلمين، والادلة هي كثيرة، فضلا عن دعوته صلى الله عليه واله للمسلمين بضرورة مزاولة الاعمال بمختلف اشكالها تحقيا للتكامل الاقتصادي في المدينة، ثم لم يكن اهل المدينة اهل زرع وحرث حتى انه صلى الله عليه واله جعل الوزن وزن مكة والكيل كيل المدينة لانهم اهل زرع وهم اخبر الناس به.^(٧)

لكن مرد ذلك انه صلى الله عليه واله كان يصبوا الى تمتين اقتصاده وتطويره بما يحقق التنمية الفعلية وتحسين مستوى العيش لكل سكان دولته، بما في ذلك اليهود انفسهم - اهل خيبر - اي معالجة متوسط مستوى دخل الفرد في المجتمع في مفهومنا الحالي، وارتفاعه بنسب المذكورة تصاعديا عما كان سائدا قبل الفتح، فدخول خيبر ضمن معادلة ارض الدولة حقق امرين؟ الاول: هو دخول اصل نماء جديد، اي مورد اولي

يساعد على قيام نشاط اقتصادي مستمر يحقق لقيم انتاجية نافعة للامة والمجتمع، تزيد من طاقتها الانتاجية، التي تنعكس بدورها على تحسين مستوى الدخل في المدينة أو على اقل تقدير توفير مستلزمات الحياة الرئيسة - الغذاء - وان هذه القيم المنفعية، هي التي تشكل الزيادة في الانتاج بالمقارنة مع نسبة السكان، اي مسلمي المدينة المنورة، ثانيا : دخول قوة بشرية عاملة الى حدود الدولة، بمعنى ولادة قوة عمل منتجة لصناعة للقيم الانتاجية والمنافع، وهم هؤلاء اليهود الذين شاركهم الدولة الاسلامية في ناتج قوة عملهم مناصفة لقاء بقائهم عاملين في ارض الدولة، والمناصفة في انتاج ارض خبير من قوة عمل اليهود هو الفائض المتحقق لسكان المدينة، الذي حقق فعليا تنمية اقتصادية اسهم بشكل كبير في تطوير اقتصاد دولة المدينة وتدفع فيما بعد بحركة السوق وتنشيط الصناعات المختلفة فيه.

وبما ان الارض صارت بعد الفتح من فيء المسلمين، إلا انه ابقاها بيد اهل الذمة ليستحصل على نافع ناتجهم، ثم لتكون سبب في معاشهم فلا يجوز تركهم بعد ان صاروا في ذمة الاسلام من غير مأوى يأويهم أو سبب يعيلهم، هذا الى جانب الرحمة في مفهوم النبوة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٨)، وان ترك جمع كثيف من البشر من غير اسباب الكسب وطلب الرزق سيثقل كاهل الدولة، فكيف لها ان تعيل جموع البطالة والعاطلين عن العمل وهم قوة عاملة نافعة، القوة البشرية الفاعلة الجديد المساقاة الى الدولة.

باختصار كان هذا البناء البشري والتغيير الحقيقي في الانظمة الاقتصادية التي اتبعها النبي صلى الله عليه واله على قاعدة للأيدولوجية الاسلامية التي فرضها الله سبحانه في محكم كتابه الكريم - مع تحقيق عدالة اجتماعية - هي التي حسنت جودة الانتاج وزادة قيمه المنفعية، ورفعت مستويات دخل الافراد بشكل ملحوظ عصر النبوة، ابتداءً من

توفير مستلزمات الحياة الملحة - الغذاء - وصولاً الى السير نحو بناء اقتصاد متكامل بانته فيه بواكير النهوض والانتعاش نهاية مدة حياته الشريفة، التي رافقتها تنمية صحية ومعرفية ملموسة بين افراد الامة، فكانت دوافع الاستدامة في التنمية موجودة، ولو قدر للأمر ان تسيرو وفق نصابها لكان وضع دولة الاسلام على نهجه السليم قد مضى حتى يومنا.

ومن هذا المنهل شرب علي بن ابي طالب عليه السلام، واعيا مدركا لكل جزئياته، فعمل على نهجه ولم يغير قيد انملة، ومصداق قولنا كم النصوص الواردة عنه قولاً او فعلاً بين طي الكتب، ولولا اننا معنيون فقط بوصيته لعامله على مصر مالك الاشتهر رضي الله عنه لقيدنا منها ما يظهر انماط او امرة و افعاله في السير بالبلاد نحو التنمية الاقتصادية، في كل بقعة من الارض دانت لسلطان حكمه ونفاذ رأيه وأمره، لكن قبل ان نمضي قدماً في فرضية بحثنا التي هي التنمية الاقتصادية في فكر علي بن ابي طالب عليه السلام دراسة في نصوص وصيته وعهده التي هي بمثابة دستور حكم اعطاها لعامله مالك وأمره الاخذ بها، نجد من الواجب والمفيد ان نتعرض لمفهوم التنمية الاقتصادية وفلسفتها إجمالاً، ليتمكن القارئ او الباحث من فهم ما نكتبه وان امير المؤمنين عليه السلام قد وصل في فلسفته لإدارة الدولة الى هذا المضمون الاقتصادي وحث عليه وأمر، كما اننا جعلناها معيارية وضابطة تحكم بحثنا، والشواهد التي تأتي بها من نص العهد لمالك الاشتهر، لثبات فكرة التنمية الاقتصادية عند أمير المؤمنين قولاً وفعلاً من عهده ذلك، علماً ان عصر أمير المؤمنين علي عليه السلام كان ازهى عصور الاسلام اقتصادياً بعد النبي صلى الله عليه واله، ولو لا اننا في بحث مقتضب ومعني بالتنمية الاقتصادية في العهد فحسب لبينا بالأدلة المحاكية لواقعية ما جرى فعله اصلاً على الارض أبان مدة حكمه للامة الاسلامية التي دامت اربعة سنوات، وعلى هذا فان منهاجه كان منهاجاً مطابقاً لمنهاج النبوة.

- مفهوم التنمية الاقتصادية وضوابطها :

ان الدافع وراء عرض مفهوم التنمية الاقتصادية بأسلوب مبسط مقتضب هو لوضع معيارية وضابطة في شرح فرضية بحثنا، وقد سبق التنويه عن ذلك، فربما قال قائل : ان النصوص الواردة لأمر المؤمنين علي عليه السلام في متن هذا البحث قد اقحمت في غير محلها، وانها في بعدها الفلسفي لا تمثل هذا المفهوم - التنمية الاقتصادية - بل حتى في معناها اذا لم يكن باللفظ، فلا اثر لهذه الفكرة آنذاك، لذا نبين ان المعنى المؤدى هو نفسه لان الرؤية الاقتصادية كانت حاضرة في استدامة رخاء الاقتصاد ونماء انتاجه - خراجه - لتحقيق رفاهية الامة والناس، والاخذ بيدها، ووضع التدابير نحو التسارع في ازدياد قيم الانتاج لسد الحاجات واقامة الحياة الكريمة حتى للطبقة السفلى على حد وصفه عليه السلام التي كان يريد بها اقتصاديا المعوزين والفقراء، فامر عامله ان يراعي فيهم حقهم من الحاصل المتحقق من منافع الانتاج.

وقبل وضع المعايير والضوابط لابد من ايجاد تعريف مناسب نختصر فيه نقل آراء المختصين من فقهاء الاقتصاد في عصرنا الحديث وتعريفاتهم أو تعليقاتهم لهذا المفهوم موضوع البحث، والخوض فيها طويلا، الا انه يمكننا اجمال فكرتها بانها مجموعة اجراءات وتدابير اقتصادية هادفة الى تحقيق تغيير هيكلي في المنظومة الاقتصادية لبناء آلية اقتصادية تتضمن تحسين مستويات المعيشة بمقتضيات الزيادة الحقيقية في الناتج الاقتصادي للامة، والمؤدية الى رفاهية الفرد والمجتمع في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والصحية، على ان يكون التوزيع العادل لمنافع الانتاج والعمل هو الحاكم الاساس المعمول به في الدولة^(٩)، علما ان التغيير الهيكلي في الاسلام قد تحقق بالتحول من المضاربة على قاعدة الربا أو راس المال الحاكم الى قاعدة المساواة في حق العيش والعمل، واصل أيديولوجيته قد بينها القران الكريم تفصيلاً، اما عصر خلافة

امير المؤمنين فصار الحال العود به الى هذا النهج بدل العمل بالرأي قبالة هذا أو الايثار على حساب الأمة، أو لنقل : الاستمرار بإدامة هيكلية ذلك الاقتصاد، مع مراعاة عامل الزمان والمكان وطبيعة السوق السائدة وحاجات الناس الملحة، فلكل زمان شروطه اللازمة.

اي ان المفهوم المقصود - سواء في حال لفظه الحالي أو هيكلية الانظمة الاقتصادية الاسلامية وعملها في حينها - يسعى الى تحسين جودة الحياة التي تجري دفتها برفع مستوى الانتاج، ليفي بتلبية الحاجات الاساسية للأفراد، في الأمة او المجتمع وتوزيعه بشكل عادل.^(١٠)

اما ضوابط تحقيق التنمية فيمكن اجمالها بنقاط هي :

- ١- تخصيص القوانين والروابط التي تحكم العلاقات الاقتصادية المختلفة.
- ٢- السياسة الاقتصادية.

- ٣- العمل وفق فكر اقتصادي - أيديولوجية - وفي الاسلام الفكر الاسلامي.^(١١)
- وتنفيذ أو إيجاد هذه الضوابط ستقود بالضرورة الى تحقق العوامل الآتية :

أ- رفع مستوى المعيشة بشكل يضمن توفير فرص عمل أكبر، وتعليماً أفضل، واهتماماً أوسع بقيم المجتمع الثقافية والانسانية - البشرية - التي تؤدي في نهايتها الى توفير الرفاهية المادية للأفراد والأمة.

ب- زيادة في قيم الانتاج وتوسيع توزيع السلع الاساسية المساعدة والمقومة للحياة، مثل الغذاء والسكن والامن، على ان تكون هذه الزيادة بمستوى أعلى من مستوى النمو السكاني، فتباين الفرق بين نمو الاقتصاد ونمو السكان يولد الاستدامة في التنمية الاقتصادية.

ج - توسيع نطاق الخيارات الاقتصادية والاجتماعية، لخلق فضاءات عمل، أو تطوير قطاعات الاقتصاد المختلفة وفق الفكر الاقتصادي المتاح في الامة، الذي سيخلص افرادها من العبودية والمحسوبية ويجرهم من الجهل والمعاناة الانسانية.

د- التوزيع العادل لنتائج الامة واشباع الحاجات.

هـ - ترشيد الاستثمار، اي استثمار الارض والموارد الاولية المتاحة وطاقة افراد الامة ومنهجتها، وفق تحديد المعايير الخاصة بتقييم الاستثمار، وتحديد اولويات الانتاج وضمان توافره، وتحديد منفعة الفرد الى جانب منفعة الامة. (١٢)

و- احترام عنصر العمل بوصفه الاساس لتحقيق المكاسب، لأنه من اهم عناصر الانتاج.

وهذه هي جملة الضوابط والعوامل ان وجدت في اي اقتصاد كانت التنمية الاقتصادية، سواء اطلقنا عليها هذا المفهوم بلفظه الحالي المعاصر ام بلفظ آخر، فالحاكم هو إيجاد السبل السالفة الذكر والاحذ بها وتفعيلها في اقتصاد البلدان في اي زمان ومكان.

- التنمية الاقتصادية في ضوء العهد مالك الاشر :

مثل عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام لعامله الاشر منهاجا عاما لسياسة دولته الاقتصادية، اذ كانت ضوابطها قاعدة نافذة في جميع المدن والاقاليم التي خضعت لإدارته عليه السلام.

ومن اولى تلك الضوابط التي وجدت في نص العهد وهي تطابق في عملها تلك التي بينها في مبحث تعريف مفهوم التنمية، تخصيص القوانين والروابط التي تحكم العلاقات الاقتصادية في جميع مظاهر انشطتها، سواء بين الانسان والالة - أو اصل النماء - وفق أمر العمل الصالح بمقتضى الامر الشرعي لتحقيق المنفعة الاجتماعية، أو الانسان وأخيه

الانسان في حقل النشاط أو الحرفة ذاتها، وبعبارة اخرى ان يحكم الدين والشريعة الاسلامية العلاقة بين الانسان وعمله - العمل الصالح - لان العمل منعزلا عن روح الشريعة قد لا يصل به الى متوخى الاسلام من تحقيق المنافع المشتركة للامة من غير ان تترك اي ضرر سواء على الصعيد الاقتصادي او الانساني والاجتماعي.

إذاً وفق هذه القاعدة فان الرابط والقوانين التي اوصى بها امير المؤمنين عليه السلام، حد الله عز وجل في سياسة الاقتصاد وتحكيم قانونه في ممارسة الانشطة الاقتصادية، اذ امر عامله بضرورة مراعاة الله في اتباع ((فرائضه وسننه التي لا يسعد إلا باتباعها))^(١٣) فقال له : ((وليس يخرج الوالي من حقيقة ما الزمه الله من ذلك الا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق، والصبر عليه فيما خف عليه وثقل))^(١٤) والحق في هذا مجموع الاوامر الشرعية، ثم قال عليه السلام : ((واردد الى الله ورسوله ما يضرعك من الخطوب ويشتهب عليك من الامور... فالرد الى الله، الاخذ بمحكم كتابه، والرد الى الرسول والاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة))^(١٥)، فلزوم الطاعة لا تكون إلا بتحكيم قانون الله سبحانه، الجامع لكل معاملات المسلمين في العبادات واسباب الحياة الاخرى التي منها المعاملات الاقتصادية بوصفها من اهم الصلات الجامعة بين افراد الامة، المسببة لطلب الارزاق والمكاسب في الحياة الدنيا، إذ من غيرها لا يمكن للإنسان الاستمرار على البسيطة، وبهذا فالقوانين القرآنية هي الاساس الذي جرت عليه المظاهر الاقتصادية في الدولة الاسلامية تبعا لأيدولوجيتها.

اما سياسة الدولة في قيام مشروعها التنموي الاقتصادي في هذا العهد، فيتمثل بمجموعة الاجراءات والادوات والوسائل المعدة مسبقا لتسمح بتحقيق مجموعة من الاهداف المحددة للوصول الى استدامة تطور ناتج العمل بكيفية تناسب وتطور المجتمع او الامة بشريا - منها زيادة نسبة السكان - وحضاريا، على ان هذه السياسة بأدواتها لم

ترك الرأي المطلق للعاملين في أي مجال كان، سواء في التشريع او الاقتصاد، وإنما نابعة من روح الفكر الاسلامية، فالنظرية الاقتصادية الاسلامية موردها الله عز وجل وقد حدد حدودها في كتابه العزيز، لذا كان لازما لأولي الامر الاخذ في حدودها واتباع سياستها في وضع الادوات والوسائل المحقق للمنافع المستدامة وأخذ الاجراءات الموائمة لروح العصر الذي هو فيه بالنهج على فلسفتها، لان فيها رقي دولة الاسلام، ومن هذا كانت سياسة أمير المؤمنين عليه السلام في العمل، ووضع الاجراءات والوسائل المناسبة لرفع مستوى الانتاج والمكاسب للمجتمع، وقد تمثلت بالحفاظ على تنوع المكاسب واصناف الحرف والعمل الاقتصادي، وتسهيل مهمة كل منها في ممارسة نشاطها بحرية وفق معيارية السوق السائدة المتفقة مع الشريعة وصولا الى تحقيق اعلى مستويات الانتاج، وفرض مراقبة السوق ومنع الربا والاحتكار مع حرية العمل، وان للأفراد كافة حق في اسواقهم، وما الوالي في مكان عمله إلا مراعيأ أميناً على مصالح الناس، ملتزماً في تفعيل أدواته ووسائله في مراقبة أنشطة العمل والمضاربة في السوق، فقال عليه السلام لمالك : ((وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل واسعار لا تحجف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل وعاقب من غير اسراف))^(١٦) ثم اوجب عليه السلام الاهتمام باهل المكاسب لانهم عماد السوق واصل التنوع في النشاط الاقتصادي وديمومته ومنعته، فقال لمالك : ((ولا قوام لهم جميعاً [اي الامة] إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم [اي العمل] مما لا يبلغه رزق غيرهم))^(١٧) فالإشارة للتجار واصحاب المكاسب في هذا النص دالة على أهمية التنوع في المكاسب.

ثم بعد ذلك لابد من استدامة المرافق الانتاجية وعمارتها، واصل النهاء والكسب في البلاد قبل النظر الى ناتجها، فكثرة الاستنزاف لموارد البلاد من غير اصلاح يضعف من

طاقتها في قادم الايام، واولها الارض، فكثير من نتاجها يشكل موردا هاما للصناعة وسبب لنقل البضاعة والتجارة من بلد الى آخر، فقال عليه السلام : ((وليكن نظرك [اي مالك] في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لان ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة، أخرج البلاد واهلك العباد، ولم يستقم مره الا قليلا))^(١٨)، وفضلا عن وسائل العمارة كان لابد لوالي مصر من ادراك ترابط المصالح بين افراد الامة كل بحسب فئته الحرفية والاجتماعية، وكل واحدة قائمة على الاخرى في معاشها وكسب قوتها، وسياستهم لا تكون الا بمراعاة تنوعهم، والفرض لهم من خراجهم الذي فرضه لهم ممن تقع ارزاقهم عليه او المحتاجين من فاقة أو لسوء الم بتجارته او عمله، فقال عليه السلام : ((وأعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، منها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها الاصناف والرفق، ومنها اهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى وذوي الحاجة والمسكنة، وكل قد سمى الله سهمه ووضع على حده وفريضته في كتابه أو سنته، تنبيه عهدا منه عندنا محفوظاً))^(١٩)، ومن جملة هذه النصوص تُبين ما أمر به أمير المؤمنين علي عليه السلام مالك رضي الله عنه وما عليه ان ينهج من سياسة، يسوس فيها اقتصاد البلاد والعباد، وما يتخذ من ادوات واجراءات ووسائل لتحقيقها.

أما ضابطة القانون القاضي تطبيقه في السياسة الاقتصادية، فالذي ظهر في كل ما قدمناه ان الشريعة الاسلامية هي الايديولوجية الاسلامية المركزية للفقهاء الاقتصادي الواجب الحكم بها، إذ قال عليه السلام لمالك : ((فالرد الى الله، الاخذ بمحكم كتابه، والرد الى الرسول، الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة))^(٢٠) وهذا ما قد سبقناه سابقاً.

وبعد الضوابط، كان لابد للمالك الاشر رضي الله عنه من عوامل لازم الاخذ بها

للوصول الى بناء تنمية اقتصادية حقيقية، وفي ذلك العصر تعني نمو الانتاج المحلي وزيادة وارداته، التي تضيفي الى رفع المستوى المعيشي للأفراد وتكافؤ الفرص، وهذا من أول عوامل التنمية الاقتصادية، فقال أمير المؤمنين له : ((وتفقد امر الخراج بما يصلح أهله، فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لان الناس كلهم عيال على الخراج وأهله))^(٢١) وصلاح الناس من الخراج رفع لمستواهم المعاشي وتأمين الحاجات الاساسية من الغذاء، سيما الطبقة التي وصفها عليه السلام بانها السفلى - اي انها تقع في اسفل اناس اقتصادياً لعوزهم وفقرهم، والا في غيرها فكل الناس سواء عند الله سبحانه - فقال : ((الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، والمساكين والمحتاجين واهل البؤسى، والزمنى، فان في هذه الطبقة قانعا ومعترا، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسما من بيت مالك، وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد))^(٢٢) فالرفع عن كاهل هؤلاء تدفع بنشاط الاقتصادي للبلد نحو الاتزان، وان تجعل منهم قوة عاملة لها القدرة على الاسهام في اصناف العمل بعد ان تأمن على قوتها وتصح ابدانها لوفرة الطعام، سيما اذا ما أتاحت لهم فرصة العمل.

ويلي ذلك عامل العدل والمساواة بين الناس ورضا الرعية، وان ما اتينا به أنفا فيه اشارات العدل والمساواة، واستزادةً من ذلك أمره عليه السلام القاضي باتباع الحق والعدل بين الناس، فقال : ((وليكن أحب الامور اليك اوسطها في الحق واعمها في العدل واجمعها لرضى الرعية))^(٢٣) وقال عليه السلام ايضا : ((واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، والطف بهم))^(٢٤) وايضا ((انصف الله وانصف الناس من نفسك... ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عبادة))^(٢٥)، وان ابلغ معنى في مفهوم هذا العامل قوله عليه السلام وهو يوصي مالك رضي الله عنه : ((وإن افضل قررة عين الولاية استقامة العدل في البلاد))^(٢٦).

ومن مظاهر المساواة في العهد لمالك، قول أمير المؤمنين عليه السلام له وهو يوصيه بالناس : ((فانهم صنفان اما اخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق))^(٢٧)، ثم بيّن له ان تمام الاستقامة باستشارة العلماء واستصلاح الناس ((واستصلاح اهلها))^(٢٨)، اي احوالهم جميعها ومنها المعرفية، فقال في الاستشارة : ((واكثر مدارس العلماء ومنافثة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك))^(٢٩).

وكذا لا بد للوالي من زيادة منافع الناس، ففي ذلك جلبة لخير البلاد، لان زيادة التي نقصدها هي زيادة في مستويات الانتاج، سواء كان ذلك برفع قابلية الارض على الانتاج بعد عمارتها، او بتسهيل السوق لأهل الصناعات والتجار، فمن هذه المنافع الواردة لبيت المال - الخراج - يقتات جند الامة فهم ((حصون الرعية... وليس تقوم الرعية لا بهم))^(٣٠) فقال الامام علي عليه السلام : ((ولا قوام للجند الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم))^(٣١) - والامن كذا من عوامل التنمية الاقتصادية - وهو ايضا عائد للصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب ارباب الوظائف ((لما يحكمون من المعاهد ويجمعون من المنافع))^(٣٢) ناهيك عن الطبقة السفلى الذي قال عليه السلام فيهم : ((واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام))^(٣٣).

ولا غرو ان عامل الزيادة في قيم الانتاج للمظاهر الاقتصادية كافة في البلد لا يمكنها ان تنشأ إلا بمراعاة ديمومتها وعمارتها ((فان العمران محتمل ما حملته))^(٣٤)، وقبلها استصلاح الناس، ووضع استراتيجيات العمل بمقتضاها، فعهد عليه السلام لمالك قائلا : ((وجاهد عدوها، واستصلح اهلها، وعمارة بلادها))^(٣٥) وقال ايضا : ((وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة))^(٣٦) وهذا نص سبق ان سقناه، اما الناس واستصلاحهم وحوالهم فأمره عليه

السلام إن عانوا ضائقة فعليه العون والرفق، وقال : وان ((شكوا ثقلا أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو احالة ارض اغتمرها غرق، أو اجحف بها عطش، خفف عنهم بما ترجوا ان يصلح به امرهم، ولا يثقلك عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك... فان العمران محتمل ما حملته، وانما يؤتى خراب الارض من اعواز اهلها))^(٣٧) والنص بيّن، سيما في القول : ان العمران محتمل ما حملته، اي انك بقدر عمرانك تأتي منافعك الى بيت مالك.

كما شدد عليه السلام على حرية حركة السوق والمضاربة فيه على نمطية قوانين الاسلام التي سبق وان بينها، وذلك لزيادة ريع البلد وكثرة ودائع بيت ماله، وان يكون البيع ((سمحا بموازن عدل واسعار لا تجحف بالفريقين))^(٣٨) اي على اساس السعر العادل الموافق لعملية العرض والطلب الموافقة لطبيعة السوق السائدة في البلد، بما يحفظ حق التجار والصناع والناس اجمع، وان يامن السوق من عواقب الخطر والركود والانهيار، فقل موصياً : ((فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل وعاقب من غير اسراف))^(٣٩).

ومن العوامل الاخرى الهامة، توسيع نطاق الخيارات الاقتصادية، بمعنى تعدد أوجه ومظاهر النشاط الاقتصادي في الامة والبلد، والاتجاه به نحو الشمولية في الانتاج، بين زراعية وصناعية وتجارية، فإحداها تكمل الاخرى او تقومها، وما سقناه سابقا من نصوص يعوضنا عن الاطالة، اذ سبق وان قلنا ان امير المؤمنين قد استوصى مالك خيرا بالتجار والعمال من اهل الحرف والصناع ووصف بانهم ((موارد المنافع))^(٤٠)، والزراعة ايضا، فقال عليه السلام لمالك : ((وليكن نظرك في عمارة الارض...))^(٤١) الى اخر الكلام الذي شرح فيه سبل الارتقاء بواقع الزراعة والعاملين فيها لجلب المنافع.

وبعد فان من العوامل التوزيع العادل لنتاج الامة بين افرادها، واشباع الحاجات المختلفة، ونحن في خضم بحثنا أوردنا نصوص بينت وصية امير المؤمنين لمالك الاشر

يحثه فيها على اشراك افراد الامة - مصر - بمواردها، فقال على سبيل المثال : ((وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله... لان الناس كلهم عيال على الخراج وأهله))^(٤٢) وقال عليه السلام ايضا : ((ولا يثقلن عليك شيء خفت به المؤنة عنهم))^(٤٣) أو انه قال للملك واجعل لهم قسما من بيت مالك وصوافي الاسلام في كل بلد، وبهذا نصل من العهد للملك الى الانسجام بين مصلحة الفرد والامة، سيما في الجزء الذي جاء فيه ربط ارزاق الناس بعضها ببعض، فالجميع يعمل في منظومة اقتصادية تأتي نفعها للأفراد في الامة.

ومن النظرة العميقة للعهد الذي بين ايدينا نلاحظ فكرة ترشيد الاستثمار، اي السياسة الموضوعية لتطبيق كيفية استغلال الموارد المتاحة للدولة، وتحديد كميتها ونوعيتها واصنافها، وكانت معياريتها الحديث في العهد عن تأمين العيش الآمن للسكان وتوفير كمية الانتاج الملائمة لحاجاتهم، فضلا عن اتساع نطاق عمارة الارض واستثمارها، وفتح المجال للتجار والصناع في العمل السمع وحميتهم، وتحديد العائد المباشر منهم بوصف نشاطهم ومكاسبهم ((موارد المنافع))^(٤٤) وهذا اصلا من محددات الاتجاه بحسب الاهمية في النشاط الاقتصادي، علما ان العائد المباشر كان يرافقه العائد الاجتماعي - المنفعة الاجتماعية - اذ سبق وقلنا ان في الوصية أو العهد ما يشير الى دفع افراد الامة نحو تعدد انشطتهم الاقتصادية التي فيها منفعتهم - منفعة الفرد - الى جانب منفعة الامة، كما انها لا تهمل عنصر العمل بوصفه الاساس في ايجاد المكاسب، فقال عليه السلام : ((وامض لكل يوم عمله))^(٤٥)، وهذا في المطلق يدل على ان العمل هو الركيزة الاصل في نشوء الفوائد.

وختام بحثنا نكرر القول على الرغم من خلو العهد من لفظ تنمية إلا ان الضابط والمعيار الذي جعلناه شرطا لتقييم وجود فعل التنمية الاقتصادية من عدمه، قد دل يقينا انها تحاكي بالفعل مفهوم التنمية الاقتصادية وبأبعد صورها، اذ هدفت الى تحسين

مستوى الحياة للأفراد ورفع مستواهم المعاشي مع مراعاة مصلحة الفرد والامة على حد سواء، وبما ان العهد بقى آنذاك، بعد استشهاد مالك رضي الله عنه، بعيدا عن التطبيق في مصر، إلا أنه مثل سياسة امير المؤمنين اقتصاديا، والكوفة خير دليل على ذلك، ومن السهل لكل باحث ان يقيم له معيارية يقيس منها انماط الاقتصاد ومستوى التنمية اذا ما رجع الى المصادر التي تعنى بذلك.

ثبت الهوامش :

- ١- راجع بن سلام، ابي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، كتاب الاموال، تحقيق، محمد عمارة، دار الشروق (بيروت : ١٩٨٩م) ص ٣٧٦-٣٧٩؛ الترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)، السنن، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الاسلامي (بيروت: ١٩٩٨م) ج ٣، ٥٩؛ النسائي، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، تحقيق حسن عبد المنعم، مؤسسة الرسالة (بيروت: ٢٠٠١م) ج ٥، ص ٣٢٣.
- ٢- سورة البقرة، اية ٣٠.
- ٣- سورة النجم، اية ٣٩.
- ٤- ابن هشام، ابو محمد عبد الملك بن هشام (١٨٣هـ)، السيرة النبوية، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث (طنطا: ١٩٩٥م) ج ٢، ص ١٢٦-١٢٩.
- ٥- ومن هؤلاء العلماء مير وكنيد ليبرج، راجع احمد، كبداني سيدي، اثر النمو الاقتصادي على عدالة توزيع الدخل في الجزائر مقارنة بالدول العربية، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية العلوم الاقتصادية، جامعة ابي بكر بلقيد - تلمسان، الجزائر ٢٠١٣، ص ٢٠.
- ٦- ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ)، السيرة النبوية، قطاع الثقافة (القاهرة: د/ت) مجلد ٢، ج ٤، ص ١٤٦-١٥٦؛ مجلد ٢، ج ٥، ص ١٥٧-١٥٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٣١-٣٤٧.
- ٧- ابو داود، سليمان بن الاشعث بن اسحاق (ت ٢٧٥هـ)، السنن، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت: د/ت) ج ٣، ص ٢٤٦.

- ٨- سورة الانبياء، اية ١٠٧ .
- ٩- راجع الادهن، فرهاد محمد علي، التنمية الاقتصادية الشاملة من منظور اسلامي، مؤسسة دار التعاون للطباعة والنشر (القاهرة: ١٩٩٤م) ص ٦٤-٦٥، احمد، اثر النمو الاقتصادي على عدالة توزيع الدخل، ص ٢٠ .
- ١٠- راجع الادهن، التنمية الاقتصاد الشاملة من منظور اسلامي، ص ٦٤ .
- ١١- راجع م. ن، ص ٧٦-٧٨ .
- ١٢- راجع الادهن، التنمية الاقتصادية الشاملة، ص ٨٢-١٠٠ .
- ١٣- سوادي، فليح، عهد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام الى واليه على مصر مالك الاشر، نشر قسم الشؤون الفكرية بالعتبة العلوية (النجف: ٢٠١٠) ص ١٥ .
- ١٤- م. ن، ص ٢٠ .
- ١٥- م. ن، ص ٢١ .
- ١٦- م. ن، ص ٢٥ .
- ١٧- م. ن، ص ٢٠ .
- ١٨- م. ن، ص ٢٣ .
- ١٩- م. ن، ص ١٩ .
- ٢٠- م. ن، ص ٢١ .
- ٢١- م. ن، ص ٢٣ .
- ٢٢- م. ن، ص ٢٥ .
- ٢٣- م. ن، ص ١٧ .

- ٢٤- م. ن، ص ١٥ .
٢٥- م. ن، ص ١٦ .
٢٦- م. ن، ص ٢١ .
٢٧- م. ن، ص ١٥-١٦ .
٢٨- م. ن، ص ١٥ .
٢٩- م. ن، ص ١٩ .
٣٠- م. ن، ص ١٩ .
٣١- م. ن، ص ١٩ .
٣٢- م. ن، ص ١٩ .
٣٣- م. ن، ص ٢٥ .
٣٤- م. ن، ص ٢٤ .
٣٥- م. ن، ص ١٥ .
٣٦- م. ن، ص ٢٣ .
٣٧- م. ن، ص ٢٣-٢٤ .
٣٨- م. ن، ص ٢٥ .
٣٩- م. ن، ص ٢٥ .
٤٠- م. ن، ص ٢٥ .
٤١- م. ن، ص ٢٣ .
٤٢- م. ن، ص ٢٣ .

٤٣- م. ن، ص ٢٣.

٤٤- م. ن، ص ٢٥.

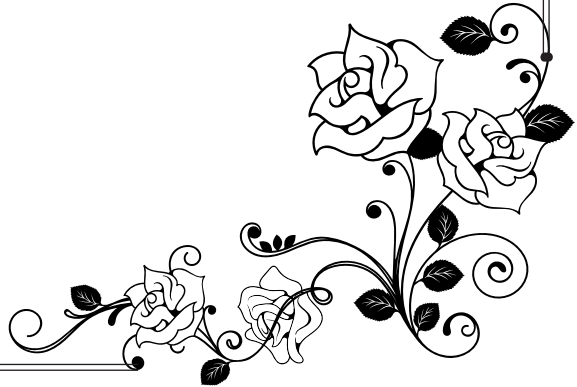
٤٥- م. ن، ص ٢٧.

الفكر الإداري عند الإمام علي (عليه السلام)

وصيته لمالك الاشر أنموذجا

اعداد

ا.م.د أنمار عبد الجبار جاسم ا.م.د ضرغام سامي عبد الأمير



ملخص البحث:

إن العهد العلوي يعد من أروع التشريعات التي سنت للعلاقة بين الحاكم والمحكومين، من هنا قررت الأمم المتحدة في بداية الألفية الجديدة توصية عالمية من قبل (كوفي عنان) للأنظمة في العالم بالأخذ به لما ورد فيه من قيم ومثل تؤسس للعدالة الإنسانية، والمساواة، والتوزيع العادل للثروة، والرفقة بالمجتمع، وتنظيم العلاقات الحكومية فالنظرية الإدارية التي شرعها، وقنها أمير المؤمنين، في الحكم. من حيث العدالة والمساواة والإخلاص بالعمل تعد من أروع وأعظم التشريعات والتعليقات والوصايا والعهود في التاريخ البشري، وقد أستقى منها الغرب والشرق دروس وعبر في الكيفية التي يتولى فيها الحاكم وشرعيته وتعامله مع شعبه والإنسانية. فالإمام علي بن ابي طالب النموذج الانساني في التقوى، والزهد، والعدل، والاستقامة، والفروسية، والشجاعة ورجل الانسانيه الذي تدفقت منه الحكمة، والفلسفة، والعلم، هذا الحكيم والفيلسوف الزاهد الذي تشرب بالعلم والحكمة من ابن عمه سيد الانبياء والمرسلين الرسول الاعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي قال: خير الناس من نفع الناس، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، لافرق بين اعجمي وعربي الا بالتقوى، الناس سواسية كأسنان المشط، لقد تربى سيد الفصاحة والبلاغة والفروسية في كنف وأحضان النبوة، ليرجم ذلك عمليا في أفعاله وأقواله، ويقدم لنا وللتأريخ البشري قناديل مضيئة ومشاعل يقتدى بها، لذلك اهتم البحث بالفكر الإداري للإمام علي واختار الباحثان وصيته (عليه السلام) الى عامله على مصر مالك بن الاشتر النخعي أنموذجا لهذا الفكر وتناولوها بمجموعة من المحاور وتوصلا الى مجموعة من التوصيات في نهاية البحث.

المقدمة :

كتاب نهج البلاغة واحد من الكتب المهمة في التراث العربي الإسلامي، وكان له من الشهرة بحيث ذاع صيته في الآفاق الإسلامية، واهتم به العلماء من حيث شرحه والتعليق عليه، وهذا الكتاب جمعه السيد الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي العلوي (ت ٤٠٦ هـ) من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأصبح للكتاب أهمية كبيرة في مجال العلم والمعرفة فكان مادة غنية في المجالس العلمية.

وقد احتوى على مادة مهمة ورد فيها ذكر لبعض الشخصيات المهمة منها مالك الأشتر رضي الله عنه، فقد عهد إليه أمير المؤمنين عليه السلام بولاية مصر، ويعد هذا العهد جزء من كتاب نهج البلاغة، فقد ورد فيه وصية الإمام عليه السلام لمالك الأشتر بالترفق وحسن المعاملة مع أهل مصر، فكان هذا العهد كان نظام يُبتدى به، وشرعية يُجرى عليها، وسنة يُأخذ بها، وفيه كنز ثمين لحسن السياسة وأدب الحكام. كما إن لهذا الصحابي دور مهم في حياة الإمام علي عليه السلام حتى إنه لما سمع بخبر موت الأشتر قال : « الله در مالك، وما مالك لو كان من جبل لكان فندا، ولو كان من حجر لكان صلدا، أما والله ليهدن موته عالماً وليفرحن عالماً على مثل مالك فلتبكي البواكي»، فالحاكم يمثل الجموع بلا إستئثار أو فردانية أو إستغلال بل يعمل لصالح الرعية وحفظ مصالحها وتحقيق العدالة. لا كما تقوله الميكافيلية من أجل مصلحتك فليسحق الآخرين، التي أرست قيم السياسة المشوهة التي تستييح الكرامات، والحرمات لمآرب ذاتية (الغاية تبرر الوسيلة) تخص الحاكم وكيفية قيادته وكأنها الناس قطع وليس ببشر. أو السياسة الغربية والشرقية بمبادئها التي تدعي كما شرعها فلاسفة البرالية بسياسة الخطوة خطوة، أو خطوتين الى الامام وخطوة الى الخلف، أو خذ وطالب، أو إكذب إكذب حتى يصدقك الناس،

أو بديماغوجية الاعلام المضلل والمصالح الاستعمارية والاستعبادية التي جلبت مئات الحروب في تأريخنا الانساني وملايين الضحايا والمعاقين والمشردين والجياع، وهذه صورة العالم البائسة أمام مرآى ومسمع الامم المتحدة والجمعية العامة والمنظمات الدولية، فأين العدالة في توزيع الثروات وحقوق الانسان، والفقراء بالارضلا أحد يسمع صرخاتهم وحشرات الالم المتكسرة بصدورهم، فيما يجسد العهد العلوي أرقى التقنيات والاطر الانسانية لحياة يسودها الرخاء وينعم بها الانسان بالسعادة، والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي دون حروب أو عنف أو تسلط، فالفكر الإداري عند الإمام علي عليه السلام يمتاز بمتانته وتماسكه واستناده إلى قواعد منطقية رصينة، فجاء هذا الفكر متميزاً بخصائص قد لا يظفر بها أيُّ مفكر إداري غربي. فهو فكرٌ إنساني لأنه ينظر إلى الادارة بنظرة إنسانية، فالذي يتحرّك في أفق الادارة هو الإنسان وليس الآلة، كما وأنّ نظرة الإمام إلى المؤسسة الإدارية، إنّها مجتمع مصغرّ تتضامن فيه جميع المقومات الاجتماعية، كما وأنّ نظرتة إلى الاداة أنها جهاز منظم وليس خليطاً من الفوضى، وأنّ لهذا الجهاز هدفاً سامياً فالتنظيم لم يوجد عبثاً، بل من أجل تحقيق أهداف كبيرة في الحياة.

وسيتناول البحث شخصية مالك الأشر ودوره في حياة الإمام علي عليه السلام، مع التركيز على عهد الإمام علي عليه السلام له من خلال نهج البلاغة، فضلاً عن الروايات التاريخية، متبعين المنهج العلمي التاريخي في تقصي الحقائق.

اسمه ونسبه وولادته :

هو مالك بن الحارث بن عبد يعوث بن مسلِّمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع بن مذحج بن يعرُب بن قحطان. ولد في اليمن في بني نخع، الذين انتقلوا إلى الكوفة بعد امتداد الإسلام، ثم توزَّع أفراد نخع على مدن العراق. لذلك تعد الكوفة موطنه. ولم تذكر لنا المصادر التاريخية تاريخاً محدداً لولادته، والثابت إنه ولد في عهد ما قبل الإسلام. ويرى الشيخ عبد الواحد المظفر: أن ولادته كانت قبل البعثة، معتمداً في هذا الاستنتاج على قول مالك الأشتر لعائشة لما عاتبته في شأن ابن أختها عبد الله بن الزبير لما صرعه يوم الجمل^(١):

فنجاه مني أكله وشبابه
وإني شيخ لم أكن متماسكاً

وعمر عبد الله بن الزبير كان حينذاك (٣٦) سنة لأنه ولد عام الهجرة، ومعركة الجمل كانت سنة (٣٦ هـ)، والشيخ الذي لم يتماسك لا بد أن يكون عمره أكبر على أقل تقدير بالضعف، فيقدر عمره آنذاك بسبعين سنة، لذلك يكون قد ولد قبل البعثة، لأن المدة من البعثة إلى معركة الجمل (٥٩) سنة. ويضيف المظفر: إنه ربما تجاوز هذا السن، لأن الإنسان عندما يبلغ السبعين سنة يكون شيخاً، لكنه لا يكون غير متماسك، فلا بد أن يكون حينها قد تجاوز السبعين^(٢).

إسلامه ومواقفه في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) :

أسلم على عهد الرسول وثبت على إسلامه ووصل في إيمانه درجة شهد بها الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ولكن هل كانت له صحبة ودور في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟

هناك رأي يعتقد أن مالك الأشتر عاصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكنه لم

يره ولم يسمع حديثه، وذكر عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنه المؤمن حقاً».

أما ابن حجر فذكر: أن مالك الأشتر سمع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجعل له صحبة، وكان ممن شهد بايع تحت الشجرة. ويبدو أن قول ابن حجر ومن أخذ برأيه هو الأقرب للحقيقة، لأن مواقفه تدل على تمسك وقوة وصلبة، كما أن مكانته بين الصحابة ودوره يثبت ذلك (٣).

لقبه :

لقَّب بـ (الأشتر) لأن إحدى عينيه سُتِرَت - أي سُقَّت - في معركة اليرموك. والتصق به هذا اللقب (الأشتر) حتى كاد لا يعرف إلا به، ولذا عندما صرخ ابن الزبير من تحت الأشتر: «اقتلوني ومالكا» لم يعلم أحد من الناس من يقصد ولو قال: اقتلوني والأشتر لقتلا جميعاً (٤).

ولقب بألقاب أخرى، غير الأشتر، منها كبش العراق، وهي استعارة، لأن قطع الضان يتبع الكبش، كذلك الجنود يتبعون الرئيس أو القائد. وقد تلقب مالك الأشتر بهذا اللقب بصفين. فعندما أقبل عمرو بن العاص في خيل من بعده، أقبل الناس على الأشتر، وقالوا يوم من أيامك الأول، قد بلغ لواء معاوية حيث ترى، فأخذ الأشتر لواءه وحارب القوم حتى أجبرهم على العودة على أعقابهم. ولما كان مالك حامل راية الإمام علي عليه السلام وقائد قواته لذا لقب بكبش العراق (٥).

وقال النجاشي في هذه الحادثة شعراً جاء فيه (٦):

دعونا لها الكبش كبش العراق وقد خالد العسكر العسكر

فضلاً عن ذلك فقد ورد هذا اللقب في أبيات أخرى قالها مقاتل من أهل الشام في سواد الليل، جاء فيها (٧) :

ثلاث رهط هموا أهلها وإن يسكنوا تحمد الوقده

سعيد بن قيس وكبش العراق وذاك المسود من كنده

وهناك لقب آخر هو الأفعى العراقية، وجاء ذلك في شعر قاله مالك في نفسه، في معركة صفين (٨) :

إني أنا الأشتر معروف شتر إني أنا الأفعى العراقي الذكر

لست من الحي ربيعة أو مضر لكنني من مذحج الغر الغرر

صفاته :

وقد كان مالك رضي الله عنه يجمع بين اللين والعنف فيسوطوا في موضع السطوة ويرفق في موضع الرفق.

كان طويل القامة، مهيب الطلعة، وقد كان فارساً مغواراً متمرساً على فنون القتال، واتصف بالشجاعة والشهامة، فلم يكن أحد يتجرأ على مبارزته وكان عالماً، شاعراً، وكان سيد قومه بلا منازع (٩).

استشهاده :

بعد حياة حافلة بالعز والجهاد، وتاريخ مشرق في نصرة الإسلام والنبوة والإمامة، كتب الله تعالى لهذا المؤمن الكبير خاتمة مشرفة، هي الشهادة. فكان لمعاوية طمع في مصر، لقربها من الشام ولكثرة خراجها، فبادر معاوية بإرسال الجيوش إليها، وعلى رأسها

عمرو بن العاص، ومعاوية بن حديج ليحتلها. فكان من الخليفة الشرعي الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن أرسل مالك الأشتر (رضوان الله عليه) والياً له على مصر. فاحتال معاوية في قتله (رضوان الله عليه) داساً إليه سماً، واختلفت الروايات فيمن نفذ أمر معاوية، فالبعض يرى أنه رجل من أهل الخراج يثق به، وهو الجايستار. وقيل: كان دهقان القلزم، وكان معاوية قد وعد هذا ألا يأخذ منه الخراج طيلة حياته إن نفذ مهمته الخبيثة تلك. فسقاه السم وهو في الطريق إلى مصر. وقيل إن من نفذ المؤامرة نافع مولى عثمان بن عفان. ففضى مالك الأشتر (رضوان الله عليه) شهيداً عام (٣٨ هـ). بينما ذكر البعض أنه استشهد سنة (٣٧ هـ). وهناك من ذكر أنه استشهد سنة (٣٩ هـ) (١٠).

موقف الإمام علي عليه السلام من خبر أستشهاد الأشتر:

ذكرت الرواية التاريخية، أن الإمام لما بلغه خبر استشهاد مالك الأشتر، حزن الإمام عليه حزناً شديداً. فجعل يتلهف ويتأسف على فقدان الأشتر ويقول: «لله دُرُّ مالك! وما مالك؟! لو كان جبلاً لكان فنداً، ولو كان حجراً لكان صلداً، أما والله ليهدن موتك عالماً، وليفرحن عالماً، على مثل مالك فلتبك البواكي». وقال عليه السلام بعد استشهاد مالك: «رحم الله مالك فلقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم». وكانت فرحة معاوية أشد، فقال عمرو بن العاص مُعرباً عن شماتته: إنَّ الله جنوداً من عسل وقال معاوية: إنَّه لكان لعلي بن أبي طالب يدان يمينان: قُطعت إحداهما بصفين - يعني عمار بن ياسر وقُطعت الأخرى اليوم - يعني مالك الأشتر. [بعد أن امتدَّ العمر به فنال ما كان يتمنَّاه أن يقضي مظلوماً على أيدي أعداء الله وقد حاربهم جهده، فاستجاب الله دعوته وأمنيته، إذ كان يقول: يا ربَّ جنبني سبيلَ الفجرة ولا تُحَيِّنني ثوابَ البررة واجعل وفاتي بأكف الكفرة (١١)].

ومن كتاب للإمام علي (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من عزله

بالاشتر عن مصر، ثم توفي الاشر في توجهه إلى هناك قبل وصوله إليها : « وَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ اسْتِطَاءً لَكَ فِي الْجَهْدِ، وَلَا ازْدِياداً لَكَ فِي الْجِدِّ، وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ، لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَوُونَةً، وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وَلايَةً. إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلِيَّتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحًا، وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيدًا نَاقِيًا، فَرَحِمَهُ اللهُ! فَلَقَدْ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، وَلَاقَى حِمَامَهُ، وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ، أَوْلَاهُ اللهُ رِضْوَانَهُ، وَضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ. فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ، وَامْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ، وَتَسْمُرْ لِحَرْبٍ مَن حَارَبَكَ، وَادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، وَاكْثِرِ الاسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِينِكَ عَلَى مَا يُنْزِلُ بِكَ، إِنْ شَاءَ اللهُ » (١٢).

أما عن قبره، فذكر أنه دفن في العريش، وقيل بالقلمز، وقيل نقل إلى المدينة فدفن بها، وقيل أنه ببعلبك، ويرجح الشيخ عبد الواحد المظفر أنه نقل إلى المدينة ودفن بها، لأن أصحابه يخافون أن يدفنوه في موضع يصل إليه معاوية، فيمثل به لشدة عداوته له (١٣).

مواقفه في عهد أبي بكر وعمر وعثمان :

يعدُّ مالك من بين المجاهدين الذين أبلوا بلاءً حسناً في حروب الردة. فضلاً عن أنه ذُكر في جملة المحاربين الشُّجعان الذين خاضوا معركة اليرموك، وهي المعركة التي دارت بين المسلمين والروم سنة (١٣هـ). وثمة إشارات تدل على أن مالكاً كان قبل اليرموك يشارك في فتوح الشام، ويدافع عن مبادئ الإسلام. وحينما كان المسلمون في الشام يقاتلون الروم، كان إخوانهم يقاتلون الفرس في جهة العراق، لذا احتاجوا إلى المدد لمجابهة كسرى، فكان المدد الذي توجه إلى الشام ألف فارس. فيهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وقيس بن هبيرة المرادي، ومالك الأشر، فالتحقوا بجيش اليرموك الذي خفَّ عبؤه بعد فتح دمشق، فتوجه إلى العراق ليحسم معركة القادسية هناك (١٤).

كما ذكر أن أبو عبيدة بن الجراح سَيَّر جيشاً مع ميسرة بن مسروق العبسي، فسلكوا درب (بغراس) من أعمال أنطاكية إلى بلاد الروم.. فلقي جمعاً للروم معهم عرباً من قبائل غسان وتَنُوخ وإياد يريدون اللّحاق بهرقل، فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثمّ لحق به مالك الأشتر النَّخَعِيّ؛ مدداً من قِبَل أبي عبيدة وهو بأنطاكية. فيما نقل ابن أَعَثَم في (الفتوح) أنّ الأشتر تزعم جيشاً قوامه ألف فارس ليفتح (أمد) و(ميفارقين)، فلمّا رأى مالك حصانة حصنِ أمد أمر جيشه بالتكبير وتعالّت أصواتهم بالتكبير، فظنّ العدو أنّهم عشرة آلاف، فأرسلوا إلى الأشتر في طلب الصلح، وكذلك فعل أهل ميفارقين حيث صالحوه وانتهى الأمر بنصر المسلمين. وشهد فتح مصر واختط بها، وكان من الفرسان. وكان فيمن سار من مصر إلى المدينة المنورة في عهد الخليفة الثالث،. فحين دَبَّ الخلاف والاختلاف بين المسلمين، بسبب المخالفة للتعاليم القرآن الكريم وسنة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لم يَسَع الأشتر السكوت، فجاهد في سبيل الله (١٥).

دوره في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) :

وفي خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وحكومته، كانت مواقف الأشتر واضحة جليّة المعالم، فهذا الرجل الشجاع أصبح جُندياً مخلصاً لأمر المؤمنين (عليه السلام)، فلم يفارق الإمام (عليه السلام) قطُّ، كما كان من قِبَل تَسَلُّم الإمام لخلافته. فلم يرد ولم يصدر إلا عن أمر الإمام علي (كرم الله وجهه) حتى جاء المدح الجليل على لسان أمير المؤمنين (عليه السلام)، فكان أن كتب (رضي الله عنه) في عهده له إلى أهل مصر، حين جعله والياً على هذا الإقليم (١٦):

« أما بعد، فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله، لا ينام أيام الخوف، ولا يَنكُل عن الأعداء ساعات الرّوع، أشدُّ على الفُجار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مَدَجِج، فاسمّعوا له وأطيعوا أمره فيما طابَق الحقُّ، فإنه سيفٌ من سيوف الله، لا كليل

الظُّبَّة، ولا نبي الصَّريبة. فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا؛ فإنه لا يُقدِّم ولا يُحجم ولا يُؤخَّر ولا يُقدِّم إلا عن أمري.»

وكتب عليه السلام له يوماً: وأنت من آمن أصحابي، وأوثقهم في نفسي، وأنصحهم وأرأهم عندي. كما أن الأمام علي (عليه السلام) ذكره بقول يبين رأيه فيه، وهي شهادة على ما كان يتصف به من صفات حيث جاء في كتاب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى أميرين من أمراء جيشه: «وَقَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِي حَيْزِكُمَا مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْطَرِ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، واجعللاه دِرْعاً وَمِحْنًا، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يَخَافُ وَهَنْهُ، وَلَا سَقَطْتُهُ، وَلَا بَطُوهُ عَمَّا الْإِسْرَاعِ إِلَيْهِ أَحْزَمٌ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ» (١٧).

وهذه الأقوال الشريفة أنها هي أمثلة جاءت من مواقف مالك الأشتر المهمة في عصر الأمام علي (عليه السلام)، ومن أبرازها:

أولاً: كان من أوائل الذين بايع الإمام علياً (عليه السلام) على خلافته الحقة، ويعرف عن مالك شدته في الحق وتعصبه للإمام علي ومن مظاهر هذه الشدة أنه كان يهدد المترددين والمتوقفين عن بيعة الإمام ويجبرهم على بيعته، لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) أمره بتركهم ورأيهم (١٨).

ثانياً: زوّد أمير المؤمنين (عليه السلام) بالمقاتلين والإمدادات من المحاربين في معركة الجمل، مستثمراً زعامته على قبيلة مذحج خاصة، والنخع عامة، فحشد منهم قوات مهمة. فضلاً عن إنه وقف على ميمنة الإمام (عليه السلام) في تلك المعركة.

ثالثاً: وفي مقدمات معركة صفين عمل مالك الأشتر على إنشاء جسر على نهر الفرات ليعبر عليه جيش الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فيقاتل جيش معاوية بن أبي سفيان. وكان له بلاء حسن يوم السابع من صفر عام (٣٧ هـ) حين أوقع الهزيمة في جيش معاوية.

ولما رفع أهل الشام المصاحف، يمدعون بذلك أهل العراق، ويستدركون انكسارهم وهلاكهم المحتوم، انخدع الكثير، يُدّ أن مالكا لم ينخدع ولم يتراجع حتى اضطرَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الرجوع. كما اضطرَّ إلى قبول صحيفة التحكيم - وكان لها رافضاً - خضوعاً إلى رضى إمامه (عليه السلام). كما كان من المعارضين لوقف القتال في صفين واختاره الإمام حكماً بينه وبين معاوية إلا أن الخوارج رفضوا هذا الاختيار لخوفهم من أن يتسبب الأشر في تفجر الصراع من جديد بعد أن توقف بسبب طلب التحكيم^(١٩).

مصر في عهد الإمام علي عليه السلام :

أثناء الصراع بين الإمام ومعاوية كانت أبصار الإمام تتجه نحو مصر التي بدأ يحرك فيها معاوية أنصاره بدعم من عمرو بن العاص الذي كان قد اتفق مع معاوية على أن يعطيه ولاية مصر مقابل الوقوف إلى جواره ضد الإمام علي (عليه السلام). وكان الإمام قد عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وأقام مكانه محمد بن أبي بكر^(٢٠). إلا أن الواضح من سير الأحداث أن محمد بن أبي بكر لم تكن لديه القدرة التي تعينه على مواجهة مشيري الفتن والمتآمرين لحساب معاوية. وهنا قرر الإمام أن يرسل مالك الأشر إلى مصر لحسم الصراع الدائر هناك وتسلم زمام القيادة من محمد بن أبي بكر. وقد أحدث هذا القرار هزة كبيرة لمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص اللذان كانا ينجشيان مالك الأشر أشد الخشية واضعين في حسابهم الآثار المترتبة على وصوله إلى مصر وتسلمه زمام القيادة في حكمها. لقد كان معاوية يدرك تماماً أن وصول مالك إلى مصر يعني ضياعها وخروجها عن دائرة نفوذه، ومن ثم سعى عمرو بن العاص إلى تحريضه للعمل على الحيلولة دون وصول مالك الأشر لمصر^(٢١).

ومن عهد للأمير المؤمنين (عليه السلام) كتبه للأشتر النَّخَعِي لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر رحمه الله، وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن^(٢٢). كما في النص الكامل للوصية.

وذكر ابن أبي الحديد أن معاوية بن أبي سفيان كان قد أخذ هذا العهد بعد قتل مالك الأشتر، وكان « ينظر فيه، ويعجب منه، ويفتي به، ويقضي بقضاياه وأحكامه. وهذا العهد صار إلى معاوية لما سم الأشتر ومات قبل وصوله مصر، فلما بلغ علياً عليه السلام أن ذلك الكتاب صار إلى معاوية اشتد عليه حزناً »^(٢٣).

خصائص الإدارة عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) :

يمتاز الفكر الإداري عند الإمام علي (عليه السلام) بمتانتة وتماسكه واستناده إلى قواعد منطقية رصينة، فجاء هذا الفكر متميزاً بخصائص قد لا يظفر بها أي مفكر إداري غربي. فهو فكرٌ إنساني لأنه ينظر إلى الإدارة بنظرة إنسانية، فالذي يتحرك في أفق الإدارة هو الإنسان وليس الآلة، كما وأن نظرة الإمام إلى المؤسسة الإدارية إنها مجتمع مصغر تتضامن فيه جميع القومات الاجتماعية، كما وأن نظرتة إلى الاداة أنها جهاز منظم وليس خليطاً من الفوضى، وأن لهذا الجهاز هدفاً سامياً فالتنظيم لم يوجد عبثاً، بل من أجل تحقيق أهداف كبيرة في الحياة. إستناداً إلى هذه الرؤية الشمولية عند أمير المؤمنين (عليه السلام) فإن الإدارة هي كيانٌ حيّ ينبض بالحياة فهي متصفة بالصفة الانسانية والصفة التنظيمية والصفة الجماعية والصفة الهدفية. فهي إذن كيانٌ إجتماعي حي يعيش في وسط المجتمع يسعى من أجل أهداف كبيرة في الحياة. وسنأتي على توضيح أهم تلك الصفات فيما يأتي: ^(٢٤)

أولاً: الصفة الإنسانية:

يمتاز فكر الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) بالتناسق والتعاقد لأن رؤيته للحياة رؤية شاملة لكل أبعادها وأركانها وأجزائها. فالاقتصاد متداخل مع السياسة وهما يعتمدان على الادارة، فإذا ما تتبعنا حلقات فكر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لوجدنا أنها تستمد من رؤيته الثابتة عن الإنسان، طبيعته، وأساليب رقيه، مشاكله وكيفية مواجهته لها، فكان لأبد من عرض رؤية الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الإنسان قبل أن نستعرض نظريته في الادارة. ذلك لأن الادارة في المنظور الإسلامي ليست أدوات صماء، بل هي تقوم على أكتاف البشر، والبشر فيهم عوامل قوة وعوامل ضعف. وبقدر تفعيل عوامل الخير وتحريك الطاقات الكامنة في البشر تتقدم المؤسسات والمشاريع وهي بأجمعها رهن الادارة الجيدة.

فالمدير الجيد هو الذي يعرف طبيعة الناس الذين يتعامل معهم، ويعلم ما الذي يُحركهم وماذا يثبُط عزائمهم يعرف متى يتقدمون ومتى يتأخرون وما من نظرية إدارية إلا وهي قائمة على رؤية أصحاب هذه النظرية إلى الإنسان، فالرأسمالية الاحتكارية التي تنظر إلى الانسان ككتلة من اللحم الصماء تتعامل معه بطريقة خاصة تقوم على هذه الرؤية، فهي لا تُعير أهمية للمحفزات المعنوية التي تدفع بالإنسان إلى الأمام عشرة أضعاف المحفزات المادية. إذن النظرية الإدارية المتكاملة هي التي تبدأ أولاً بالإنسان. ماهيته، وممّ يتكون، وكيف يتعامل مع الحياة وماهي مشاكله وكيف يتقدم وماهو السبيل إلى توجيهه الوجهة الصحيحة. (٢٥)

ثانياً: الصفة التنظيمية:

يبدأ الفكر الإداري في الإسلام بالتركيز على النظم والنظام، فأكبر مصداق للنظم هو تنظيم شؤون الدولة وأمور المجتمع، وقد جاء الإسلام بهذه الفكرة يوم كانت الفوضى هي الحالة السائدة في البلاد العربية، وتقدم المسلمون لأنهم كانوا أكثر تنظيماً من غيرهم، إنتصروا في الحرب لأنهم أوجدوا نظاماً للقتال. وانهالت عليهم الثروات لأنهم وضعوا نظاماً للاقتصاد يقوم على تحريك الموارد المجمدة التي كانت بيد الأغنياء واستطاعوا أن يوجدوا دولتهم لأنهم أقاموها على أساس من التنظيم ونشروا العلم لأنهم وضعوا نظاماً للتعليم. وهكذا سادت الإدارة المنضبطة سائر أرجاء البلاد الإسلامية بفضل الحث المتواصل على التنظيم والنظام. ويمكننا القول بكل ثقة: بفضل التنظيم استطاع المسلمون أن يكتسحوا العالم ويوصلوا الإسلام إلى آخر بقعة من بقاع الأرض. وعلى هذا النسق أعار أمير المؤمنين (عليه السلام) إهتماماً كبيراً لنظم الأمور وتنظيم الشؤون حتى أنه لم ينس أن يوصي أولاده وأصحابه وجميع المسلمين في آخر كلمة له قبل أن يرحل إلى الرفيق الأعلى بنظم أمرهم. (٢٦)

ثالثاً: الصفة الجماعية:

لا تنشأ الإدارة إلا بين جمع من الناس، ولا بُدّ لهذا الجمع من روابط تربطهم، وكلما قوي هذا الرابط قويت الجماعة وأصبحت الإدارة متيسرة على المدير. فالجماعة هي البيئة التي تنشأ فيها الإدارة، وبدون مراعاة هذا الجانب تصبح الإدارة أشبه ماتكون بمعادلة حسابية، وقد وُجّهت إنتقادات إلى المفكر الألماني (ماكس فيبر) عندما لم يهتم بالبيئة الاجتماعية التي تنشأ فيها الإدارة فجاء نموذج في - البيروقراطية- تُنقصه الروابط الانسانية. كذلك يؤخذ على (تيلر) إتجاهه إلى مكننة الانسان في المعمل. وقد زخرَ فكر الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) بنصوص كثيرة في مجال المجتمع والجماعة، وهي بحدّ

ذاتها تكوّن لدينا دراسة متكاملة عن المجتمع ودور الفرد في الجماعة، لكن سنقتصر على النصوص التي نحتاجها في تأكيد الصفة الاجتماعية في الإدارة. فالإدارة التي نستقي أبعادها من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) هي التي تنشأ في رحم المجتمع والجماعة. وقد أشرنا سلفاً أن المفردة الاجتماعية تحتل مساحة كبيرة من فكر الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان علينا أن نقتطف ما ينفع دراستنا وهو الإشارة إلى ضرورة وجود المجتمع للحياة، وعوامل تكوين الجماعة، وتصنيف المجتمع وما إلى ذلك من الموضوعات التي سنأتي على ذكرها: (٢٧)

رابعاً: الصفة الهدفية:

الحياة لم تُخلق عبثاً، فهي لم تخلق بالصدفة - كما يذهب البعض - ولا خلقتها الطبيعة العمياء - كما يقول آخرون - ولم تخلق الدنيا نفسها - كما هو رأي البعض - بل خلقها خالق قدير متعال، عالم قادر رازق حكيم عادل، فمن الخطأ أن يعتقد المرء بأن لهذا الوجود خالق ثم يقول باللاهدية، فأينما رميت ببصرك فثمة دليل قاطع على هدفية الكون والحياة، هذا ما يؤكد لنا في كلماته الرائعة. ومن خلال هذا العهد المبارك وما ورد فيه من فقرات تتضح لنا الرؤيا الادارية للامام علي (عليه السلام) فيما يأتي (٢٨):

الرفافة بالرعية:

يقنن الامام للعالم في عهده لمالك الاشر (رضوان الله عليه) أسلوب الحكم والرفافة بالرعية في نسق علمي ومعرفي وحضاري، تنهل جميع الشعوب من عهده المبارك الذي يعد اهم وثيقة تأريخيه في اقامه العدل والمساواة، إستقاها أمير البلاغة وسيد الفصاحة من المنهج القرآني والنبوي الشريف، فالعهد العلوي صك لحقوق الانسان المستل من الشرع المقدس. كما ورد في القرآن الكريم (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى

وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى).

يذكر الشيخ المفيد: فخرج مالك الأشر رضي الله عنه فأتى رحله وتميهاً للخروج إلى مصر، وقدم أمير المؤمنين عليه السلام أمامه كتاباً إلى أهل مصر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله الصلاة على نبيه محمد وآله، وإني قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر، من أشد عبيد الله بأساً، وأكرمهم حسباً، أضر على الفجار من حريق النار، وأبعد الناس من دنس أو عار، وهو مالك بن الحارث الأشر، لانايب الضرس ولاكليل الحد، حليم في الحذر، رزين في الحرب، ذو رأي أصيل، وصبر جميل، فاسمعوا له وأطيعوا أمره، فإن أمركم بالنفير فانفروا وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمرى، فقد آثرتكم به على نفسي نصيحة لكم، وشدة شكيمة على عدوكم. عصمكم الله بالهدى وثبتكم التقوى، ووفقنا وإياكم لما يحب ويرضى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. (٢٩)

التجارة والحياة الاقتصادية:

بالطبع سايكولوجية النفس البشرية مجبولة على حب المال، والسلطة؛ لذلك يقع المحذور دوماً من خلال الانجراف وراء المغريات المادية عند الحاكم أو سواه إلا الانبياء والمعصومون ومن ينهج وفق الجادة المستقيمة ويتصف بالنزاهة والاخلاص، من هنا وثيقة العهد العلوي هي محاولة تأسيسه معرفيه وفكريه واخلاقية وروحية لتجنيب الحاكم الهفوات في ادارته، وهي وصايا بالرفق بالتجار، والاغنياء، والفقراء، وادارة

الشؤون الاقتصادية بحنكة ودرايه دون التفريط بأي حقوق. فالعامل الاقتصادي له الدور الاساس في تلبية حاجات الناس وإشباع رغباتهم وتوفير المواد والمستلزمات الضرورية لأدامة الحياة، وقد أكد على منع الاحتكار والتلاعب بالاسعار واللهات وراء الجشع وكان الامام يقول: لو كان الفقر رجلاً لقتلته!! وما جاع فقير الا بما مُتّع غني فما ورد بالعهد الشريف مثالا على ما ا قوله^(٣٠).

سترضي بالتجار وذوي الصناعات وأوصي بهم خيرا والمقيم بهم والمضطرب بهاله والمترفق بيديه فإنهم سواد المناخ أسباب المرافق وجلاها من المباعد والمطارح في برك ويجرك شهيك وجيلك وحيث لا يلتم الناس لمواضعها ولا يجترثون عليها فإنهم سلم لالتحاق يا ثقة وصلح لا تخشى عائلته وتقصد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك. واعلم مع ذلك ان كثير منهم ضيقاً فاحشا وشحاً قبيحاً احتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات وذلك باب معزه إنعامه وبحيث على الولاية فامنع من الاحتكار فان رسول الله (صلى الله عليه واله) منع منه وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين البذل ولا يجيف بالفريقين من البايع والمبتاع فمن قارف حكره بعد نهيك إياه فثكل به وعاقبته في غير إسراف ثم الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين، والمحتاجين وأهل البؤس والزمن فان هذه الطبقة قانعا ومعتراً واحفظ لله ما ستحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من نحلات صواني الاسلام في كل بلد فان للأقصى منهم مثل الذي للادنى وكلاً قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر فانك لاتعذر بتضييعك التامة لاحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقد امور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه. العيون وتحقره الرجال من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله يوم تلقاه، فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله في تأدية حقه اليه وتعهد اهل اليتيم وذوي

الرقعة في السن ممن لاحيلة له ولاينصب للمسألة نفسه وذلك على اقوام طلبوا العافية فصيروا انفسهم ووثقوا بصدق موعد الله لهم واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرع لهم بيه محصر وتجاس لهم مجلسا عاما، فتواضع فيه لله الذي خلقك وتقصد عنهم جندك واعوانك احراسك وشرطك متى يكلمك متكلم غير متمتع فاني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لن تقدر امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متمتع ثم احتمال الخرق منهم والعي ونج عنهم الفبق والانفة يبسط الله عليك بذلك اكتاف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته واعط ماعطيت هنيئاً وامتع في اجمال واعذار. ثم امور من امورك لايد لك من مباشرتهم منها اجابة عمالك منها يعيا عنه كتابك ومنها : اصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك فيما تخرج به صدور اعدائك لكل يوم عمله فان لكل مافيهتم انظر في حال كتابك امورك خيرهم، واخصصت رسائلك التي تدخل فيها مكائلك واسارك بأجمعهم لوجوه صالح الاخلاق فمن لا تبطره الكرامة فيجتري بها عليك في خلافك بحضرة ملاء ولا تقصر به الغفلة عن ايراد امكانيات عمالك عليك، واصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لك ويعطي منك، ولا تضعف عقداً اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ماعقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الامور فان الجاهل بقدر تقره يكون بقدر غيره اجهل. يالنفس فيقول الوالي مالي وللبلاد وعمراتها اليوم هنا وغداً لا علم اين المقر فلا بد من جمع المال على عجل اما جشعا وحباً في المال او طلباً لارضاء من قوته يالتملق والتظاهر بالاخلاص في اداء الواجب اوليدل الرشاد والهدايا لحواشي الملوك والحكام ليدفعوا عنه طائلة الحساب، او يكفوا عنه اذى الوشاة ويؤكد عليها ان ذلك سبيل معوج وسياسة فاشلة ويستكثر على الولاة للسالكين هذا السبيل عدم انعاطهم بمن كان قبلهم واعتبارهم بما تالوه من الفشل وسوء المنقلب (٣١).

الكاتب والمفكر بنظر الامام علي (عليه السلام):

للفكر والعلم والثقافة والادب حيز في العهد العلوي الشريف، فالكاتب الورع والعالم الناصح صوت للشعب والرعية، أما أديب السلطان وبوقه فهو مضلل ومتنفع من الفتات الذي يغدق عليه وبالتالي تغيب الحقيقة ويضل الحاكم بغيه ويمارس الاستبداد لتتورم عقدة الذات وبالتالي يصبح دكتاتوراً مارداً. فلا بد من وجود كاتب بارع بمختلف وسائل المعارف خبير بأحوال الرجال، محيط بما يجد من الاحداث والامور ورتبة الكاتب اليوم في مكتب رئاسة الوزراء كوزير الدولة والمستشار الشخصي أو الاعلامي ولهذا تجد امير المؤمنين يؤكد اهتمامه في ان يكون كتاب ولاته حاوين لافضل الصفات، والملكات الثقافية، والمعرفية، يرى ضرورة توفرها فيمن يشغل هذا المنصب، بأن لا تيطره الكرامة والمركز الذي يحصل عليه من الوالي فيجاهر بالعصيان والمخالفة والتشدد والتباهي بل التواضع يسمو بالكاتب والعالم والمفكر، وان لا يكون من العقل الى درجة التهاون باداء واجباته اليومية، كما يوصي عليه الوالي امتهان كاتبه واطهار احتقاره يملأ من الناس في نقض تصرفاته وانتقاصها ويرى (عليه السلام) اهم صفة في الكاتب والموظف القريب من الحاكم ان يكون عاقلاً متزناً لا يجهل قدر نفسه، فمن يجهل قدر نفسه فهو بقدر الغير اجهل. يذكر المفكر الشهيد عزيز السيد جاسم (حين تتنوع مسؤوليات الوالي، وتتعدد فإنه يعمد في علاقاته بالناس إلى استخدام أدواته السياسية والوظيفية، فتنشأ شبكة من الاداريين والمسؤولين الثانويين، الذين يكونون البيروقراطية الجديدة المحيطة بالوالي، فتحلّ مراكز جديدة بالمعنى السياسي والاقتصادي تؤثر على التوجه السياسي العام للوالي، فتحرفه كما تشاء إرادتها ومصالحها فالبيروقراطية المصلحية، المتنفعة بلا مشروعية، هي آفة السلطة) (٣٢).

ويحذر العهد العلوي من :

الخيانة وقلدته عار التهمة وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله فان في صلاحه وصلاًحاً لمن سواهم لمن سواهم الا بهم لا بالناس كلهم عيال على الخراج واهله وليكون لمنظر في العمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرج البلاد واهلك العباد ولم يستقم امره الا قليلاً فان شكوى ثقلاً او علة او انقطاع شرب او حالة ارض اغتمرتها غرق او جحف بها عطش خفقت عنها بما نرجو ان يصلح بها امرهم ولا يثقل عليك شيء خفقت به المؤنة فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزين ولايتك ما حملته وانما يؤتى خراب الارض من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها لاشرف انفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبور وتحديد مابلى ذو البلاء منهم، فان كثرة الذكر في افعالهم تهمز الشجاع وتعرض التاكل ان شاء الله ثم اعرف لكل امرى الى غيره ولا تقتصرن به دون غاية بلائه ما كان صغيراً ولا ضيعة امرى الى ان تستصغر بلائه مان عظيمياً. واردد الى الله ورسوله ما يخلعك من الخطوب ويشتمل عليك من الامور فقد قال الله تعالى لقوم احب ارشادهم (يا أيها الذين امنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) فالرد الى الله الاخذ بحكم كتابه والرد الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المقرقة ثم اخذ اختر للحكم بين الناس. (٣٣)

الضرائب واثقال كاهل الرعية :

أكد الامام على الرفق بالمجتمع بجميع النواحي الاقتصادية، والاجتماعية، والتشريعية. ومنها الضرائب الباهضة الاتاوات نظام الاكراه كما تفعله النظم الفاشية والدكتاتورية والتوليتارية التي تستعبد البشر. فالرحمة واللين والصفح من سمات الحاكم الرؤوف. يقول: د. جورج جرداق في كتابه- الامام علي صوت العدالة الانسانية (أيها الدهر، ليتك كنت تجمع كل ما أو تبت من قوة. وأنت أيتها الطبيعة ليتك تجمعين كل

قواك ومواهبك لخلق إنسان عظيم. نبوغ عظيم. بطل عظيم. ومن ثم ليمنح الوجود مرة ثانية رجلاً كعلي). (٣٤)

لذلك بقول: عذر المعتذر والكف عن ارهاق المواطنين بالضرائب والرسوم الثقيلة خاصة اذا تعرضت معاملهم الى العطل والافات من انقطاع شرب: أي ماتشرب منه وتسقى به الانهار والابار أي ماييل الارض من ندى ومطر في الارض افضل رعيتك في نفسك ممن لاتضيق به الامور ولاتمكنه الخصوم ولايتهادى ولايحصر من الفياء الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولايكتفي بادعاء فهم دون اقصاه وفقهم في الشبهات واخذهم بالحجج واقلهم تبرماً بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور واحرمهم عند اتضاح الحكم مده لايزده اطراء ولايستميل إغراء وأولئك قليل ثم اكثر تعاهد قضائه، وافسح له في البذل مايزيل علتة وتقل معه حاجته الى الناس، واعطه من المنزلة لديك مالايطمع فيه غيره من خاصتك لياس بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظراً بليغا فان هذا الدين قد كان اسيرا في ايدي الاشرار يعمل فيه باهوى وتطلب به الدنيا. ثم انظر في امور عمالك فاستعملهم اختياراً، ولا تولهم محياة وإثره قاتهم جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقاً واضح اعراضاً واقل في المطامع اشراقاً وابلغ في عواقب الامور نظير افالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاية وعزالدين ورجال الامن وليس تقوم الرعية الا بهم ثم لاقوام الجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم ويعتمدون عليه خيماً يصلح ويكون من وراء حاجتهم ثم الاقوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكموا من المعاقب ويجمعون المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوام الاقوام لهم وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم وقيموه من اسوامهم ويكفونهم

من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفقا غيرهم. (٣٥)

ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه وليس يخرج الوالي من ذلك الاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه او ثقل قول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولأمامك واتقاهم حسيباً وأفضلهم حليماً ممن يبطين العفيف ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو على الاقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يقصد به الضعف. ثم الصق بذوي الاحساب واهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنه ثم اهل النجده والشجاعه والسخاء والسماحة فأنهم جماع من الكرم وشعب من العرف. ثم تفقد من امورهم ما يتفقد الولدان من ولدهما ولا يتفاقم في نفسك شي قويتهم به ولا تحقرن لطفاتعاهدتم به وإن قل فإنه داعية لهم الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف امورهم إتكالاً على جسيمها فأن للسير من لطفك موضعاً ينتفعون به و للجسيم موقعاً لا يستغنون عنه وليكن أثر رؤوس جنك عندك من واساهم في معونته وافضل عليهم من جنك فيما يسعهم وما يسع من ورائهم من خلق اهلهم حتى يكون همهم همماً وأخذاً في جهاد العدو فأن عطف عليهم يعطف قلوبهم عليك وإن أفضل قوة عين الولاة أستقامة الورك في البلاد وظهور مودة الرعية وانهم لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم ولا تصبح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة الامور وقلة أستثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح في امالمهم واوصل في حسن الثناء عليهم مثل ارائهم ونفاذهم وليس عليه مثل اصارهم واوزارهم ممن لم يعادون ظالماً على ظلمه ولا اثماً على ائمه أولئك اخف عليك مؤونة واحسن لك معونة واحنى عليك عطفاً واقل لغيرك الغأ فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك يقول: الشيخ ايه الله محمد باقر الناصري في كتابه عن العهد العلوي (ينهى (عليه السلام) عن استيراز

من كان للأشرار قبلك وزيراً خاصة منهم من شارك في إثم أو عان في الظلم فأياك واتخاذهم بطانة فإنهم قلما يصلحوا وعلى فرض صلاحهم فان الناس لا يركنون إليهم ويرون فيهم مثل الانتهازي المتلون وذلك يجز الطعن على الدولة ويشجع الخصوم على التشهير بالحكم وانك بمقياس الفضيلة والتقوى ستجد حينما تطلب خيراً منهم ممن لم يعادون ظالماً على ظلمه). (٣٦)

المال العام وسرقته :

يقول الشهيد الدكتور علي شريعتي: الامام علي بمحنه الثلاث كتب الى بعض عماله يهدده بالقتل لما بلغه من انه اختلس من بيت المال (فاتق الله وارده إلى هؤلاء القوم امواهم فأنتك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لا عذرني إلى الله فيك ولا ضربتك بسيفي الذي ماضرت به أحداً الا دخل النار) الخيانة الاقتصادية في الاموال العامة حكمها القتل عند علي إنها مسألة فقهية، اقتصادية، حقوقية وإجتماعية. (٣٧)

في عهد علي عليه السلام كان التساوي في الاستهلاك كما كان التساوي في العطاء، والجميع شركاء في بيت المال. يذكر العلامة هادي المدرسي (ومن هنا كان قرار الامام علي عليه السلام العدول عن تمييز الناس في العطاء والعودة إلى نظام المساواة قراراً هاماً، لأنه كان يعني انقلاباً اجتماعياً بكل ماتعنيه الكلمة. كما كان رد فعل ملاقريش وأبنائهم ضد الإمام وقراره هذا بداية الثورة المضادة ضد حكمه، والتي قادها ابن أبي سفيان (معاوية) من موقعه، وفعل مع الإمام ما فعله أبوه مع رسول الله، وما فعله ابنه فيما بعد مع الإمام الحسين عليه السلام إن الحاكم، والمسؤول، والوزير، والموظف الذي يسرق من المال العام هو يسرق شعب بأكمله لان المال الجميع شركاء به، فكثرة السراق اليوم تدمي القلب. وتحزن الشريف. وتدعو الى الوقوف بوجهها من قبل جميع المؤسسات الحكومية والشعبية. يذكر - محمد دكير: في مناقشته لكتاب الحكومة لمحمد

جواد لاريجاني ص (٦٤٢) (٣٨) مسألة كفاءة الحكومة مرتبطة بالأركان الأساسية لعمل الحكومة أي:

١- فهم الوضع الحقيقي.

٢- اختيار الوضع المنشود.

٣- كيفية التخطيط لبرنامج العمل وتنفيذه.

وقد عالج المؤلف قضايا مرتبطة بهذه المفاهيم لأنها تتعلق بالبحث العام في أسس فاعلية أي نظام، مثل دور الخبرة والتخصص، البرمجة، صناعة القرار فإنتشار الفساد المالي، والاداري، والتزوير، والتحريف، في عالمنا المعاصر دليل انحراف عن المثل والقيم الانسانية التي شرعها الله وأرساها الرسل والأئمة من أجل حفظ الحقوق وعدم التعدي على العباد والبلاد.

الخلاصة:

ان العهد العلوي يعد من أروع التشريعات التي سنت للعلاقة بين الحاكم والمحكومين، من هنا قررت الامم المتحدة في بداية الالفية الجديدة توصية عالمية من قبل (كوفي عنان) للأنظمة في العالم بالآخذ به لما ورد فيه من قيم ومثل تؤسس للعدالة الانسانية، والمساواة، والتوزيع العادل للثروة، والرفقة بالمجتمع، وتنظيم العلاقات الحكومية.

التوصيات:

- ١- على كل حاكم يدعي بأنه مسلم الالتزام بتحقيق العدالة بين جميع افراد المجتمع وفق القيم والمثل التي أسس لها القرآن الكريم وعدم الاستئثار بالسلطة ومنافعها الزائلة.
- ٢- على الحكومات تدريس العهد العلوي لملك الاشر بجميع المراحل الدراسية ليتعلم الابناء ماهية الواجبات وماهية الحقوق.

الهوامش

- (١) الشيخ عبد الواحد المظفر، قائد القوات العلوية مالك الأشتر النخعي، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت ٢٠٠٨، ص ١٢.
- (٢) الشيخ عبد الواحد المظفر، قائد القوات العلوية مالك الأشتر النخعي، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت ٢٠٠٨، ص ٢٢.
- (٣) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ). الإصابة في معرفة الصحابة، دار العلوم الحديثة، القاهرة، ١٣٢٨ هـ، ٣/ ٤٨٢، ص ٢٣٤.
- (٤) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ هـ). الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٢٥.
- (٥) نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، إيران، د.ت، ص ٢١.
- (٦) المرزباني، ابو عبد الله محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤ هـ / ٩٤٤ م)، معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، عيسى البابي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢٩.
- (٧) ان عبد ربه، شهاب الدين احمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م) العقد الفريد، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦، ص ٤٣.
- (٨) نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، إيران، د.ت، ص ٢٠.
- (٩) الشيخ عبد الواحد المظفر، قائد القوات العلوية مالك الأشتر النخعي، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت ٢٠٠٨، ص ٤٤.
- (١٠) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو

الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ٣٠٨/٤، ص ٥٦، الشيخ عبد الواحد المظفر، قائد القوات العلوية مالك الأشتر النخعي، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت ٢٠٠٨، ص ١٢٧.

(١١) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩، ٢ / ١٥٩، ص ١٢٧.

(١٢) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ). التقريب، بيروت، ١٩٨٩، ص ٣٤.

(١٣) الشيخ عبد الواحد المظفر، قائد القوات العلوية مالك الأشتر النخعي، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت ٢٠٠٨، ص ٣٩.

(١٤) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ). فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

(١٥) ابن اعثم، ابو محمد احمد الكوفي (ت ٣١٤هـ / ٩٢٧م). الفتوح، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند د.ت، ص ٦٥.

(١٦) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ). فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣، ص ٨٧.

(١٧) ابن اعثم، ابو محمد احمد الكوفي (ت ٣١٤هـ / ٩٢٧م). الفتوح، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند د.ت، ص ٦٩.

(١٨) ابن أبي الحديد، عز الدين ابو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائني (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م). شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، د.م، ١٩٥٩، ١٨ / ٩٥.

- (١٩) نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، إيران، د.ت، ص ٦٥.
- (٢٠) ابن اعثم، ابو محمد احمد الكوفي ت ٣١٤هـ / ٩٢٧م الفتوح، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، د.ت، ص ٣٥.
- (٢١) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ). الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٤.
- (٢٢) الشيخ عبد الواحد المظفر، قائد القوات العلوية مالك الأشر النخعي، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت ٢٠٠٨، ص ٣١.
- (٢٣) ابن أبي الحديد، عز الدين ابو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائني (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م). شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، د.م، ١٩٥٩، ١٨ / ٩٥.
- (٢٤) أبن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ)، الانباه على قبائل الرواة، المكتبة الحيدرية، النجف ١٩٦٦، ص ٨٧.
- (٢٥) المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٤، مطبعة السعادة مصر ١٩٦٤، ص ٩٦.
- (٢٦) ابن اعثم، ابو محمد احمد الكوفي ت ٣١٤هـ / ٩٢٧م الفتوح، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، د.ت، ص ٦٥.
- (٢٧) أبن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ)، الانباه على قبائل الرواة، المكتبة الحيدرية، النجف ١٩٦٦، ص ٩٥.
- (٢٨) ابن أبي الحديد، عز الدين ابو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائني

- (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م). شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، د.م، ١٩٥٩، ١٨ / ٩٥، ص ٩٥.
- (٢٩) ابن عبد ربه، شهاب الدين احمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م). العقد الفريد، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦، ص ١٢٣.
- (٣٠) ابن أبي الحديد، عز الدين ابو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائني (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م). شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، د.م، ١٩٥٩، ١٨ / ٩٥، ص ٩٩.
- (٣١) الشيخ عبد الواحد المظفر، قائد القوات العلوية مالك الأشر النخعي، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت ٢٠٠٨، ص ٦٥.
- (٣٢) المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٤، مطبعة السعادة مصر ١٩٦٤، ص ٦٥.
- (٣٣) الشيخ عبد الواحد المظفر، قائد القوات العلوية مالك الأشر النخعي، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت ٢٠٠٨، ٨٧.
- (٣٤) ابن أبي الحديد، عز الدين ابو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائني (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، د.م، ١٩٥٩، ١٨ / ٩٥، ص ١١٩.
- (٣٥) الشيخ عبد الواحد المظفر، قائد القوات العلوية مالك الأشر النخعي، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت ٢٠٠٨، ص ٧٥.
- (٣٦) ابن أبي الحديد، عز الدين ابو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائني (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار

إحياء الكتب العربية، د.م، ١٩٥٩، ١٨ / ٩٥، ص ٩٢.

(٣٧) علي شريعتي، الامام علي بمحنه الثلاث، دار الاعمين، بيروت ٢٠٠٠، ص ٥٤.

(٣٨) محمد دكير، الحكومة لمحمد جواد لاريجاني، دار التراث، بيروت ١٩٩٩، ص ٧٧.

المصادر:

- ١- ابن اعثم، ابو محمد احمد الكوفي ت ٣١٤هـ / ٩٢٧م الفتح، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، د.ت.
- ٢- ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤م)، التقريب د.م، د.ت.
- ٣- ابن عبد ربه، شهاب الدين احمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م). العقد الفريد، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦.
- ٤- المرزباني، ابو عبد الله محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ / ٩٤٤م)، معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، عيسى البابي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٠.
- ٥- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٤، مطبعة السعادة مصر ١٩٦٤.
- ٦- نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، إيران ١٩٨٩.
- ٧- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ٣٠٨/٤.
- ٨- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ). الإصابة في معرفة الصحابة، دار العلوم الحديثة، القاهرة، ١٣٢٨ هـ، ٤٨٢/٣.
- ٩- الشيخ عبد الواحد المظفر، قائد القوات العلوية مالك الأشتر النخعي، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت ٢٠٠٨.
- ١٠- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ)، الانباه على قبائل

الرواة، المكتبة الحيدرية، النجف ١٩٦٦.

١١- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ). الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

١٢- ابن اعثم، ابو محمد احمد الكوفي (ت ٣١٤هـ / ٩٢٧م). الفتوح، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، د.ت.

١٣- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩، ٢ / ١٥٩.

١٤- ابن أبي الحديد، عز الدين ابو حامد بن هبه الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائني (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م). شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، د.م ١٩٥٩.

١٥- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

١٦- الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م). معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٥٥.

١٧- المرزباني، ابو عبد الله محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ). معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، عيسى البابي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٣٦٣.

١٨- محمد دكير، الحكومة لمحمد جواد لاريجاني، دار التراث، بيروت ١٩٩٩.

١٩- علي شريعتي، الامام علي بمحنة الثلاث، دار الاعلمين، بيروت ٢٠٠٠.

القيادة والإدارة الناجحة
في فكر الامام علي (عليه السلام)

حنان عباس خيرالله



المقدمة

ان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سعى إلى وضع أسس ودعائم الدولة المتحضرة التي تقوم على احترام حقوق الإنسان واحترام إنسانية الإنسان، وقد سعى الإمام عليه السلام سعياً حثيثاً في سبيل تحقيق ذلك، الأمر الذي كلفه حياته الشريفة، إذ عاداه مجتمعه الذي تعود على نظام الطبقية.

ان الإمام عليه السلام، قد سبق العصور والأزمنة بفكرة الثاقب ورؤاه العظيمة، إلا ان المجتمع آنذاك لم يكن متفهماً وواعياً بما فيه الكفاية لما كان يريده الإمام عليه السلام، وبالنتيجة لم يستفد ذلك المجتمع من تلك الوصايا النورانية التي تعد بحق لبنات بناء الدولة المتحضرة.

وتعدّ العدالة المحور الأكثر بروزاً في منهج حكمه عليه السلام، وقد بلغ من اقتران اسم الامام أمير المؤمنين عليه السلام بالعدالة، وامتزاجه بها، قدراً كبيراً، إذ صار اسم علي عنواناً للعدالة، وصارت مفردة العدالة توحى باسم (علي) صلوات الله عليه.

لا تزال الفرصة سانحة، وبإمكان عالم اليوم المليء بالحروب والدمار والأزمات، أن يعود إلى ذلك النهج النير، نهج الإمام علي عليه السلام، فهو يكفينا لإقامة الدولة الصالحة والعصرية المتحضرة، وكذا العودة إلى كتابه إلى واليه على مصر، الشهيد مالك الأشر رضي الله عنه، لننهل من ذلك المعين العذب، وهو يوصي عامله على مصر بأدق الأمور، وفي شتى ميادين إدارة الدولة.

مفهوم القيادة :

تعددت وتنوعت واختلفت تعاريف مفهوم «القيادة» وذلك حسب اختلاف الزمان والمكان ولكن في مجمل التعاريف نجد أنها تركز على عدة عناصر أبرزها : فن إدارة الأفراد، تحقيق الهدف باستخدام الكفاءة العالية، تحمل اقل التكاليف أو الخسائر.

التعريف اللغوي للقيادة :

هي كلمة يونانية الأصل مشتقة من الفعل «يفعل» او يقوم بمهمة ما «، والقيادة حسب رأي (ارندت) تقوم على علاقة اعتمادية تبادلية بين من يبدأ الفعل وبين من ينجزه، اما معناها في اللغة العربية :» فالقود هو نقيض السوق، يقود الدابة من أمامها ويسوق من خلفها، إن القود من أمام والسوق من خلف، والانقياد معناه الخضوع، وجمع قائد قادة وقواد». (١)

تعريف القيادة اصطلاحا

القيادة: هي منصب ذو سلطه قانونية والتي من خلالها يمارس القائد سلطته على مرؤوسيه بفضل رتبته ومنصبه، وأيضا القدرة على التأثير على الآخرين، والقائد لا يمكن ان يكون قائد اذا قام بجهود قليلة لإدارة مرؤوسيه وإلهامهم، بل عليه ان يبذل الجهود المضنية لكي يصبح قائدا (٢).

وهي أيضا: «الأخذ بالزمام والسير نحو غاية مرسومة» والقائد عند العرب الأقدمين هو: «المرشد، الدليل، الهادي» (٣).

ويبدو أن أبسط تعريف للقيادة هو أن نقول: «هي عملية تحريك الناس نحو الهدف». (٤)

وقالوا في القيادة أيضا: «ليست القيادة خلق شيء بقدر ما هي خلق رجال أو السيطرة عليهم وحبهم والحوار على محبتهم وعظمه هذه المهمة ناشئة عن توحيد الصفوف في سبيل واجب مقدس» (٥)

يحمل معنى القيادة في الفكر الإسلامي بعضا من المعاني المتعلقة بهداية الناس وإرشادهم وتولي أمورهم، ومن معانيها ما يلي:

- الإمامة:

ويؤخذ منها (الإمام)، وتعني: «من يأتى الناس به من رئيس أو غيره، ومنه إمام الصلاة»، ويعني أيضا: الخليفة. (والإمامة) تعني: «رياسة المسلمون» (٦).

وتعني (الإمامة) أيضا: «التقدم والقصد إلى جهة معينة» وكذلك «الهداية والإرشاد» وكذلك «الأهلية لأن يكون المرء قدوه». (٧)

والإمام يعني هنا: من يؤم الناس ويقتدى به في أمور الدين والدنيا وهو أيضا قائد المسلمين وهاديتهم ومرشدهم وزعيمهم ورئيسهم الأعلى وحاكمهم، والدليل على أن منصب الإمام في الإسلام أمر لا غنى عنه ويستحيل انتفائه، هو أن صلاتهم لا تصح بدون (إمام)، فلا بد من شخص يتولى إمامتهم في الصلاة وعليهم أن يطيعوه ويقتدوا به ولا يجوز مخالفته وعصيانه.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

وقال أيضا: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

قال تعالى: مخاطبا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾. (٨)

- الولاية:

وتعني في اللغة « السلطان » ومنها الولي وهو كل من ولي أمرا أو قام به، وكذلك الوالي أي الذي يتولى أمر البلاد والعباد ويرعى شؤونهم.

والوالي هو القائد والمتصرف بشؤون الناس والقائم على رعايتهم وإرشادهم، وفي ذلك يقول (صلى الله عليه وآله وسلم): « كلكم راع ومسئول عن رعيته،... » رواة البخاري.

مما سبق يبدو لنا أن القيادة في الإسلام تعني في جملتها : كل من يتولى شيئا من أمر المسلمين العامة، فالإمام قائد، والأمير قائد، والمرأة في بيتها قائدة لأسرتها، والعبد الذي يرعى مال سيده قائد، والموظف العام قائد في إدارته ومكتبته، ورب الأسرة قائد لأسرته، وقائد الجيش والشرطة قائد،... الخ، فالقيادة هنا المسؤولية التي توجب على من يحملها ان يقوم بها بأمانة وإخلاص ويرعاها حق رعايتها، وصولا بهذه المجموعة التي يتولى شأنها الى الأهداف التي تطمح الوصول إليها.

هذا وقد ارتبطت القيادة في الإسلام بالجندي ارتباطا وثيقا لان أمر الجيش يحتاج إلى قائد بارع، محنك، حازم، كفؤ، قوي، ولذلك فان قائد الجند في الإسلام هو صاحب مدرسة ورسالة، ولنا في رسولنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) القدوة الحسنة، فلقد كان الرسول الكريم هو المعلم الذي تنزل عليه الوحي برسالة الإسلام ليلبغها للناس وصاحب المدرسة التي تخرج فيها قادة أمم وأبطال حرب ورجال إصلاح وعلماء وفلاسفة ورواد حضارة» (٩)

- الفكر القيادي عند الامام علي (عليه السلام)

لقد تأكد للجميع ان الامام امير المؤمنين علي عليه السلام وفق السنة المطهرة خير البرية وهو وصيه ووراث علمه وهو الذي يتمتع بكل صفات القيادة الناجحة، وهو القائد الشرعي المفترض الطاعة.

اعتمد الامام امير المؤمنين عليه السلام في منهجه للحكم اختياره لعناصر الدولة الناجحة ومنها النظرية الاسلامية المستمدة من القران الكريم لما يتضمنه القران من مؤشرات واضحة في السياسة والحكم والقضاء والقانون والاخلاق وما يتضمنه من المبادئ العامة التي تصون المجتمع وتحفظه من الازمات.

وقال الامام علي (عليه السلام): «يا أيها الناس إنَّ أحقَّ الناس بهذا الامر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله»^(١٠).

فالعمل السياسي والفكري النهضوي الذي يستهدف في تحركه اقامة الدولة والمجتمع الصالح يتطلب قيادة اسلامية عاملة بالاحكام والقوانين التشريعية ومصادر الاساسية، لأن الاحكام والتشريع هو العمود الفقري لجسم الدولة وهو يحدد مسيرتها وأطارها الفكري العام. والفقهاء، العالم هو صمام الامان لتنفيذ مبادئ الشريعة على أساس قدراته الفقهية التشريعية الفذة حتى لا تتخبط مسيرة الدولة في متاهات القوانين الوضعية..

- الشروط التي يجب ان تتوفر في الحاكم

ان الامام علي (عليه السلام) وضع شروطا في نهج البلاغة يجب ان تتوافر في الحاكم الصالح وهي :

١- ان يكون كريم النفس لئلا يدفعه الطمع وشدة الحرص الى العدوان على اموال المسلمين.

٢- ان يكون عالما لأنه قائد المسلمين الاعلى لذا يجب ان يهديهم ولو كان جاهلا لأضلهم.

٣- يجب ان يكون رحب الصدر لين العريكة.

٤- ان يكون عادلا في اعطاء الاوامر فيساوي بين الناس في العطاء ولا يفضل قوما على اخر على حساب اخرين استجابة لشهوات نفسه وميول قلبه.

٥- ان يكون نزيها في القضاء فلا يرتشي لان ذلك يؤذن بذهاب العدل في الاحكام.

٦- ان يكون عالما بالسنة فيجري الحدود ولو على اقرب الناس اليه ويعطي الحق من نفسه كما يطلبه من غيره وفي هذا قال الامام عليه السلام :

٧- ((وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل فتكون في امواهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجاني فيقطعهم بجفائه ولا الحائف للدول فيتخذ قوم. ولا المرتشي بالحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الامة))^(١١).

- وظائف الحاكم عند الامام علي (عليه السلام)

تقديم المصالح العامة

مما يوجب على الحاكم سن القوانين والمقررات، واتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لضمان الحقوق العامة والأخذ على يد مخالفين القانون فيما إذا طالت عامة الأمة بعض الأضرار والخسائر.

ولذلك كان يوصي مالك الأشر واليه على مصر بالعمل الجاد الذي يجلب رضى العامة، وإن استبطن سخط الخاصة، وذلك لأن هذا المعنى أقرب للعدالة وأبعد عن الظلم والجور: (وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة) (١٢).

ويطالب الحاكم في موضع آخر بالحيولة دون تدخل خاصته وبطانته من الذين يتصفون بالأنانية وعدم مراعاة الإنصاف في المجالات الاقتصادية، ولا يهتمهم سوى ضمان مصالحهم الشخصية في الشؤون الاقتصادية للبلاد. وكذلك اجتثاث جذور الظلم المتأصلة فيهم من خلال إغلاق كافة السبل التي تمهد لتحقيق أطماعهم وجشعهم: (ثم أن للوالي خاصة وبطانة فيهم استثثار وتناول وقلة إنصاف في معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال) (١٣).

إعانة الفقراء

يؤكد الإمام (عليه السلام) على الحاكم أن يولي اهتماما فائقا لفقراء المجتمع، بهدف إجراء العدالة الاجتماعية في مجالها الاقتصادي. في حين يقود عدم الاكتراث لهذا الأمر

وعدم الاهتمام بالفقراء وإيجاد السبل التي تكفل رفع حالة الفقر عنهم بالتدرج، الى شيوع المفاسد الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، وبالتالي تفشي الجريمة في المجتمع. ولذلك يوصي الولاية باستخدام أفراد يضطلعون بهذه الوظيفة، ليمدوه بالتقارير والمعلومات المفصلة التي تستعرض أوضاع الفقراء والمعوزين بغية تلبية حاجاتهم والقضاء على فقرهم.

مما لا شك فيه أن هذه الطبقة إنما استحققت هذه العناية الخاصة بفعل ضعفها وعدم قدرتها على المطالبة بحقوقها، وعليه فالحاكم مكلف بالنظر في أمرهم وإحقاق حقوقهم، والحذر من أي غفلة وإهمال بهذا الشأن: (ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى... فلا يشغلنك عنهم بطر، فانك لا تعذر بتضييعك التفاهة لإحكامك الكثير المهم) (١٤).

التساهل والرفق

المحور الآخر من محاور ووظيفة الحاكم تجاه الأمة الرفق بالناس حين التعامل معهم، عليه ألا يكلف الأمة فوق طاقتها بما يرهقها ويثقل كاهلها، وإن أدنى ما يترتب على الرفق بالأمة كسب ودها وثقتها. الأمر الذي يجعل الحاكم يشعر بالدعم والإسناد الذي يتطلبه في مواقع الحاجة: (واعلم أنه ليس شي بادعى الى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المئونات وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم) (١٥).

وقال (عليه السلام) بشأن الضرائب وضرورة التخفيف من عبئها على الأمة: (فان شكوا ثقلا أو علة أو انقطاع شرب... خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم ولا يثقلن عليك شي خففت به المئونة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك... فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به) (١٦).

إن الرفق والتخفيف عن الأعباء لا يختص بالأمر المادية فقط، بل يشمل حتى الأمور العبادية ومراعاة أحوال الناس، وهذا ما أكده وطالب به ولاته حيث قال: (وإذا قمت في صلاتك للناس، فلا تكونن منفرا، ولا مضيعا، فإن في الناس من به العلة وله الحاجة، وقد سألت رسول الله حين وجهني الى اليمن كيف أصلي بهم؟ فقال: صل بهم كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيمًا) (١٧).

المباشرة بالنظر في أمور الناس ومعالجة مشاكلهم:

يرى إن إحدى وظائف الحاكم تتمظهر في سماعه مباشرة لشكاوى الناس والنظر فيها بدون واسطة: (واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعده عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك، حتى يكلمك متكلمهم غير متتعت) (١٨).

تعليم الناس وإيقافهم على الحقائق:

الوظيفة الأخرى التي يارسها الحاكم إنما تتمثل في تعليم الأمة وجعلها ملمة بأغلب الأمور، وهناك أسلوبان يمكن من خلالهما تحقيق هذا الأمر. احدهما: الأسلوب التعليمي الذي يمكن ملاحظته من خلال تأكيدات الإمام (عليه السلام) لولاته بالاهتمام بهذا الموضوع. فقد جاء في تأكيده لوالي مكة: (أما بعد، فأقم للناس الحج وذكرهم بأيام الله، واجلس لهم العصرين، فأفت المستفتي، وعلم الجاهل، وذاكر العالم، ولا يكن لك الى الناس سفير إلا لسانك، ولا حاجب إلا وجهك، ولا تحجبن ذا حاجة عن لقاءك بها) (١٩).

كما يجب إيقاف واطلاع الأمة على الحقائق. فقد تسود المجتمع بعض حالات سوء الظن تجاه الحاكم أو الحكومة، الأمر الذي يتطلب منه ممارسة وظيفته في كشف النقاب

عن الأمور الغامضة التي تساور أذهان الناس.

فقد أوصى مالكا بهذا الشأن قائلا: (وإن ظنت الرعية بك حيفا فاصحر لهم بعذرِكَ واعدل عنك ظنومهم باصهارك فان في ذلك رياضة منك لنفسك، ورفقا برعيتك) (٢٠). وقد كان هذا الأسلوب مشهودا في سيرة الإمام علي (عليه السلام)، بحيث لم تطرأ أدنى شبهة لأي من الأفراد، إلا وانبرى لإزالتها والقضاء عليها من خلال التعرض لها بكلماته أو كتبه ورسائله التي كان يبعثها.

- اساسيات القيادة الادارية

الرقابة :

أما الرقابة وصيانة الحقوق و الواجبات الاجتماعية تُعدُّ من أساسيات النظام السياسي الاسلامي، وقد بذل الاسلام جهوداً حثيثةً في سبيل ضمان الحقوق الفردية والاجتماعية للمجتمع، وعلى سبيل المثال، اننا عندما ندرس النصوص النبوية. فان هناك اهتماماً واضحاً من قبل الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لتنظيم الاقتصاد الاسلامي وتطبيقه في مجالات متعددة حتى لا يتم استغلال و احتكار البضائع من قبل المتلاعبين بالسوق.

وفي رسالة الامام علي (عليه السلام) الى مالك الاشر، لما أراد توليته على مصر أمره (عليه السلام) أن يردع المحتكرين، و يقف أمام تصرفاتهم بحزم و قوة. إذ قال (عليه السلام): «.. فامنع من الاحتكار، فان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل، و أسعاره لا تحجف بالفريقين، من البائع و المبتاع، فمن قارف حكره، بعد نهيك إياه، فنكل به، و عاقبه من غير اسراف..» (٢١).

هذه النصوص التاريخية، تدل على الذهنية الاجتماعية التي تتحرك من خلالها القيادة الاسلامية، المتجسدة بشخص الامام علي (عليه السلام) لتنظيم الحياة الاقتصادية في المجتمع على أساس المتابعة الميدانية اليومية لوضع حداً للتلاعب بالشؤون الاقتصادية العامة التي تحرك اقتصاد المسلمين آنذاك، وهذا ما يمكن فهمه من خلال بعض اللقطات الفكرية للقرآن الكريم كما في حركة نبي الله شعيب (عليه السلام) قال تعالى: ﴿وَأِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ (٢٢).

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي

الْأَرْضِ...﴾ (٢٣).

فقد كان أصحاب الأموال و التجار يستغلون المستضعفين، و يتعدون على حقوقهم من خلال التطفيف كحالة لها ترويح لا يستند الى أي قاعدة و منطلق صحيح لهذا أراد شعيب أن يكون و يحقق معنى العدالة الاجتماعية في الجانب الاقتصادي الذي هو عصب حياة الناس والذي تستوفي منه الدقة في المتابعة والصيانة الذي يتحرك من خلالها القائد الرسالي لتثبيت أو اصر الاخوة و تحقيق العدالة..

كما رفض الامام بشدة سلبية المجتمع تجاه الخطأ ايأ كان مصدره او الترددي من أي جهة يأتي، إذ يقول مخاطباً أبناء الامة : «وقد ترون عهود الله منقوصة فلا تغضبون... [و يحملهم المسؤولية قائلاً] وكانت امور الله عليكم ترد ومنكم تصدر واليكم ترجع، فمكنتم الظلمة من منزلتكم او القيتم اليهم ازمتمكم وسلمتم امور الله في ايديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات“ (٢٤) وقال الامام : « ايها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق ولم تنهوا عن توهين الباطل لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ولم يقو من قوي عليكم » (٢٥).

ان تحميل الامام ابناء الامة مسؤولية الانحراف او الخطأ في المجتمع بشكل عام وقياداته بشكل خاص، ليس بعيداً عن منح الامام للامة الحق في تقييم العمل والاداء السياسي بموضوعية وعقلانية قبل اتخاذ موقف ما، إذ قال (عليه السلام) « اذا رأيتم الخير فأعينوا عليه. واذا رأيتم شراً فاذهبوا عنه »^(٢٦) و « رحم الله رجلاً رأى حقاً فأعان عليه او رأى جوراً فرده »^(٢٧)، ويبلغ الامام درجة في انصاف الامة تاركاً لها حق تقييم ادائه ففي احدى خطبه (عليه السلام) يقول : ” اما بعد فاني خرجت من حيي هذا اما ظالماً او مظلوماً واما باغياً او مبيعاً عليه، وانا اذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر الي، فان كنت محسناً اعانني وان كنت مسيئاً استعتبني “^(٢٨).

ان الامام لم ينظر إلى مسألة المراقبة الدقيقة من الامة للحاكم وسياسته على انها حق فحسب، ولكنها واجب كذلك. وترافقت هذه النصوص القانونية مع سيرة عملية مميزة للامام فقد كان يطالب الامة بمراقبته قائلاً : « يا اهل الكوفة ان خرجت من عندكم بغير رحلي وراحتي وغلامي فانا خائن »^(٢٩).

فالاسراف والتعدي الخطير لهذا المرض الاجتماعي يتطلب من القيادة العقائدية الموقف الرسالي الحازم لفرض صيانة عقائد الناس وتنظيم حياتهم الاخلاقية والاجتماعية، لأنها قد تتعرض في بعض الظروف لحالات الانهيار بعدما تداخلت فيها بعض الثقافات المادية المنحرفة وأنا عندما ندرس حالة المجتمعات الغربية التي أطلقت الحريات سواء كان في جانبها الاقتصادي أو الجنسي، فان مجتمعاتها لا زالت تعيش مشاكل مادية و نفسية جسيمة، والتي تثير حولها المشاكل الاجتماعية الفكرية نتيجة لهذه الانحلالية والاباحية المطلقة والتي تستدعي الى الصيانة وتنظيم العلاقات على ضوء الاسس الصحيحة والسليمة لضمان حياة مجتمع أفضل.

المساواة والعدالة :

عانت البشرية منذ فجر تاريخها الطويل الكثير من ألوان الظلم و الطغيان نتيجة لممارسات الحكام الظلمة عبر هذا التاريخ، لهذا كانت البشرية بحاجة ماسة الى العدل والمساواة بين أفراد المجتمع الواحد، وهذا ما يتطلب وجود حاكم عادل لقيادة البشرية نحو شاطئ الأمان. ومن أهم الشروط لتولي منصب القيادة العامة للمسلمين أن يكون الحاكم عادل في تطبيق مفهوم العدالة الاجتماعية، و خلق جوّ المساواة بين أفراد.. قال القلقشندي الشافعي من ضمن ما ذكر من شروط في صفة الحاكم : «العاشر العدالة : فلا تنعقد امامة الفاسق، وهو التابع لشهوته، المؤثر لهواه من ارتكاب المحظورات والاقدام على المسكرات، لأن المراد من الامام مراعاة النظر للمسلمين، والفاسق لم ينظر لنفسه في أمر دينه، فكيف ينظر في مصلحة غيره !» (٣٠).

وقال عبد القادر البغدادي «والثاني - العدالة والورع و أقل ما يجب له من هذه الخصلة أن يكون ممن يجوز قبول شهادته تحملاً و أداءاً» و «كما يستفاد من روايات اشتراط العدالة فيما امامة الجماعة فلئن كانت العدالة شرطاً في الامامة لصلاة الجماعة فما ظنك بإمامة الامة في حلها و ترحالها و التصرف في مقدّراتها، و تؤيد هذا الشرط رواية سدير» (٣١).

والرواية مروية عن أبي جعفر (عليه السلام) إذ قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا تصلح الامامة إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، و حلم يملك به غضبه، و حسن الولاية على من يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم» (٣٢).

من الاولويات و المهام الاساسية التي تكون مورد اهتمام القيادة الاسلامية هي اقامة العدل، و تحقيق المساواة الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد، وهذه الخصوصية تعد من

اساسيات وجود الدولة الاسلامية قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ
بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾ (٣٣)

وهذه هي القاعدة والمنطلق لأصول الحكم وأخلاقه في المفهوم الاسلامي فلا يحق للقائد التجاوز على الحدود الشرعية والقواعد الاساسية في الفكر الاسلامي، لأنّ هناك رقابة الهية مستمرة ترقب تحركات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو الامام (عليه السلام)، أو القائد الفقيه، وتسدده في خطواته ما دامت تنسجم مع الخط الاسلامي الصحيح.

ففي حديث للامام الصادق (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام): إذ قال لعمر بن الخطاب: «ثلاث ان حفظتهن و عملت بهن كفتك ما سواهن وان تركتهن لم ينفعك شيء سواهن قال: وما هن يا أبا الحسن؟ قال: «اقامة الحدود على القريب و البعيد و الحكم بكتاب الله في الرضا و السخط و القسم بالعدل بين الاحمر و الاسود» قال عمر: لعمرى لقد أوجزت و أبلغت» (٣٤).

فإقامة العدل ركيزة من ركائز الاسلام. لانها تعزز وحدة الأمة، و تدوب شخصيتها في الكيان الاسلامي الذي تجسد القيادة الاسلامية الواعية وجوده من خلال الخصائص الاساسية لقيام الدولة الاسلامية، و تحقيق معنى المجتمع الاسلامي الصالح.

العلاقة الإنسانية ومودة الأمة

هناك ترابطٌ قوي بين اهتمام الوالي بالعدل والإحسان وبين ظهور مودة الرعية للوالي ونصحهم في ذلك، وقد قال علي (عليه السلام):

وَإِنْ أَفْضَلَ قَرَّةَ عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطَتِهِمْ عَلَى وِلَاةِ الْأُمُورِ وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دَوْلِهِمْ وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مَدْتِهِمْ (٣٥).

وينفك عن هذا الارتباط الجندي الذي لا يمكنه التضحية في ساحة الوغى أو النصح لولائه إذا كان لا يرغب بهم ولا يميل إلى ودهم، حيث يستثقل وجودهم مع دولهم ويتمنى زوالها لما عاناه منهم.

أما إذا كان الأمر عكس ذلك، فإنهم (لا يستبطنوا انقطاع مدتهم، بل يعدون زمنهم قصيراً يطلبون طوله) (٣٦).

حيث ربط الإمام علي (عليه السلام) بين ما سبق وما لحق من تبادل النصح والمحبة بين الجند والوالي، وبين ما يتبع ذلك من واجبات وحقوق، فالقائد الذي له صفاتٌ جيدةٌ له أثرٌ كبيرٌ على المعنويات والمجتمع بصورة عامة.

التعاون بين الحاكم والشعب

يقول الامام علي (عليه السلام) : ((واعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حقوق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل فجعلها نظاما لا لغتهم وعزا لدينهم فليست تصلح الرعية الا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة الا باستقامة الرعية فاذا ادت الرعية الى الوالي حقه وادى الوالي اليها حقها

عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت واعتدلت معالم العدل وجرت على اذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء واذا غلبت الرعية واليها او اجحف الوالي برعيته اختلفت هناك الكلمة وظهرت معالم الجور وكثرة الادغال في الدين وتركت محاج السنن فعمل بالهوى وعطلت الاحكام وكثرت على النفوس)) الى ان يقول : ” فعليكم بالتناسخ في ذلك وحسن التعاون عليه ثم يقول ولكن من واجب حقوق الله على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على اقامة الحق بينهم“ (٣٧).

فعلى الرعية ان تعطي الوالي ما عليها من حقوق فتطيعه اذا امر وتجيبه اذا دعا وتنصحها اذا استنصحها وعلى الوالي اذا حصل على ذلك ان يستغله في اصلاح شؤون رعيته ولكن حين لا تبذل الرعية للوالي طاعتها ولا تمحضه نصيحتها لا تلبى دعوته اذا دعاها فان الوالي سيكون مضطرا لان يمضي وقته في رعاية مصالح نفسه ويهمل مصالح رعيته وينتج عن ذلك شيوع الظلم وسيطرة الظلمة وانحراف وفساد الدولة.

الخاتمة

كما سبق تبين لنا أن الإدارة عند أمير المؤمنين (عليه السلام) ليست فعلاً ميكانيكياً بل هي مجموعة صفات وخصال تتمزج فيما بينها للحصول على المدير الجيد والإدارة الجيدة، وهذه الصفات هي التنظيم، فلا إدارة بدون تنظيم ونظام، فإذا حل نقص التنظيم حلت محله الفوضى.

وكذلك الانسانية بمعنى ان الذي يتحرك ويفعل الإدارة هو الانسان وليس الآلة، فكان لأبد من معرفة الانسان والتعريف على نقاط قوته ونقاط ضعفه، فالإدارة الجيدة هي التي تحاول أن تستثمر نقاط القوة في أعضائها وتعالج نقاط الضعف فيهم.

أن الإدارة تشكل بمجموعها مجتمعاً منظماً تنشأ فيه العلاقات الانسانية وتنمو فيه الروح الجماعية. وعندما تتحرك هذه الإدارة كأنها المجتمع بأسره قد تحرك وهذه النظرة تخالف أولئك الذين ينظرون إلى الإدارة وكأنها متكونة من أجزاء بشرية متناثرة لا يربطها رابط سوى القوانين الصارمة، كما هي البيروقراطية.

لابد أن يكون للإدارة هدفاً وأن يكون هذا الهدف منسجماً مع أهداف الانسان في الحياة، وبالتالي يجب أن تكون هذه الأهداف منصبة في بناء الإدارة القوية، وهنا نجد أنفسنا أمام دائرة متكاملة شاملة وهي المعبرة عن الفضائل الانسانية والساعية أيضاً إلى تحقيقها في الحياة.

الهوامش

- ١ - عبيدات، زهاء الدين، القيادة والإدارة التربوية في الإسلام، دار البيارق، عمان، ٢٠٠١، ص ص ٤١، ٤٠.
- ٢ - هيز، صامويل، وليم توماس، تولي القيادة، فن القيادة العسكرية، ترجمه سامي هاشم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤. ص ١٨ - ٢٠.
- ٣ - المناف، جميل كاظم، القيادة والأزمة الحضارية، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، ص ٤٠.
- ٤ - انظر الموقع الإلكتروني: www.islammemo.cc
- ٥ - ج. كورتوا، لمحات في فن القيادة، تعريب هيثم الأيوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٦، ص ١١.
- ٦ - إبراهيم مدكور، المعجم الوجيز، منشورات مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٢٥.
- ٧ - عبيدات، القيادة والإدارة التربوية، ص ٤٦.
- ٨ - البقرة، آية: ١٢٤.
- ٩ - محفوظ، محمد جمال الدين، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٣٠٨.
- ١٠ - نهج البلاغة.
- ١١ - نهج البلاغة رقم النص ١٣١ / شرح الدكتور صبحي الصالح ص ١٨٨.
- ١٢ - عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٨٦.
- ١٣ - عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٤.

- ١٤- عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٨٨.
- ١٥- عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ص ٨٨-٨٩.
- ١٦- عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ص ٩٦-٩٧.
- ١٧- عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٣.
- ١٨- عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٢.
- ١٩- عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٢٨.
- ٢٠- عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٥.
- ٢١- عبدة، نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٠.
- ٢٢- هود: آية ٨٤.
- ٢٣- الاعراف: آية ٨٥.
- ٢٤- الرضي، الشريف، (الجامع)، نهج البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي، خطبة
١٠٥، ١٨٧.
- ٢٥- الرضي، خطبة ١٦٦، ص ٢٩٧.
- ٢٦- الرضي، خطبة ١٧٦، ص ٣١٣.
- ٢٧- الرضي، الخطبة ٢٠٥، ص ٤٠٥.
- ٢٨- الرضي، كتاب ٥٧، ص ص ٥٧٥-٥٧٦.
- ٢٩- العاملي، الحر، وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة البيت لآحياء التراث، (د.م، د.ت)،
ج ١١، ص ٨١.
- ٣٠- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، مآثر الاناقة في معالم الخلافة،
ط ٢، الكويت، ١٩٨٥، ج ١ ص ٣٦.

٣١- الحائري، كاظم، أساس الحكومة الاسلامية، ص ٦٠.

٣٢- المصدر نفسه، ص ١٥٩.

٣٣- النساء: ١٠٥.

٣٤- العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٨ ص ١٥٦.

٣٥- عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٣.

٣٦- عبده، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٩٣.

٣٧- الرضي، نهج البلاغة، رقم النص ٢١٦، ص ٢٣٢.

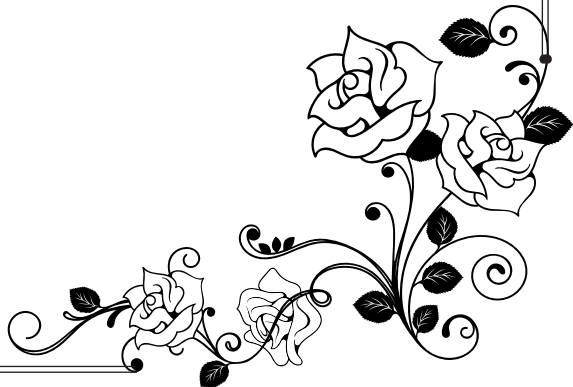
لمحة عن المبادئ الاقتصادية الاجتماعية

من خلال عهد الامام علي (عليه السلام)

الى مالك بن الاشر

م.د. رغد جمال مناف

مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعه بغداد



إن نظرة سريعة عن واحدة من أهم اللوائح والقوانين التي تحدثت بها كتب التاريخ والقانون، لأنها نظمت حقوق الإنسان الاجتماعية والاقتصادية والانسانية، وماله وعليه من حقوق وواجبات، ليضمن له حياة كريمة حرة سعيدة كما ارادها الله تعالى، وطبقها الامام علي (عليه السلام) عندما تولى الخلافة، عمد الى تحقيق العدالة الاجتماعية بكل مقوماتها، ليعيش الانسان حرا كريما، وهي من أهم سمات حكمه التي امتاز به، وهذا مسطر في كتب التاريخ وفي وصاياه التي ذكرها في كتابه نهج البلاغة، ومنها وصيته لعامله مالك بن الاشر، وكيف يطلب منه معاملة الرعية والاحسان اليهم، فقد شرع الامام علي في اتخاذ جملة من الاصلاحات الاجتماعية الاقتصادية، اثناء حكمه في مدينة الكوفة، وهذا ما ستحدث عنه تفصيلا في ثنايا بحثنا. وهذا ما جسده في كتابه العهد الذي عهد به الى واليه على مصر مالك بن الاشر، وضمّنه الخطوط العامة والأمور المفصليّة للحكم وإدارة البلد بما يرضي الله تعالى، ويحفظ حقوق الرعية بمختلف طبقاتها، وخاصة الطبقة التي عانت الكثير من الظلم والماسي في زمن الخليفة عثمان بن عفان، فالأمام علي (عليه السلام) بفكره الثاقب وروحه المحبة والتواقة للعدالة وضع دستور رصين، وقانون متكامل يقضي على الحاكم ان يجعل رعيته نصب عينيه، حتى لا تغرق سفينة حكمه ويؤول امره الى الضياع، كما ان الامام قد فصل في كتاب العهد الدين عن السياسة، وهذا ما تناوله الامام علي (عليه السلام) في رسالة مفصّلة بهذا الخصوص في كتابه نهج البلاغة، وألزم الوالي مالك بن الاشر بتطبيق مضامينها، قائلا: « هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْرِي فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلَاهُ مِصْرَ جَبَايَةَ خَرَجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا»، وستنطرق ايضا الى الاعمال الاقتصادية ثم

نعرج على الاعمال الاجتماعية التي قام بها الامام علي (عليه السلام)، اثناء توليه الحكم الاسلامي، مع اعطاء لمحة تعريفية عن واليه مالك بن الاشر، فاصبح عهد الامام علي (عليه السلام) وثيقة اقتصادية اجتماعية ودستورا لحماية الافراد

١- مضامين عهد الامام علي (عليه السلام) لواليه مالك بن الاشر:

من كتاب له (عليه السلام) كتبه للاشر النخعي لما ولاه على مصر و اعمالها حين اضطرب امر اميرها محمد بن أبي بكر، و هو اطول (عهد) كتبه وجمع فيه كل ما يضمن الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والانسانية فقال الامام (سلام الله عليه):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ « هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْرَفِيِّ عَهْدَهُ إِلَيْهِ حِينَ وُلِّاهُ مِصْرَ جَبَايَةَ خَرَاجِهَا وَ جِهَادَ عَدُوِّهَا وَ اسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَ عِمَارَةَ بِلَادِهَا أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ إِثَارِ طَاعَتِهِ وَ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَ سُنَنِهِ الَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا وَ لَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَ إِضَاعَتِهَا وَ أَنْ يُنْصَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَ يَدِهِ وَ لِسَانِهِ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكْفَلَ بِنْصَرِ مَنْ نَصَرَهُ وَ إِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ وَ أَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَ يَزَعَهَا عِنْدَ الْجُمُوحَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ..... الى آخر العهد الطويل». ^(١) ذكرنا ما طوى عليه عهد الامام علي (عليه السلام) لواليه مالك بن الاشر، وبناء عليه استخرجنا منه المبادئ وسياسية الامام الاقتصادية والاجتماعية لتوفير الرفاهية لابناء امته بمختلف الطوائف والفئات وهذا ما سناتي للحديث عنه في السطور القادمة.

٢- لمحة عن الأعمال الاقتصادية للإمام علي (عليه السلام):

كان ولا يزال الامام علي (عليه السلام) الرائد الاول والمصلح الاجتماعي الذي عنى بالعدالة الاقتصادية والاجتماعية، حتى اصبحت قوانينه مصدرا للتشريع واساسا لتحقيق العدل الاجتماعي، ليضمن للفرد حقوقه الاقتصادية والاجتماعية، فقد تبنى فكرا اجتماعيا ليغطي احتياجات الانسان في حياته، وهذا ما اكد عليه في خطبه ورسائله وأوامره فهي زاخرة بإرشاداته فكان اول عمل بدا به هو تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية وسنبدا بالحديث عن الجانب الاقتصادي لأنه عصب الحياة والدولة.

كانت اولى مهام الامام (عليه السلام) ان يجسد العدالة الاقتصادية بين جميع الناس، وفق الشريعة الاسلامية، فبدا اول خططه الاقتصادية بجملته من الامور وهي منها: الغى السياسة المالية والاجتماعية والادارية التي كان معمولاً بها قبله، فقام باسترجاع الاموال التي تصرف بها بنو امية من بيت مال المسلمين، ومن ثم ابعد الولاة الذين أساءوا التصرف و خالفوا أمر الله تعالى، و تخطوا منهجه الذي وضعه لعباده، طبق سياسة المساواة في توزيع المال، والغى دور الطبقية والتمييز والاثرة، كما قال: « ان المال مال الله، ألا و إن إعطاء المال في غير حقه تبذير و إسراف»^(٢).

وله ايضا قول اخر يحث على تحقيق العدالة الاقتصادية لكل فرد: « ألا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار، و فجروا الأنهار، و ركبوا الخيل، و اتخذوا الوصائف المرققة، إذا منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، و أصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، حرما ابن أبي طالب حقوقنا»^(٣).

كما عامل الامام (عليه السلام) افراد الامة الاسلامية بعدالة لا فرق لديه بين غني او فقير، كلهم متساوون لديه، فبدا بتوزيع الحقوق والمسؤوليات بين الافراد وهذا ما

اكده في احدى خطبه قائلاً : « و الله لأن أبيت على حسك (٤) السعدان (٥) مسهدا، أو اجر في الأغلال مصفدا، أحب إلي من أن ألقى الله و رسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، و غاصبا لشيء من الحطام، و الله لو اعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته، و إن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعي و لنعيم يفنى و لذة لا تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل و قبح الزلل و به نستعين» (٦).

٣- بعض من ملامح افكار الامام علي (عليه السلام)، والتي تتضمن سياسته الاقتصادية :

تبنى الإمام (عليه السلام) نظاما اقتصاديا عادلا، ليضمن لا بنائه الحياة المترفة، فقسم المال بالتساوي، فساوى في العطاء كما فعل الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) من قبله، ليحقق التوازن والعيش المرفه للإنسان، كما الغى اشكال التمييز في توزيع المال على الناس، مؤكدا ان التقوى والسابقة في الاسلام والجهاد، والصحبة للرسول (صلى الله عليه واله) امور لا تمنح اصحابها مراتب او مميزات في الدنيا، وانما لتلك المزايا ثوابها عند الله في الآخرة، ومن كان له قدم في ذلك، فالله تعالى يتولى جزاءه، أما في هذه الدنيا فإن الناس سواسية في الواجبات الحقوق المالية. (٧)

ويلحظ من النص ان الامام (عليه السلام) طبق سياسية المساواة الاقتصادية مؤكدا ذلك في احدى خطبه قائلاً: « ألا وايا رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى أن الفضل له على سواه لصحبته فإن الفضل النيّر غداً عند الله وثوابه وأجره على الله.»، وله قول اخر : « وأيا رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتناً ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده. فأنتم عباد

الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لاحد على احد، وللمتقين عند الله غدا احسن الجزاء وافضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين اجرا ولا ثوابا، وما عند الله خير للابرار..»^(٨).

وذكرت الروايات التاريخية ان عقيل اخو الامام (عليه السلام) من المعترضين على سياسة التسوية في العطاء، عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال: لما ولي علي (عليه السلام) صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: « اما اني والله ما ارزؤكم من فيئكم هذا درهماً ما قام عذق بيثرب، فلتصدقكم انفسكم افتروني مانعا نفسي ومعطيكم قال: فقام اليه اخوه عقيل فقال: فتجعلني واسود في هذه المدينة سواء، فقال: اجلس، ما كان ههنا احد يتكلم غيرك وما فضلك عليه الا بسابقة او تقوى»^(٩).

ويبدو من خلال قرائتنا للنصوص التاريخية التي اشادت بعدالة الامام (سلام الله عليه) الاقتصادية، ليقم مجتمعا عادلا ومتوازنا لا يوجد مكان فيه للإقطاعية او الرأسمالية، او التسليط على رقاب الناس ولا يوجد فيه فقير ومحروم وبائس، وينطبق هذا الامر حتى مع اولاده واخوته وما حادثة اخيه عقيل المشهورة في كتب التاريخ الا دليل ساطع على عدالته، وبموقفه هذا ترك لنا دروسا وعبر تدل على عدالته الاقتصادية بين الرعية.

وجاء ما يؤكد ما ذكرناه عن عدالة الامام (عليه السلام) الاقتصادية فقد قال في احدى خطبه بعد بيعته بالخلافة قائلاً: « خطب امير المؤمنين (عليه السلام) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ايها الناس ان ادم لم يلد عبداً ولا امة، وان الناس كلهم احرار، ولكن الله خول بعضكم بعضا، فمن كان له بلاء فصبر في الخير فلا يمنّ به على الله عز وجل، الا وقد حضر شيء ونحن مسوون فيه بين الاسود والاحمر فقال مروان لطلحة والزبير:

ما اراد بهذا غيركما، قال فأعطى كل واحد من المسلمين ثلاثة دنانير، واعطى رجلا من الانصار ثلاثة دنانير، وجاء بعد غلام اسود، فأعطاه ثلاثة دنانير، فقال الانصاري: يا امير المؤمنين هذا غلام اعتقته بالأمس تجعلني واياہ سواء؟ فقال (عليه السلام): اني نظرت في كتاب الله فلم اجد لولد اسماعيل على ولد اسحاق فضلا»^(١٠)

كان طلحة والزبير اول المعترضين على سياسة التسوية في العطاء، واخذ يعدان العدة لنقض البيعة والتجهز للحرب فتكلما مع الامام (عليه السلام) وحاولا ان يفضلهما في العطاء لانهم لهم الاسبقية في الاسلام وصرح احدهما الخليفة عمر كان يفضلهما في العطاء، ولكن هذا التفضيل لم يكن ليجد مكانه في حكومته (عليه السلام): « روينا عن امير المؤمنين علي (عليه السلام) انه امر عمار بن ياسر وعبيد الله بن ابي رافع و ابا الهيثم بن التيهان ان يقسموا فينا بين المسلمين، وقال لهم: اعدلوا فيه ولا تفضلوا احدا على احد، فحسبوا فوجدوا الذي يصيب كل رجل من المسلمين ثلاثة دنانير، فأعطوا الناس فاقبل اليهم طلحة والزبير، ومع كل واحد منهما ابنه، فدفعوا الى كل واحد منهم ثلاثة دنانير فقال طلحة والزبير: ليس هكذا يعطينا عمر، فهذا منكم او عن امر صاحبكم؟ قالوا: بل هكذا امرنا امير المؤمنين (عليه السلام) فمضيا اليه فوجداه في بعض امواله قائما في الشمس على اجير له يعمل بين يديه، فقالا له: ترى ان ترتفع معنا الى الظل؟ قال: نعم. فقالا له: انا اتينا الى عمالك على قسمة هذا الفيء فأعطوا كل واحد منا مثل ما اعطوا سائر الناس قال: وما تريدان؟ قالوا: ليس كذلك كان يعطينا عمر، قال: فما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعطيكما؟ فسكتا، فقال: اليس كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقسم بالسوية بين المسلمين من غير زيادة؟ قالوا نعم، قال: فسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) اولى بالاتباع ام سنة عمر؟ قالوا: بل سنة رسول الله، ولكن يا امير المؤمنين لنا سابقة وعناء وقرابة، فان رأيت ان لا تسوينا بالناس فافعل، قال: سابقتكما

اسبق ام سابقتي؟ قالاً: سابقتك، قال: فقرابتكما أقرب أم قرابتي؟ قالاً: قرابتك، قال: فعناؤكما اعظم ام عنائي؟ قالاً: بل انت يا امير المؤمنين اعظم عناء، قال: فو الله ما انا واجيري هذا واوما بيده الى الاجير الذي بين يديه في هذا المال الا بمنزلة واحدة، قالاً: جئنا لهذا وغيره، قال: وما غير؟ قالاً: اردنا العمرة فأذن لنا، قال: انطلقا فمما العمرة تريدان، ولقد أنبتت بأمركما ورأيت مضاجعكما، فمضيا وهو يتلو وهما يسمعان» فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا. (١١)

سعى الامام (عليه السلام) الى تأسيس نظام مالي له اسس وقواعد مغايرة عما عمل بها في زمن الخليفة عثمان بن عفان، فكان من ضمن الاعمال التي قام بها الامام (سلام الله عليه) محاسبة المفسدين الذين نهبوا اموال المسلمين بغير حق، فاصدر اوامره بجمع الاموال المسروقة والمختلسة من بيت المال واعادتها الى خزينة الدولة، فقد تميزت سياسة امير المؤمنين بالعدالة والصرامة وعدم المداهنة مع اي طرف مهما علا شأنه او قرب نسبه، فقد كان جل اهتمامه بشريحة الفقراء والمساكين واهل الحاجة، مما جعل منهجه في السياسة الاقتصادية يعتمد مبدا توزيع الاموال بصورة عادلة وسريعة على مستحقيها فوجه اهتمامه الى اعمار الاراضي لاستيعاب العاطلين عن العمل وزيادة الانتاجية الغذائية لسد حاجة المجتمع، وهذا هو ما اكد امير المؤمنين لملك الاشر ضرورية اصلاح الارض قبل اخذ الخراج منها حيث قال له: « لِيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أُخْرِبَ الْبِلَادَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ. (١٢)

نلاحظ من خلال النصوص المذكورة اعلاه ان سياسة الامام علي (عليه السلام) الاقتصادية عادلة في توزيع المال خلقت له مشاكلا سياسية واجتماعية واقتصادية مع جيشه الذي تحاذل جيشه وتوجهه صوب معاوية وتنكر له الاعيان من البلاد وقاطعته

قبائل قريش الاقطاعية، مما دعا ابن عباس الى توجيه النصح الى الامام وعرض عليه حالة جيشه فقال: يا امير المؤمنين، فضّل العرب على العجم، وفضل قريشا على سائر العرب، فنظر له الامام بطرف عينه فقال: « تأمروني ان اطلب النصر بالجور، لا والله ما افعل ما طلعت شمس ولا ح في السماء نجم، والله لو كان ما لهم لي لو اسيت بينهم، فكيف وانما من اموالهم. » (١٣)

ويبدو من النص ان الامام (سلام الله عليه) يهدف الى تطبيق مبدا العدالة الاقتصادية، وضمان حقوق الافراد بغض النظر عن دينه فهم جميعا لديه متساوون في الحقوق والواجبات.

وعرف الامام (عليه السلام) بشدة زهده وحرصه الشديد على توفير الرفاه الاقتصادي للأمة التي اضطلع بقيادتها، فكان يقسم الذهب و الفضة بين الناس، ويطعمهم اللحم و الخبز^(١٤) - و يعمل كل ما في وسعه لرفع غائلة الفقر عنهم، و كان بيت المال لا يكاد ترد إليه الأموال حتى يبادر الإمام (عليه السلام)، إلى توزيعها على الناس بالتساوي، لإعطاء كل ذي حق حقه، متبعا منهجا عادلا في توزيع الاموال، فهذا هو يخاطب الزبير و طلحة حينما كبر عليهما منهاج المساواة في العطاء، حيث قال: « فو الله ما أنا و أجيري هذا إلا بمنزلة واحدة » (١٥).

وفي حادثة اخرى فقد جاءه عاصم بن ميثم، و كان الإمام (عليه السلام) يقسم اموالا فقال:

« يا امير المؤمنين ني شيخ مثقل فقال الامام (عليه السلام): « و الله ما هو بكدي و لا بترائي عن والدي، و لكنها أمانة أوعيتها » (١٦).

نستنتج من النص ان الامام (سلام الله عليه) يرى هذه الاموال، امانة في رقبته لا

يمكنه التصرف بها، الا حسب ما جاء به الاسلام، لينال رضا الله تعالى، ويرفع المستوى المعاشي للإنسان، فيكون مجتمعاً متكاملًا يكفل العيش للجميع، وهذه المسال فيها بعد نظر كبير، لان الامام اتراد تحقيق عدالة اجتماعية للجميع في ظل حكومته.

وفي احدى الروايات التي تبرز عدالة الامام وسعيه الدؤب لتحقيق العدالة بين ابناء رعيته، بغض النظر عن صلة القرابه، «فقد جاءه عبد الله بن زمعة وهو من شيعته يطلب منه مالا فقال له الامام (عليه السلام): « إن هذا المال ليس لي ولا لك، وانما فيء للمسلمين وجلب أسيافهم فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، الا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم»^(١٧)

ويلحظ اصرار الامام (سلام الله عليه) على تحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية، ايا كان الشخص فقد ذكرت احدى الروايات «انه قد جاءه عمرو بن العاص ليلة وهو في بيت المال يتولى بعض شؤون المسلمين، « فأطفا الامام (عليه السلام) السراج وجلس في ضوء القمر، فالسراج ملك الامة، فلا يصح أن يستضيء به ابن العاص، وهو في زيارة خاصة للإمام (عليه السلام)». ^(١٨)

ونستدل من هذه الحادثة حرص الامام على أموال الامة، و عمله الدائب من اجل مصلحتها مصلحتها، وإسعادها و هدايتها و اصلاح شأنها، فهو يعلمنا كيفية الحفاظ على الحق العام دون الخاص، ويهدينا الى فكر اقتصادي عادل.

ولم يكتف الامام (سلام الله عليه) بتعديل النظام الاقتصادي فبدا باسرداد الاموال التي تدفقت على فئة من الناس من غير حق، ومراقبة طرق جبايتها، وكيفية توزيعها فئات الامة، كما شدد على مراقبة ولاته في الامصار، ويحيط علما بتصرفاتهم وممارساتهم، ومن هنا تجد الكثير من النصوص التي يوجه فيها الامام (عليه السلام)، واليا او جابيا للمال

باستعمال الطريقة المثلى في عمله المناط به، في حين نلاحظ نصوصاً يوبخ فيها الامام (عليه السلام)، ذلك الوالي او يستدعيه للحساب او يعزله عن منصبه لخيانة الامانة التي انيطت به (١٩).

وتستمر عدالة الامام الاقتصادية فيتفقد بنفسه الاسواق من ناحية المكايل و المعروض من السلع و طبيعة المعاملات فيها، ويرشد الضال، ويهدي المقصر الى طريق الحق، و يامر بكل معروف، و ينهى عن كل منكر (٢٠)، و من لك فيه هوى من رعيته، فإنك ألا تفعل تظلم، و من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده (٢١).

وبالنظر للأهمية البالغة التي تمثلها جباية الاموال في الدولة الاسلامية، باعتبارها عنصراً هاماً من عناصر الاقتصاد الاسلامي، ليضمن حقوق الافراد في املاك الدولة، فأولى عناية فائقة بطرق جباية الاموال، وحرص على أن يلتزم موظفوها بأقصى درجات العدل والفضيلة والنبيل، والشعور بالمسؤولية فليست مهمتهم فقط جمع المال من اجل المال، وإنما ينبغي عليهم ان يلتزموا الحق في تعاملهم مع الافراد، ليعكسوا عدالة الإسلام، فلا ينبغي ان يغضبوا احداً من الناس، ولا يسيئوا معاملة احد، ولا يضر بوا انساناً من اجل درهم، ولا يجوز ان يعتدوا على مال امرئ من المسلمين او من غيرهم ممن يتمتع بحق التبعية للدولة الاسلامية (٢٢).

عمد الامام (عليه السلام) الى تنظيم الحياة الاقتصادية للافراد، وذلك عن طريق تنظيم مستوى معاشي جيد، فعزم على التزام خطة لمراقبة السوق، من ناحية البيع والشراء، وطبيعة ما يعرض للبيع، للحيلولة دون التطفيف في المكايل والتلاعب بالأسعار أو الغش، فعن الامام الباقر (عليه السلام) قال: « كان امير المؤمنين (عليه السلام) كل بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً، ومعه الدرّة على عاتقه، وكان لها طرفان، وكانت تسمى السبيبة، فيقف على سوق فينادي: يا معشر التجار قدموا الاستخارة،

وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المتاعين، وتزينوا بالحلم، وتناهوا عن الكذب، واليمين، وتجاؤوا عن الظلم، وانصفوا المظلومين ولا تقربوا الربا (٢٩)، مستندا في عمله هذا الى الآية القرآنية « وأوفوا المكيال والميزان بالقسط، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين » (٢٣).

كان الامام (عليه السلام) يحرص بشدة لرفع غائلة الفقر والظلم عن الامة، فاتبع منهجا معيناً اثناء فترة خلافته كالآتي: «.. ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جسعي الى تخير الاطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشعب أو أبيت مبطاناً، وحوالي بطون غرثي، وأكباد حري؟ أأفقع من نفسي بأن يقال هذا: أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟» (٢٤).

٤. الجانب الاجتماعي:

إذا كانت جميع جوانب الدولة الإسلامية قد تناولتها يد الاصلاح لتحقيق الرفاهية والسعادة، للإنسان، فإن الإمام (عليه السلام) قد خطا في سبيل تحقيق أفضل صورة للعدالة الاجتماعية وفقاً للتصورات الإسلامية، فقد شهد المجتمع الإسلامي بجميع قطاعاته وقواه عدالة رائدة كالتي شهدها أيام رسول الله (صلى الله عليه وآله) في منطلقاتها وأبعادها. وفيما يلي شواهد من تلك التجربة التاريخية المشعة التي تفيأت الأمة ظلها، فقد شهدت قطاعات الأمة الاسلامية في عهد الامام صورا رائعة في كيفية التعامل مع الرعاية بالرفق واللين، مع رعاية شؤونها، والمساواة في العطاء بين جميع افرادها من خلال النصوص ذكرها الامام في كتابه نهج البلاغة: «المال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل لأحد على أحد»، وقال ايضا: « وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودان

الظالم بخزائمه حتى أوردته منهل الحق وإن كان كارهاً» (٢٥).

ويبدو من النص ان الامام قاده الامة الاسلامية الى تدبير شؤونها، ورعاية امورها، ليحقق لها السعادة، في رواية تاريخية عن الحكم حيث قال: « شهدت علياً، وأتى له بزقاق من عسل، فدعا اليتامى وقال: ذوقوا، والعقوا، حتى تمنيت أني يتيم، فقسمه بين الناس وبقي منه زق، فأمر أن يسقاه أهل المسجد» (٢٦).

وفي رواية اخرى قال: انطلقت مع غلام علي (عليه السلام)، اسمه قنبر فإذا هو يقول: قم يا أمير المؤمنين فقد خبات لك خبيثاً قال (عليه السلام): وما هو، ويحك!! قال: قم معي..، فقام فانطلق به الى بيته، واذا بغرارة مملوءة من جامات ذهباً وفضة، فقال: يا أمير المؤمنين، رايتك لا تترك شيئاً الا قسمته فادخرت لك هذا من بيت المال، فقال علي (عليه السلام): ويحك يا قنبر، لقد أحببت أن تدخل بيتي نارا عظيمة ثم سلّ سيفه، وضربها ضربات كثيرة، فانتثرت.. ثم دعا بالناس، فقال: اقساموه بالخصص، ثم قام الى بيت المال، فقسم ما وجد فيه، ثم رأى في البيت ابرا ومسال فقال: ولتقسموا هذا..» (٢٧).

ويلحظ من النص ان الامام يدعو الى العدالة الاجتماعية بين افرادها، بالتساوي في الحقوق والواجبات، وكان يهدف الى ايجاد قوانين اجتماعية تهدف الى حرية الفرد ليعيش حراً كريماً.

وفي رواية اخرى عن الحكم قال: إن علياً قسم فيهم الرمان حتى أصاب مسجدهم سبع رمانات، وقال: أيها الناس أنه يأتينا أشياء نستكثرها إذا رأيناها، ونستقلها إذا قسمناها، وإننا قد قسمنا كل شيء أنانا، قال: وأنته صفائح فضة فكسرها، وقسمها بيننا، كما عين الامام (عليه السلام) عامر بن النباح مؤذنه امينا لبيت المال في الكوفة، فجاءه

الى علي بن ابي طالب (عليه السلام) فقال: يا امير المؤمنين امتلا بيت المال من صفراء وبيضاء، فقال علي: الله أكبر، ثم قام متوكئا على يد ابن التياح، فدخل بيت المال وهو يقول: « هذا جنائي وخياره فيه وكل جان يده الى فيه، ثم نودي في الناس، فأعطى علي، جميع ما في بيت المال وهو يقول: « يا بيضاء، ويا صفراء، غري غيري حتى لم يبق فيه درهم ولا دينار، ثم أمر بتنظيفه، فصلى فيه ركعتين (عليه السلام)»^(٢٨).

ويدل النص على الشدة في الزهد، والرغبة الشديدة في تحقيق المساواة الاجتماعية والاقتصادية بين افراد الامة جميعا.

في احدى الروايات عن ابي النوار ذكر ان: رأيت عليا (عليه السلام) وقف على خياط فقال له: « يا خياط صلب الخيط، ودقق الدرز، وقارب الغرز، فاني سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله) يقول «يؤتى يوم القيامة بالخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاطه، وخان فيه، فيفتضح على رؤوس الأشهاد»، ثم قال: « يا خياط إياك والفضلات والسقطات فإن صاحب الثوب أحق بها...»^(٢٩).

ذكرت الرويات التاريخية حادثة عن عدالة الامام (سلام الله عليه) الاجتماعية، ورد انه (عليه السلام) مر بشيخ نصراني كبير مكفوف البصر يسأل الناس الصدقة فقال امير المؤمنين (عليه السلام): ما هذا؟ قالوا: نصراني، فقال (عليه السلام): استعملتموه حتى اذا كبر وعجز منعموه؟ انفقوا عليه من بيت المال.^(٣٠)

نلاحظ من لهجة الامام (عليه السلام) (ما هذا)، تدلنا على شدة امتعاض الامام وغضبه من تلك الصورة التي راي بها ذلك الشيخ النصراني، فامر الامام بان يخصصوا له مرتبا ثابتا من بيت مال المسلمين، ليصونوا كرامة الشيخ النصراني، فلم ينظر (عليه السلام) الى دين ذلك الرجل، او معتقده، او مذهبه، او بل نظر الى انسانيته، فهو انسان

يعيش في دولة الاسلام يحق له ان تصان كرامته وتحفظ حرمة وهو في اخر ايامه.

حتى ان الامين العام للامم المتحدة اقتبس في تقريره الدولي مقاطع من وصايا امير المؤمنين (عليه السلام) لعامله على مصر مالك الاشر، التي يؤكد فيها على استصلاح الاراضي والتنمية ويقول: « وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً. »^(٣١)

ولابد من الاشارة الى ان عهد الامام (عليه السلام) الى واليه مالك ابن الاشر قد انطوى على أفكار اجتماعية غاية في الاهمية، فقد تناول الامام (عليه السلام) تركيبة المجتمع، والقوى المؤثرة، فقد ركز الامام (عليه السلام) على اهمية الزراعة والتجارة، ودور والقضاة والولاء والجنود في بناء المجتمع، مع تحديد كيفية التعامل مع تلك الفئة الهامة في المجتمع، وحدد مسؤوليات الدولة تجاه كل واحدة من تلك الفئة الفاعلة في الحياة العامة، ولم ينس حتى فئة اليتامى وكبار السن، ليضمن لهم كل المستلزمات الحياتية.^(٣٢)

الهوامش

- ١- ابن ابو طالب، علي، نهج البلاغة، شرح وضبط نصوصه، محمد عبده، تبويب صبحي الصالح، الدار الاسلامية، بيروت، (د=ت)، ج ١، ص ٢٤٧.
- ٢- ابن ابو طالب، نهج البلاغة، ج ١، ص ١٢٦.
- ٣- ابن ابو طالب، نهج البلاغة، شرح محمد عبده، مكتبة المثنى، بغداد، (د-ت)، ج ١، ص ١٢٦.
- ٤- الحسك: نبات له ثمرة خشنة تعلق باصواف الغنم، ينظر: ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين بن محمد بن محمد بن مكرم الافريقي المصري، (ت ٥٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠، ج ١٠، ص ٤١١.
- ٥- السعدان: الشجر الشائك، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ١٤٥.
- ٦- ابن ابي طالب، نهج البلاغة، ج ١، ص ١٢٥.
- ٧- الانصاري، محمد علي، اهل البيت امامتهم، حياتهم، ط ١، مجمع الفكر الاسلامي، قم، ١٤٢٤هـ، ص ٢٣٥-٢٣٨.
- ٨- الحليلي، جواد جعفر، امير المومنين علي ابن ابي طالب، ط ٢، مطبعة الارشاد، بيروت، ٢٠٠١، ق ١، ص ١٢-١٩.
- ٩- للمزيد من التفاصيل ينظر: البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر بن داود الطائي، (ت ٢٧٩هـ)، انساب الاشراف، تح: احسان عباس، جمعية المستشرقين الالمانية، بيروت، ١٩٧٩، ج ٢، ص ١٣٦. الانصاري، اهل البيت، ص ٢٣٨-٢٤٠.
- ١٠- ابن ابي طالب، نهج البلاغة، ج ١، ص ١٩٨-١٩٩.
- ١١- سورة الفتح، اية ٤٨.

- ١٢- جرادق، جورج، روائع نهج البلاغة، ط ٢، مركز الغدير للدراسات
الاسلامية، (د-م)، ١٩٩٧، ص ١٦٣.
- ١٣- الحليلي، امير المومنين، ق ١، ص ١٤-١٩.
- ١٤- ابن شهر اشوب، محمد المازندراني، مناقب ال ابن ابي طالب، تح: يوسف البقاعي،
دار الاضواء، لبنان، (د-م)، ج ٢، ص ٩٧.
- ١٥- ابن شهر اشوب، نفس المصدر، ج ٢، ص ٩٧-٩٨.
- ١٦- ابن ابي طالب، نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٦٩.
- ١٧- المجلسي، حسين بن محمد تقي، بحار الانوار، دار المحصورة، الهند، ١٢٩٧هـ،
ج ٤، ص ٣٣٠.
- ١٨- ابن ابي طالب، نهج البلاغة، ج ١، ص ١٣٦؛ ابن شهر اشوب، المناقب، ج ٢،
ص ١١١.
- ١٩- ابن ابي طالب، نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٣٢؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١، ص ١١٥.
- ٢٠- ابن ابي طالب، نهج البلاغة، ج ١، ص ١٣١ و ص ٢٠٠؛ ابن شهر اشوب، المناقب،
ج ٢، ص ١١٠.
- ٢١- ابن ابي طالب، نهج البلاغة، ج ١، ص ٤١٢.
- ٢٢- جرداق، روائع نهج، ص ١٦٣.
- ٢٣- سورة هود، اية ٨٤-٨٦.
- ٢٤- الانصاري، اهل البيت، ص ٢٣٨-٢٤٠.
- ٢٥- ابن ابي طالب، نهج البلاغة، ج ١، ص ١٩٨-١٩٩.
- ٢٦- سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر بن فرغلي بن عبد الله البغدادي ابي
الفرج عبد الرحمن، ت (٥٦٥٤هـ)، تذكرة خواص الامة، ط ١، دار العلوم، بيروت،

٢٠٠٤، ص ١١٧-١١٨.

٢٧- ابن ابي طالب، نهج البلاغة، ج ١، ص ٤١٨؛ القمي، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، ت (٥٣٨١هـ)، امالي الصدوق، تقديم: حسين الاعلي، منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٨- القمي، المصدر نفسه، ص ١٣٥-١٣٦؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١، ص ١٠٤. د-ت)، ص ١٣٤.

٢٩- الانصاري، اهل البيت، ٢١٤-٢١٥.

٣٠- الاديب، عادل، دوراتمة اهل البيت في الحياة السياسية، دار المعارف، لبنان، (د-ت)، ص ٤٥.

٣١- ابن ابي طالب، نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٩١.

٣٢- ابن ابي طالب، نهج البلاغة، ج ٢، ص ٣٦-٣٧.

قائمة المصادر

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر بن داود الطائي، (ت ٢٧٩هـ)، انساب الاشراف، تح: احسان عباس، جمعية المستشرقين الالمانية، بيروت، ١٩٧٩.
- ٣- سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر بن فرغلي بن عبد الله البغدادي ابي الفرج عبد الرحمن، (ت ٦٥٤هـ)، تذكرة خواص الامة، ط ١، دار العلوم، بيروت، ٢٠٠٤.
- ٤- ابن شهر اشوب، محمد المازندراني، مناقب ال ابن ابي طالب، تح: يوسف البقاعي، دار الاضواء، لبنان، (د-م).
- ٥- ابن ابو طالب، علي، نهج البلاغة، شرح وضبط نصوصه، محمد عبده، تبويب صبحي الصالح، الدار الاسلامية، بيروت، (د=ت).
- ابن ابو طالب، نهج البلاغة، شرح محمد عبده، مكتبة المثنى، بغداد، (د-ت).
- ٦- القمي، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابوية، (ت ٣٨١هـ)، امالي الصدوق، تقديم: حسين الاعلي، منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت، (د-ت).
- ٧- المجلسي، حسين بن محمد تقي، بحار الانوار، دار المحصورة، الهند، ١٢٩٧هـ.
- ٨- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم الافريقي المصري، (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠.
- ٩- النسائي، ابو عبد الرحمن بن شعيب، (ت ٣٠٣)، خصائص امير المومنين علي بن ابي طالب، تح: احمد ميرين البلوشي، ط ١، مطبعة الفيصل، مكتبة المعلا، الكويت، ١٩٨٦.

المراجع

- ١- الاديب، عادل، دور ائمة اهل البيت في الحياة السياسية، دار المعارف، لبنان، (د-ت).
- ٢- جرادق، جورج، روائع نهج البلاغة، ط ٢، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، (د-م)، ١٩٩٧.
- ٣- الانصاري، محمد علي، اهل البيت امامتهم، حياتهم، ط ١، مجمع الفكر الاسلامي، قم، ١٤٢٤هـ.
- ٤- الحليلي، جواد جعفر، امير المومنين علي ابن ابي طالب، ط ٢، مطبعة الارشاد، بيروت، (د-ت).

مفردات بناء الدولة

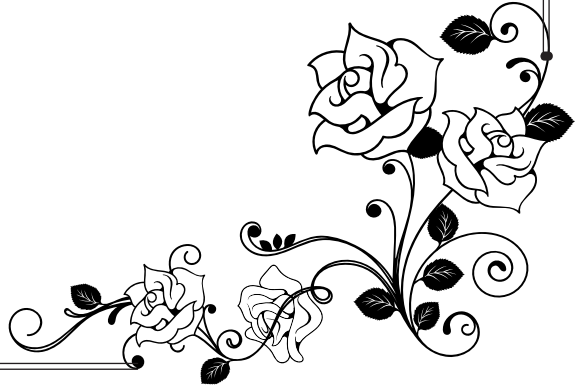
في فكر أمير المؤمنين علي عليه السلام
عهدده الى مالك الأشتر (رضي الله عنه) انموذجا

أ.م.د عبدالحسين العُمري

كلية الآداب / جامعة ذي قار

أ.م.د إحسان التميمي

كلية التربية ابن رشد / جامعة بغداد



ملخص

في تاريخ الأمم والشعوب، يبرز قادة عظام يضعون لها أساسات بنائها بشكل علمي صحيح، دون النظر إلى مصالحهم الخاصة، أو ما يمكن أن يحصلوا عليه من منافع ومغانم، هم وأتباعهم، مستنيرين بفلسفة التخطيط الاستراتيجي التي يؤمنون بها، ناظرين إلى الأهداف البعيدة التي يمكن أن تنتج عن هذا التخطيط؛ لأن التأسيس بشكل علمي سيشكل ركناً هاماً من أركان التطور الحضاري وإقامة العدالة في الأرض، بل هو الركن الأهم في ذلك.

ويأتي هذا البحث لاستقراء ذلك في فكر أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه واضحاً أسس الدولة الحديثة وقد سبق زمنه في هذا المضمار، حتى غدت آراؤه تتماشى مع أحدث النظم السياسية والإدارية التي وصل إليها العالم المتقدم.

توطئة

مفهوم الدولة المتحضرة أو ما يُصطلح عليه بالدولة الحديثة في وقتنا الحاضر، يعد من المفاهيم ذات الأبعاد المختلفة؛ لأن ذلك ينبني في وجوده على أكثر من ركن هام، يتجاوز في ذلك الأطر العامة إلى المفصليات الدقيقة في حياة المجتمعات البشرية التي تقوم عليها، منها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية... الخ؛ إذ إن ذلك من شأنه تقويض وجودها، إذا ما حصلت أية انتكاسة في طبيعة بناء الدولة من جهة تلك المفصليات في وجود الدولة، بل ربما تسحبها تلك الانتكاسة أو الانتكاسات في تنفيذ تلك المفردات إلى التدمير الذاتي، إذا ما حصلت من دون فهم لحركية بناء الدولة وديمومة وجودها على وفق المفهوم القرآني ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(١).

ولابد هنا من تعريف للدولة التي يرى بعض الباحثين أنها (منظمة الجماعة التي تعتبر وظيفتها الاحتفاظ بالإمكانات الخارجية الضرورية لحياة أفضل يمكن للإنسان أن يجيها)^(٢)، وبالمقابل (نحن مدينون لها بالولاء على أساس أنه عندما نطيع أوامرها فنحن في الواقع نطيع هيئة من الهيئات وظيفتها نشر الرخاء الذي ينطوي عليه رخاؤنا الشخصي)^(٣)، لذلك تعد الدولة هي (قمة الوعي المعرفي والأخلاقي والاجتماعي والسياسي السائد في المجتمع... فهي بنية فوقية لبنية تحتية)^(٤) تستمد شرعية وجودها من وجود تلك البنية التحتية التي تمثل أساس وجودها وكيانيتها.

ومن هنا تتصف فكرة بناء الدولة بأنها من العمق بدرجة تحتاج إلى عقود متطاولة للوصول إلى الشكل المثالي الممكن للدولة، ولعل خير مثال على ذلك، الدول الغربية التي احتاجت إلى عشرات القرون من حيث الزمن، وإلى أنهار من الدماء لكي تستقر على

وضعها الحالي من حيث السياسة والاقتصاد والثقافة والفكر والتحضر العلمي والتطور التقني ؛ لأن استقرار النظام السياسي الذي يتسم بالعدالة والانصاف، ينعكس إيجاباً على حالة المجتمع علمياً وثقافياً واقتصادياً.

ولعل المستقرى حياة الدولة الاسلامية الاولى، وتحديدًا منذ بدء نشوئها وحتى خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، يجد أنها لم تكن بتلك السمات التي من الممكن توافرها في دولة أصبحت تسيطر على أجزاء واسعة من الكرة الأرضية، بل إنها كانت تسيّر أمورها بشكل قريب من الدولة القبلية منها إلى الدولة المدنية ؛ إذ إنها لم تكن قد هضمت تصورات الدين الجديد عن مفهوم الدولة المدنية التي يريدها الإسلام من حيث حفظ الحقوق والحريات العامة والخاصة والعدالة والاعتماد على مبدأ الكفاءة بالإضافة إلى شيوع المساواة بين أفرادها، لتعيد انتاجها بشكل يتواءم وتحولات عصرها، أي لتجعل القوانين والتعليمات وسواها إلى مؤسسات تقود الدولة بما يجعلها دولة حقيقية، دون النظر إلى من هو الحاكم أو الشخص الذي يقود السلطة.

إلا أن عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه) يعكس رؤية جديدة عن مفهوم الدولة وطبيعتها وكيفية بنائها، تماثل أحدث النظريات الفكرية في بناء الدولة الحقيقية القائمة على المرتكزات المعنوية المتمثلة بالعلاقة الانسانية التي يجب توافرها بين الحاكم والمحكوم، فضلاً عن مرتكزاتها المادية التي تعدّ هي قوام الدولة بطبيعة الحال، ولبيان ذلك ؛ لا بد من تقسيم ذلك إلى جزأين هما :

-المقومات الروحية والمعنوية.

-المقومات الفنية والمادية.

أولاً- المقومات الروحية والمعنوية الذاتية

يختزل عهد الإمام (عليه السلام) إلى مالك الأشتر تلك العلاقة إلى مجموعة هامة من المقومات ذات البعد العقلي والروحي والنفسي هي:

١- التقوى والايثار والاتباع : حدد ذلك بقوله (عليه السلام) (أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ).

يبني الإمام (عليه السلام) فكرته بصيغة الفعل الطلبي الحازم، لتنتقل من الذات إلى الفضاء الأخلاقي المهيمن على كينونة العلاقة بين الحاكم والمحكوم، فأول ما يأمر به عامله مالك الأشتر (رضي الله عنه) هو (التقوى والايثار والاتباع) ؛ لأن ذلك سيكون أساساً مكيناً يمكن البناء عليه فيما بعد، فالتقوى ابتداءً هي التي تعطي دافعاً للسلوك الايثاري، والايثار هو الذي يدفع بالفرد إلى اتباع الفكرة الصحيحة وشخصها الفاعلة، وهي بالنتيجة تؤدي إلى فناء الذات من أجل الآخر (المثال) الذي يكون ترجمة لمفهوم العشق الرباني أو الحب الذي قالت به الآية الكريمة ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ... ﴾^(٥)، مما يعني أن اتباع المثال أو القدوة سيكون سبباً في الوصول إلى الرضا والحب، وهي فضيلة نفسانية تصدر عن تلك الحياة^(٦)، وبذلك يؤسس الإمام (عليه السلام) لمفهوم الترفع عن الصغائر الدنيوية الناتجة عن السلطة من خلال اتصاف الحاكم بالتقوى والايثار واتباع قدوته المثال التي يعني بها نفسه ؛ إذ لا يمكن أن تكون التقوى تالية للفعل السلطوي، فشهوة السلطة ومفاتها ومعطياتها ستكون دافعاً قوياً إلى الظلم والعصيان وسلب الناس حقوقهم.

وبذلك حدد الإمام (عليه السلام) فيما بعد نتيجة التقوى الذاتية التي تفتح باتجاه المجتمع سلوكياً لاسيما أنها ستعطي الانطباع الحقيقي لدى أفراد المجتمع تجاه الحاكم ومدى صدقيته في التعامل معهم، وهذه النتيجة هي السعادة والرضا عن الذات من خلال اتباع الفرائض والسنن الالهية التي تتجسد في المثال والقدوة، فالرضا عن الذات لن يكون حقيقياً ما لم يكن نابعاً عن الضمير الحي والاستشعار الحقيقي لمعاناة الآخر (المحكوم) والسعي في قضاء حوائجه وتلبية متطلباته، ومرادة المثال في سلوكه الناصح حينما يحدده الإمام (عليه السلام) بقوله (أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا، يَفْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ. أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمْرِيهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ)، وهذا المثال أو القدوة هو نقطة الهدف السلوكي إلى مرضاة الله والسعادة التي حددها النص آنفاً.

ثم يردف بجملة طلبية أخرى، كأنها فيها تنمة المعن الذي بدأ به النص / العهد، هو قوله (... وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ...)، وهو يأمره بالرياضة النفسية التي تفضي إلى فهم حركة الحياة بشكلها الحقيقي، من خلال استعماله للفعل (يكسر) الذي يعني هنا القطيعة التامة مع غرائز النفس وشهواتها، وأعقب ذلك بمنعها لحظة جماحها.

٢- قراءة التاريخ واستنطاقه: تعد مهمة قراءة التاريخ السياسي للدولة من قبل الحاكم الجديد مهمة غاية في الدقة التشخيصية لعلل الفساد والانحيار الذي ينتاب المجتمعات ؛ لأن فهم التاريخ وحركته بشكل صحيح سيحوّل بوصلة الفكرة السياسية من الظلم إلى العدالة ومن القسوة إلى الرحمة ومن الاستبداد إلى الحرية، بما يجعل وظيفة التاريخ حاضرة بكل تفاصيله أمام قيادة الدولة لتجعل منها دروساً في سياسة المجتمع ؛ إذ إن (التاريخ علم حركة الانسان من خلال محيطه في الزمان)

(٧) أو هو (حركة الكائن في الزمان والمكان)^(٨)، فالتاريخ مليء بالعبر والعظات التي تنبئ عن ما جرى سابقاً، وهو ما أراده بقوله (ثُمَّ أَعْلَمَ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُورٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرِ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ هُتَمَ عَلَى أَلْسِنِ عِبَادِهِ. فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَاْمَلِكْ هَوَاكَ، وَشَحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْأَنْصَافُ مِنْهَا فَيَمَا أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ)، في هذه الجزئية من العهد، أراد الإمام (عليه السلام) أن يتخذ من حركة التاريخ ليس فقط جانباً وعظيماً بل اتخذ أيضاً منه منهجاً للنقد السياسي المبطن والموجه، والتربية السياسية والتوجيه الحضاري للفرد / الوالي، وللمجتمع / الرعية، وعلى هذا الأساس جرى التشخيص من قبل الإمام علي (عليه السلام) للذين سلفوا من الحاكمين والسلطين والولاة والأمراء الذين مروا على البلاد؛ لأنهم لم يكونوا على مقياس واحد أو على نمط محدد.

٣- الرحمة والمحبة للرعية واللفظ بهم: لأن الدولة تتجسد في شخص أو مجموعة أشخاص فهي تتزامن بين الفرد والمجتمع؛ إذ تتداخل هذه المفاهيم فيما بينها الفرد-المجتمع-الدولة، فهذا يعني تساؤلاً عن الوظائف غير المادية التي تمارسها الدولة مع أفرادها، ولعل الرحمة لهم وبهم والعطف عليهم واللفظ بهم وعليهم من تلك الوظائف التي من الواجب ممارستها مع الأفراد، وعليه أمر الإمام علي (عليه السلام) عامله مالكاً بذلك حينما قال له (وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلْلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلْلُ، يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالخَطَا، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ

أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ! وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ، فاستشعار الرحمة من قبل الوالي للرعية وإظهار اللطف بهم يجعلهم يجدون الأمن والأمان من قبل هذا الوالي، وبالنتيجة من قبل الدولة التي يمثلها الوالي بشخصه المعنوي.

إن البعد الأخلاقي في كلمات الإمام (عليه السلام) واضح للعيان، فالأخلاق هي التي يجب أن تحكم الوعي والسلوك لدى الوالي، فالدولة ممثلة بشخص الوالي لا يمكن أن تتخذ العنف وسيلة تجاه المواطنين، بل عليها أن تمارس معهم أقصى درجات المحبة واللطف بهم.

٤- تواضع الوالي ووعيه بذلك: كثيراً ما يحدث للوالي أو السلطان أن يشمخ على المجتمع، وأن يمارس سلطته بتكبر عارم حينما يستغل سلطته وقوته في سبيل ذلك، وهو بهذا السلوك الفجح يؤسس لهوة واسعة بينه وبين المجتمع، وقد راعى الإمام علي (عليه السلام) في عهده إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه) موضوع البحث، ما سماه بعض الباحثين الغربيين المعاصرين بثلاثية سياسة الدولة التي تقوم على (الفردانية، المساواتية، وما بعد المادية)^(٩) التي تترابط فيما بينها لتؤسس مجتمعاً منسجماً مع ذاته، ففي حين تكون الرحمة واللطف بالرعية هي من القيم ما بعد المادية، تكون المساواة والانصاف للمجتمع تقع تحت مفهوم المساواتية، كذلك يقع التواضع والنظر إلى الذات على أنها جزء من منظومة كونية يهيمن عليها الله تعالى، كل ذلك يقع تحت مفهوم الفردانية التي لا يقصد منها السلطوية بقدر ما يقصد منها إقامة القانون واجراء العدالة بين الأفراد، وهو ما قصده الإمام علي (عليه السلام) بقوله في عهده إلى مالك (وَإِذَا أَحَدَّثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُمَّهَةً أَوْ حِيَلَةً، فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشْبُهَ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.

أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَىٌّ مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلا تَفْعَلْ تَظْلِمُ... (١)، لأن الأخلاق لا بد لها من عمل تطبيقي يجعلها منظورة للمجتمع، ولا بد أن تكون الأخلاق مقرونة بالمعرفة، وهو ما أراده الإمام (عليه السلام) بقوله (وَلِيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنْ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ)، لأن عمومية العدل والبحث عن رضا الرعية الجمعي، ينتمي إلى دائرة الأخلاق التي يتم من خلالها ترجمة مفهوم الإرادة الإلهية والإيمان به بعيداً عن الصورة الإسلامية الدينية التقليدية، وهو ما أشار إليه الإمام (عليه السلام) في مكان آخر حينما قال في عهد لمالك (وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ)؛ ولأن (الإيمان هو عبارة عن التصديق اليقيني بالوجود الغيبي للإله عن طريق القلب)^(١٠)، فهذا يعني أن الأخلاق هي عملية رسم طريق الحياة الطيبة للبشر بغض النظر عن مرجعياتهم أو منطلقاتهم الفكرية أو الدينية، وهو ما أوضحه أمير المؤمنين (عليه السلام) بصراحة عالية.

ثانياً- المقومات الفنية والمادية

تعد المقومات المادية والفنية أحد أركان بناء الدولة الهامة التي لا تقوم ديمومة الدولة الا بها، وهي على قسمين:

١- المقومات الفنية: تتكون المقومات الفنية من جهاز الدولة الإداري والقوانين التي تنظم عمل الدولة، ويعد الجهاز الإداري للدولة هو المنفذ الفعلي لكل القوانين والأنظمة والتعليمات التي تتخذها الدولة،

أما الجهاز الإداري كما يراه أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده إلى الأشر فهو الآتي:

أ- المستشارون : وهؤلاء الأفراد هم الذين يقدمون المشورة للوالي في أمور الدولة والناس، وقد حدد أمير المؤمنين (عليه السلام) مواصفات هؤلاء بقوله (وَلَا تُدْخَلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بِخِيَلًا يَعْدُلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ، وَلَا جَبَانًا يُضَعِّفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجُورِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ)، وقد وضع تلك المواصفات بناء على تعادلية الفعل والفعل المضاد الناتج عنه، ومن خلال مراعاة ذلك يتم بناء الدولة بطريقة صحيحة لكي ينشأ مجتمعاً صالحاً واعياً لمهامه.

ب- الوزراء: وهم الدائرة القريبة من الوالي، وهم طريق الناس إليه، وطريقه إليهم، وهو يحدد مواصفات هؤلاء وطبيعتهم وتاريخهم وحياتهم، كل ذلك ذكره في قوله (شَرُّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيْرًا، وَمَنْ شَرَّ كُهُمْ فِي الْأَثَامِ، فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ)، وهي إشارات تحمل في طياتها تشخيصاً دقيقاً للطبيعة النفسية التي نشأ عليها هؤلاء في ظل الطغاة، كونهم باعوا ضمائرهم ونشأوا على سلوك غير متزن مع الطغاة؛ لذلك من غير المعقول أن يكونوا وزراء أو مستشارين في

حكومة تروم العدل والانصاف بين أفراد الرعية، كما أن هؤلاء لن يصلحوا لأن يكونوا بطانة للوالي؛ لأنهم كانوا أعواناً للظلمة والآثمين، وبذلك يشير إلى المضامين النفسية التي تربى عليها هؤلاء وافرازات تلك المضامين سلوكياً سواء قصدوا ذلك أم لم يقصدوا.

ج- الجند: قال عنهم في العهد (بِإِذْنِ اللَّهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوَلَاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الْأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ)، وفي الوقت ذاته أوضح أسلوب اختيار قيادات الجند وماهي المواصفات التي يجب أن يتحلى بها هؤلاء القادة الذين سيكون لهم الأثر الكبير في ديمومة وجود الدولة، وقوله في هذا المضمار واضح جدا، هو (فَوَلٌّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَبِيًّا، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرَأْفُ بِالضُّعْفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ، وَمَنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ)، وهذه المواصفات تجمع بين المواصفات النفسية والعقلية والروحية.

د- عمال الخراج: وقد وصفهم بأنهم سند الجند، فقال (الَّذِي يَقْوُونَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا أَصْلَحَهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ)؛ لأنهم هم الذين يوفر المال من خلال جبايته من الأفراد، فالدولة لا تقوم من دون اقتصاد قوي يكفل لها مقومات استمراريتها في تأدية واجباتها تجاه المجتمع.

ه- القضاة والعمال والكتّاب: وهم قوام للصنفين السابقين كما وصفهم بقوله (ثُمَّ لَا قِوَامَ لَهُذَيْنِ الصَّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّلَاثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعَمَالِ وَالْكَتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمِنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا). فهذا الصنف هو من يقوم بإدارة الدولة بكافة مرافقها الإدارية الداخلية.

أما الشق الآخر من المقومات الفنية فهو يقوم على جملة من القوانين والتعليمات التي تنظم الحياة اليومية للمجتمع والعلاقة بينه وبين الدولة بوصفها راعية المجتمع والمسؤولة المباشرة عن توفير الأمن والعدل والمساواة والانصاف بين الأفراد، دون تمييز عرقي أو ديني أو حزبي أو أي شيء آخر، وعليه قال الإمام علي (عليه السلام) لواليه الأشر في تنظيم تلك العلاقة بين الدولة ممثلة بشخص الوالي، والمجتمع بوصفه الطرف الأضعف في معادلة العلاقة بين هذين الركنين، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَىٌّ مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُظْلُومِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ، وَلَيْكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْ سَطَهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمَّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنْ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ)، ويستمر أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المنوال الداعي إلى الإنصاف والعتو وعدم الظلم وإشاعة روح التسامح، وأن تتحمل الدولة عبء الأفراد، وأن لا تكون قاسية معهم وأن تتعامل معهم معاملة الأب الحاني على ولده وهو قوله (وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ وَالِ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ الْمُؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ)، كما رسم سياسة الأمن في البلاد من خلال تفصيل الكلام بشكل دقيق في هذا المضمار، وهو قوله (وَأَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، واقطعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتْرٍ، وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَصِحُّ لَكَ، وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌ، وَإِنْ تَشَبَهَ بِالنَّاصِحِينَ)، وبين طبيعة متابعة الولاة والعمال لأجل مراقبتهم بشكل دقيق، بقوله (ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَاهُمْ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدُودٌ هُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ، وَالرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ)، ثم بين كيفية التعامل

مع الناس من حيث الاساءة والاحسان، بقوله (وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيْدًا لِأَهْلِ الْأَحْسَانِ فِي الْأَحْسَانِ، وَتَدْرِيْبًا لِأَهْلِ الْأَسَاءَةِ عَلَى الْأَسَاءَةِ، وَالزَّرْمُ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلَزَمَ نَفْسَهُ)، كما بين أهمية السيرة الصالحة من الذين سبقوا من المسلمين، وحضه على اتباعها فهي مما درجت عليه الأمة، قائلاً: (وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمَلٍ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأَلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ، لَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةَ تَضَرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونُ الْأَجْرُ بِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا)، وفي مقابل ذلك كله، يؤكد أمير المؤمنين (عليه السلام) على مسألة غاية في الأهمية وهي مدارس العلماء والحكماء بغية الوصول إلى أفضل السبل لكي تكون هناك دولة مستقرة صالحة بصلاح أمرائها وأفرادها؛ لأن الاستنارة بآراء العلماء والحكماء تعدّ سبيلاً مستقيماً للبحث في أفضل السبل الناجعة لوضع الحلول لمشكلات المجتمع والدولة، قائلاً (وَأَكْثَرُ مَدَارِسَةِ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَافَقَةِ الْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيْتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ بِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ)؛ لأن في مدارس العلماء والحكماء أسلوباً في الحكم يؤدي إلى نجاحه.

كما أن وضع قوانين تحفظ حقوق الضعفاء والأيتام والمساكين، تعدّ هي الأخرى في صلب عملية بناء الدولة داخلياً، قائلاً (ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيْلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا، وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْمًا مِنْ عِلَاقَاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى، وَكُلُّ قَدٍ اسْتَرَعَيْتَ حَقَّهُ، فَلَا يَشْغَلْنِكَ عَنْهُمْ بَطْرٌ فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِ التَّافِهِ لِاحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهْمِّ فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ. وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ، وَتَحْفِرُهُ الرِّجَالُ، فَفَرِّغْ لِأَوْلَائِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْحَشِيَّةِ وَالتَّوَاضِعِ،

فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ أَعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْأَنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلُّ فَاعِذِرٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ وَتَعَهُدِّ أَهْلَ الْيَتِيمِ وَذَوِي الرَّقِيقَةِ فِي السَّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَنْصَبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصَدَقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ).

ومن المقومات الفنية الأخرى، وضع سياسة أمنية تقوم على جملة من الإجراءات الفنية التي تعمل الدولة من خلالها على حفظ أسرارها وأن تختار الذين يتصفون بالإخلاص والأمانة، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) عن تلك المسألة (ثُمَّ أَنْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لَوْجُودِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ، فَيَجْتَرِي بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافِ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَأٍ وَلَا تَقْصُرْ بِهِ الْعَفْلَةَ عَنْ إِيْرَادِ مَكَاتِبَاتِ عَمَلِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ، وَفِيهَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلَا يُضْعِفُ عَقْدًا اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلُ)، بعد ذلك بين أسلوب اختيار هؤلاء من خلال جملة من الوصايا التي تعد منهاج عمل للوالي في اختيار الأشخاص، قائلًا (ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرَّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوَلَاةِ بِتَصْنَعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ، وَلَكِنْ اخْتَبَرَهُمْ بِمَا وُلُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثْرًا، وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجَهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وُلِيَ أَمْرَهُ، وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ، لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلَا يَسْتَسْتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ الزَّمْتَهُ)، ومن هذه المعايير عدم حسن الظن بهم الا بعد الاختبار، الأمانة التي تعد خصيصة هامة

في اختيارهم، تاريخ الأشخاص وسيرة حياتهم، السمعة الحسنة لدى الناس عنهم.

٢- المقومات المادية : تتلخص المقومات المادية في الموارد المالية والاقتصادية بكل أشكالها من زراعة وصناعة ونشاط تجاري تقوم به الدولة ممثلة بجهازها الإداري، أو الأفراد بشكل شخصي، وقد حدد ذلك الإمام علي (عليه السلام) في عهده على الشكل الآتي:

أ- التجار وذوو الصناعات: وهؤلاء هم القوة الاقتصادية المحركة للبلاد داخلياً؛ لأنهم هم الذين يركون اقتصاد الدولة، وهم الذين جرت تسميتهم بالقطاع الخاص في عصرنا الحاضر، وقد ذكرهم أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله (وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفُقِ بِأَيْدِيهِمْ مِمَّا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ)، بما يعني أن هؤلاء هم عصب اقتصاد الدولة، ولا بد من الاهتمام بهم لذلك السبب.

ب- الخراج : لأن قوة اقتصاد الدولة يقوم على طبيعة الخراج ومستوى تحصيله ؛ لذلك وصفه الإمام علي (عليه السلام) بقوله (وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الخَرَجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الخَرَجِ وَأَهْلِهِ).

ج- الزراعة وعمارة الارض : تعد الزراعة مورداً هاماً للدولة، ومصدراً يغذي المجتمع بالغلات والأموال، كما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله (وَلْيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الخَرَجِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الخَرَجَ بِغَيْرِ عِمَارَةِ أَرْضِهِ، وَأَهْلَكَ العِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلاً. فَإِنَّ شَكْوَاهُ ثِقَالاً أَوْ عِلَّةً، أَوْ انْقِطَاعَ شَرْبٍ أَوْ بَالَةٍ، أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا عَرْقٌ، أَوْ

أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفَتْ عَنْهُمْ بِهَا تَرْجُو أَنْ يَصْلِحَ بِهِ أَمْرُهُمْ).

د. نزاهة الولاية والأمراء والكتّاب : تعدّ نزاهة الولاية والأمراء والكتّاب من المهات التي تتسبب ربما في هدر المال العام، أو تتسبب في نشوء طبقة من المعتاشين الطفيليين على الأموال العامة ؛ لذلك نبّه أمير المؤمنين (عليه السلام) واليه على مصر إلى تلك المسألة وما لها من أهمية قصوى في حفظ المال العام، وجاء ذلك في قوله (عليه السلام) في عهده إلى الأشر (ثُمَّ تَفَقَّدَ أَعْمَاهُمْ، وَابْعَثَ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأَمْرِهِمْ حَدُوءٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَتَحْفَظُ مِنَ الْأَعْوَانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ، اِكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمُدَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهْمَةِ)؛ لأن متابعة العمّال والولاية والأمراء بطريقة سرية يجعلهم في غير مأمن من وقوع العقاب عليهم في حالة خيانتهم.

خلاصة البحث

يعدّ البحث في مفردات بناء الدولة في فكر أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، من خلال عهده إلى واليه على مصر مالك الأشتر (رضي الله عنه)، يعدّ محاولة في فهم طبيعة الدولة في فكر الإمام (عليه السلام) وكيف يرى الدولة؟ وماهي طبيعتها؟ وأدواتها الإجرائية؟.

وقد حاول البحث -بشيء موجز- الإجابة عن تلك التساؤلات، من خلال بيان مفردات بناء الدولة وماهية تلك المفردات!، وقد بيّن البحث توصيف تلك المقومات التي تقوم بها، من مقومات مادية وفنية وروحية ومعنوية.. الخ.

كما حاول البحث استنطاق النصوص بشكل مختصر عن مسألة بناء الجانب الانساني والقانوني والأمني والمالي، وأثر ذلك في عملية بناء الدولة الحقيقية التي تقوم على أساس الانصاف والعدالة والأمن.

الهوامش

- ١- سورة الحشر الآية (٢).
- ٢- الدولة نظرياً وعملياً ٤٤، هارولد لاسكي، اعداد وتنفيذ سعيد شحاته، الهيئة العامة لقصور الثقافة، بيروت-لبنان، ط ٢-٢٠١٢ م.
- ٣- المصدر نفسه والصفحة.
- ٤- الدولة والمجتمع ١٧٩، د. محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، د. ط، د.ت.
- ٥- سورة آل عمران الآية (٣١).
- ٦- ونحن هنا قلبنا فكرة ابن مسكويه الذي يقول في كتابه تهذيب الأخلاق (هيئة نفسانية تصدر عنها هذه الفضيلة) ١٢٥
- ٧- حركة التاريخ عند الإمام علي (عليه السلام) دراسة في نهج البلاغة ٧، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١- ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م.
- ٨- المصدر نفسه ١٥.
- ٩- علم النفس السياسي رؤى نقدية ٤٣، كريستيان تيليغا، ترجمة أسامة الغزولي، سلسلة عالم المعرفة العدد ٢٠١٦، ٤٣٦ م.
- ١٠- سؤال الأخلاق- مساهمة في النقد الأخلاقي للحدثة الغربية- ٣١، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط ١- ٢٠٠٠ م.

المصادر والمراجع

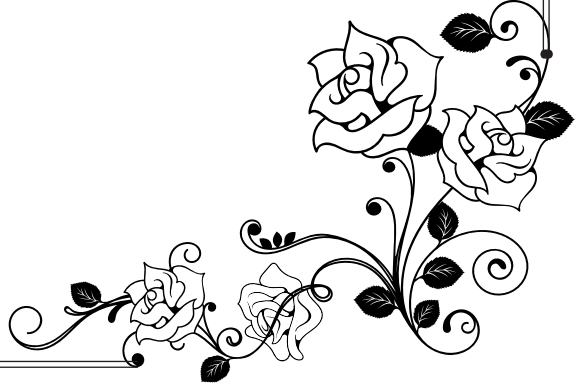
- تهذيب الأخلاق، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، دراسة وتحقيق: عماد الهلالي، منشورات الجمل، بغداد - بيروت، ط ١ - ٢٠١١ م.
- الدولة نظرياً وعملياً، هارولد لاسكي، اعداد وتنفيذ سعيد شحاته، الهيئة العامة لقصور الثقافة، بيروت-لبنان، ط ٢- ٢٠١٢ م.
- الدولة والمجتمع، د. محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، د. ط، د. ت.
- حركة التاريخ عند الإمام علي (عليه السلام) دراسة في نهج البلاغة ٧، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١ - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- سؤال الأخلاق - مساهمة في النقد الأخلاقي للحدائثة الغربية -، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط ١ - ٢٠٠٠ م.
- علم النفس السياسي رؤى نقدية، كريستيان تيليغا، ترجمة أسامة الغزولي، سلسلة عالم المعرفة العدد ٤٣٦، ٢٠١٦ م.

**البناء الإداري الرصين
للدولة العربية الإسلامية**

عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه) أنموذجاً

أ.د. عباس جبير سلطان التميمي

أ.د. انتصار لطيف حسن السبتي



المقدمة

سعى الاسلام منذ أن تم تبليغ الرسول محمد ص بهذه الرسالة الى وضع أساس رصين للدولة الاسلامية التي سوف تنشأ حتى هذا المسمى النقي المختوم، متخذةً من تجارب الأمم التي طمرت والتي سبقتها عبرة، في تجاوز ما تم الوقوع به من مخالفات أو الخروج عن النهج الذي رسمه الله جلّ علاه لعباده في الارض، من خلال إرسال أنبيائه الكرام.

فوضع الله جلّ علاه كل ما يريد قوله في دستور متجدد والمتمثل بالقرآن الكريم، فتم البناء ضمن هذه الخريطة الصحية التي كانت غايتها سمو ورفعة مكانة العباد في أرض الله جلّ علاه، ولكي يبين من خلال هذا الدستور الالهي حقوق وواجبات عباده، فمن عمل عملاً صالحاً تم جزاءه ومن فعل العكس تمت عقوبته، وبهذا الإطار تم التعامل مع الرعية.

ولم يكتفِ الله سبحانه وتعالى بهذا الامر، وإنما أوعز الى رسوله محمد ص بها وهبه الله من صفات بشرية كرجاحة عقل وسعة الافق، أن ينظم لرعاياه دستور بشري آخر ينظم فعاليات الحياة اليومية والمتمثل بوثيقة المدينة، التي بينت خارطة العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين سواء بالحقوق أو الواجبات، وكانت بمثابة دستور عالمي استفادت منه حضارات الماضي والحاضر في أخذ مضامين كثيرة منه، وبهذا فقد تم الاحكام في وضع أساس متين لهذه الدولة التي ختم الله بها أديانه السماوية.

ولكن النفس البشري وما يوسوس لها الشيطان من الخروج على ما تم وضعه من اسس صحيحة وصحية من قبل الرحمن، ولهذا فقد تم الانحراف على رسم لهم من منهج، ولذلك جاء دور أهل البيت عليهم السلام في تصحيح هذا الانحراف والذي كان ثمنه

كبير من قبلهم عليهم السلام بأن دفعوا ثمن ذلك حياتهم عندما وقف شياطين الارض وقفوا بكل ما يملكون من قوة ضد هذا التصحيح. وقد أكد الرسول محمد بنص صريح باتباع أهل البيت عليهم السلام من بعده بقوله ص « يأيها الناس إني تركت فيكم أن اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي... »^(١)

وما وصية الامام علي عليه السلام لمالك الأشر، إلا استلهاهم وفهم حقيقي للمبادئ التي أكد عليها القرآن المجيد والإسلام الحنيف والتي تم تبليغها عن رسوله محمد (صلى الله عليه وآله) الى عبادته، وهي تأكيد على إنسانية الاسلام وقدسيتها البشر، فلا يمكن لأي منا استعباد الآخر أو ظلمه أو الاستيلاء على ما يملكه، وكل ما في الارض هو ملك لله وحده لا شريك آخر فيه، وأن الحكام الذي يحكمون في الارض هم منظمون لسير الانسان، وأن حكمهم هو تطبيق ما جاء في دستور الله (القرآن) وما تركه النبي (صلى الله عليه وآله) لهم وما وجاء به أقرب الناس للرسول وهم اهل بيته.

وقد تضمن العهد عدة محاور وعنوانات وصلت الى أربعين فقرة منها، السيرة الحسنة، العلاقة مع الرعية، عدم التكبر، الانصاف، العدل، الوشاة، الاستشارة، دور الوزراء وصفاتهم، الاحسان، السنة الصالحة، دور العلماء، العلاقة بين طبقات المجتمع، دور قادة الجيوش والعلاقة بهم، اختيار القضاة، الشبهات، اختيار العمال والولاة، خيانة العمال، الخراج ومالية الدولة، الكتاب وأصحاب الديوان، فنون الكتاب، التجار والاحتكار، الاهتمام بالفقراء، اصحاب الحاجات والمصالح، واجبات الحاكم، أداء الفرائض، عدم الاحتجاب عن الناس، دور الحاشية، الاستفادة من العلماء، العلاقة بالأعداء والعهود معهم.

الباحثان.

نبذة مختصرة عن الوالي مالك الأشتر

وهو ومالك بن الحارث بن عبد يغوث الكوفي، المعروف بالأشتر، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن أثبتهم.^(٢)

أدرك رسول الله (صلى الله عليه وآله). وهو من ثقة التابعين. وكان رئيس قومه، وكان الإمام عليّ عليه السلام يثق به ويعتمد عليه، وطالما كان يُثني على وعيه وخبرته وبطولته وبصيرته وعظمته، ويفتخر بذلك، أوّل حضور فاعل له كان في فتح دمشق و حرب اليرموك، وفيها أُصيب عينه فاشتهر بالأشتر، عاش مالك في الكوفة، وكان طويل القامة، عريض الصدر، عديم المثل في الفروسيّة. وكان لمزاياه الأخلاقيّة ومروءته ومنعته وهيبته وأهّيته وحياته، تأثير عجيب في نفوس الكوفيّين، نُفي مع عدد من أصحابه إلى حمص في أيام عثمان بسبب اصطدامه بسعيد بن العاص والي عثمان، ولما اشتدّت نبرة المعارضة لعثمان عاد إلى الكوفة، ومنع والي عثمان - الذي كان قد ذهب إلى المدينة آنذاك - من دخولها. واشترك في ثورة المسلمين على عثمان، وتولّى قيادة الكوفيّين الذين كانوا قد توجّهوا إلى المدينة، وكان له دور حاسم في التصدي والوقوف بوجه الخليفة عثمان بن عفان.^(٣)

توفي سنة ٣٩ هـ وهو في طريقه إلى مصر لأداء مهامه الموكلة إليه، فتأثر الإمام لوفاته كثيراً حتى ظن بعض النخعيين أن الإمام فقط هو صاحب المصيبة. وجاء عن هذا الامر « شهدته قلد الإمام (عليه السلام) مالك ولاية مصر فخرج إليها، وسارت قافلته لا تلوي على شيء فلما انتهت إلى إبلة (البصرة) التقى به نافع مولى عثمان بن عفان، وقد أرسله معاوية لاغتياله، وكان لبقاً فقال له مالك: ممن أنت؟ من أهل المدينة من أيهم؟ فأخفى نسبه وموضعه وقال: مولى لعمر بن الخطاب أين تريد؟ مصر ما حاجتك؟ أشيع من الخبز، فرق له مالك وقال له: سأصيبك من الخبز، وسار مالك ومعه عميل معاوية حتى انتهى إلى القلزم فنزل ضيفاً عند امرأة، جهينة فرحبت به، وسألته أي الطعام أحب إليك

فقال الحيتان، فقدمت له ما اشتهى فلما تناول الطعام أصابه عطش شديد فأخذ يكثر من شرب الماء، فقال له نافع مولى عثمان لا يقتل سمه إلا العسل، فدعا الأشر بإحضاره من ثقله فلم يكن فيه فبادر نافع قائلاً هو عندي علي به، فأحضره وكان قد دس فيه سمًا قاتلاً فتناولوه، ولم يكن حسرات، من أن تقطعت أمعاؤه وأخذ الموت يدنو إليه وطلب إحضار نافع فوجده منهزمًا، وعرف مالك ما دبره له هذا العميل، ولم يلبث إلا قليلاً حتى طويت حياته التي كانت صفحة من الشرف والكرامة والجهاد في سبيل الله، وقد جعل الخبيث يردد (إنَّ الله تعالى جنوداً من عسل) (٤).

ولما انتهى النبأ المفجع بشهادة مالك ذابت نفسه أسى وحسرات، وأخذ يذرف الدموع قائلاً: إنا لله وإنا إليه راجعون، الحمد لله رب العالمين اللهم إني احتسبته عندك فإن موته من مصائب الدهر، وأضاف قائلاً: رحم الله تعالى مالكا فقد وفي بعهده، وقضى نحبه، ولقي ربه، وإنا قد وطنا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله (صلى الله عليه وآله)، فغنها من أعظم المصائب، واخذ الإمام يتلهف على فقده ويقول بحرارة: لله در مالك لو كان من جبل لكان فنداً ولو كان من حجر لكان صلداً أما والله ليهدني موتك، وأضاف: على مثل مالك فلتبك البواكي، وهل موجود كما لك لقد عرض شهادة مالك حياة الإمام، فقد خسر أعظم شخصية تساعده على محن الدنيا وكوارث الأيام، وسر معاوية بسمه لملك، وخطب الناس قائلاً: أما بعد: فإنه كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان قطعت إحداهما يوم صفين وهو عمار بن ياسر، وقطعت الأخرى اليوم وهو مالك الأشر. (٥)

- البناء لغة -

تأتي كلمة بناء عند أهل اللغة بعدد معاني، فتأتي بمعنى الحائط، والبيوتات التي تسكنها العرب في الصحراء، وسبب تسميته بالبناء « من حيث كان البناء لازماً موضعاً

لا يزول من مكان الى غيره، وليس كذلك سائر الآلات المنقولة المبتدلة كاخيمة والمظلة والفسطاط والسرادق ونحو ذلك، وعلى أنه مذ أوقع على هذا الضرب من الاستعمالات المزولة من مكان الى مكان لفظ بناء تشبيهاً بذلك من حيث كان مسكوناً وحاجزاً أو مظللاً بالبناء من الآجر والطين والجص. (٦)

من هنا نستدل على أن البناء يجب أن يكون ثابت، ولا يمكن أن نطلق على المتحرك بناء، لان من صفات البناء السكون والثبات.

وتأتي بمعنى الانسان، لان الانسان مجموعة من المكونات ولا يقتصر على جزء معين، فكل الاجزاء والاجهزة التي خلق فيه والتي خصص لكل جهاز من أجهزته ووظيفة معين تتكامل من غيرها من الاجهزة يشكل وحدة متكاملة من البناء، ومن هنا جاءت قدسية الانسان لأنه من بناء الله وحده، فالاعتداء عليه يمثل الاعتداء على الله جلَّ علاه، فقد جاء عن سليمان عليه السلام « من هدم بناء ربه تبارك وتعالى فهو ملعون؛ يعني من قتل نفساً بغير حق، لان الجسم ببيان خلقه الله وركبه (٧).

- البناء في القرآن -

وردت كلمة بناء في عدد من الايات الكريمة لتعطي معنى واحد وهو الثبات.

كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨)

وقوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٩)

وقوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ

السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠﴾

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِیَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْنَا بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿١١﴾

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿١٢﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَتَّهَمُ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿١٣﴾

وقوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٤﴾

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿١٥﴾

وقوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٦﴾ وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿١٧﴾

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهٍ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨﴾

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿١٩﴾ وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾

وقوله تعالى: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ (٢٢)

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ (٢٣)

- الرصانة لغة -

جاءت هذه الكلمة عند أهل اللغة بمعنى المحكم الذي ولا يمكن النفاذ من خلاله لقوته وتماسكه كما ورد عند ابن منظور بتفصيلها بقوله: «رصن: رَصْنُ الشَّيْءِ، وَرِصَانَةٌ، فَهُوَ رَصِينٌ: ثَبَتٌ، وَأَرِصَنَهُ: أَثْبَتَهُ وَأَحْكَمَهُ، وَرِصَنَ: أَكْمَلَهُ، وَالرَّصِ: الْمَحْكَمُ الثَّابِتُ، وَرِصَنْتُ الشَّيْءَ مَعْرِفَةً؛ أَي عَلِمْتَهُ، وَرَجُلٌ رِصِينٌ: كَرَزِينٌ، وَقَدْ رِصَنَ...» (٢٤)

- النظم الادارية من خلال عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشر

النظم الادارية: نشأت النظم الادارية للدولة الاسلامية مع قيامها، فكانت حاجتها لبعض هذه النظم من أجل سيرها وتنظيمها، وكانت بشكل مبسط لبساطة القائمين عليها، وبعد توسع الدولة العربية الاسلامية وكثرة من دخل الاسلام من كافة الامم استحدثت مؤسسات ادارية أخرى لمتطلبات ادارة الدولة، وهكذا تدرجت النظم الادارية في الظهور من سعت الدولة وقد تكاملت هذه المؤسسات في العهد العباسي، فأصبحت أنموذج يصدر لكثير من البلدان الاسلامية وغير الاسلامية والتي مازالت مستمر الى يومنا هذا وأن تغيرت بعض أسائها ولكن مضمون عملها بقية كما هو يدار من قبل القائمين عليها، فأصبحت لهذه النظم قوانين تحكمها، ومعايير في متوليها فلا يمكن أن يتولاها إلا اذا توفرت به مجموعة من الصفات تؤهله لنيل رئاسة المؤسسة الادارية وينطبق الامر على العاملين فيها، وهذا ما دونته كتب الاحكام السلطانية التي تعد بمثابة دساتير ادارية يمكن الرجوع اليها للوقوف على التفاصيل مما يدل على

الرصانة التي أوجبتها الدولة العربية الاسلامية في هيكلها الاداري. (٢٥)

ومن ماجاء في عهد الامام علي الى واليه مالك بن حارث الاشرع عندما ولاه مصر يكشف لنا دقة ما استرسلنا به وما أكدنا عليه وهذا ما سوف نبينه من خلال الوقوف على هذا العهد وهذه الوثيقة المهمة التي وضعت الاساس للتعامل السليم مع الرعية والبناء الصحيح والصحي لمقومات الدولة التي لايمكن أن تسقط لو اتبعت ما جاء في هذا العهد وطبقته، والذي استلهمت مبادئه من القرآن الكريم وما أكد عليه الاسلام الصحيح.

- المهنية في إدارة الدولة

ولاجل رصانة الدولة وبنائها بناء صحيح وما جاء في عهد الامام عليه السلام لواليه مالك الاشرع يؤكد ذلك بقوله: « ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محابة وأثرة، فإنها جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً..» (٢٦)

فهو يؤكد على صفات من توكل له المسؤولية التي يجب أن تتوفر به، فلا يمكن أن تكون هناك رصانة إذا اعتمد الوالي أو ولي الامر على أقاربه أو معارفه في إدارة الرعية والدولة وهم لا يفقهون من الامر شيء، أكد (عليه السلام) على المهنية في إدارة الدولة، وهذا الامر تم استلهامه من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٧)

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢٨)

- عدالة الحاكم او الوالي

وهي من المهمات التي اكد عليها الدين الاسلامي بأن من يتولى رئاسة الرعية يجب أن يتصف بالعدالة، لانه خليفة الله في ارضه كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٩)

وقوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٣٠).

وأما العدالة فتكون في مقدمة ما يسعى اليه في تسير أمور الرعية، فبدون العدالة لاستمر الدولة بل ويعجل هذا الامر من سقوطها كما جاء في كتاب الله المجيد كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٣١)

وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٢) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٣٣)

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٣٤)

وجاء رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) « إن أحب الناس الى الله يوم القيامة،

وأناهم مجلساً، إمام عادل، وإبغض الناس الى الله، وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر» (٣٥)

وجاء عن ابن الازرق « لا عمارة بدون عدل» (٣٦)

وهذا أول شيء أوصى الامام (عليه السلام) به واليه مالك الأشر، أن يكون محباً للرعيتة، محترماً لمشاعر الناس من أي فئة كانوا، سواء كانوا مسلمين أم من أهل الأديان الأخرى. ولا يخفى أن في ذلك تثبيتاً لإنسانية الإسلام واحترامه لمشاعر الناس، وتقوية لبنية النظام والحكومة.

« أشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، والल्प بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإتهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك! وقد استكفأك أمرهم، وابتلاك بهم» (٣٧).

وهذا ما أكده الرسول محمد ص (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيتة، فالامير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيتة...» (٣٨)

ومن واجباته الوالي أن لا يكون بينه وبين شعبه أو رعاياه حاجب يفصله عنهم أو هو جاء لخدمتهم وتنظيم حياتهم وتلبية حاجاتهم وهو بمثابة الاب في عائلته وهذا ما جاء في عهد الامام عليه السلام بقوله: « وأما بعد فلا تطولن احتجاجك عن رعيتك، فإن احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمر. والإحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل. وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب، وإنما أنت

أحد رجلين: إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطية، أو فعل كريم تسديه؟ أو مبتلى بالمنع، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك، من شكاة مظلمة، أو طلب إنصاف في معاملة.» (٣٩)

وكان من ضمن واجبات الخليفة أو السلطان أو رئيس الدولة عند تعيينه لاحد ثقاته أن يوصيه بجملة من الامور التي تعد بمثابة منهاج يجب أن يتبعه هو معرفة تاريخ مصر أو الولاية والوقوف على خلجات أو نفوس لما لتاثير الطقس والموقع في سلوكياتهم وهذا ما أوردته الوثيقة وأكد عليه الامام على لواليه الاشر بقوله « هذا ما أمر به عبد الله عليّ أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشر في عهده إليه حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها. أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعته، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه. وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله، ثم اعلم يا مالك أي قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم. وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده. فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح. فاملك هواك، وشح بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الانصاف منها فيما أحببت أو كرهت.» (٤٠)

ومن واجبات الوالي، اذا اعطى عفو لمسيء، هذا لايعني ضعف الوالي أو حكومته وإنما يعطي فرصة أخرى له، لعله يستفاد منها، فليس هناك أنسان معصوم من الخطأ،

وهذا مما ميز اصالة الدين الاسلامي والدولة التي يطمح لها وهي دولة العدل والسلوك وهذا ما أكده الامام علي في عهده للمالك بقوله: « ولا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة، ولا تقولن إني مؤمر أمر فأطاع فإن ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين، وتقرب من الغير. ^(٤١)»

وقد أوصاه أن يكون عادلاً فإذا ما اتخذ قرار خطأ فلا بأس أن يظهر لهم ويعتذر عن فعلته فهو إنسان يخطأ ويصيب ولكن العيب أن يصر على خطئه ويستمر « وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرک، واعدل عنک ظنونهم بإصهارک، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك، ورفقاً برعيتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق ^(٤٢)»

وما أوصاه في هذا المجال جملة من الامور لتكون له خارطة طريق لحكم عادل يرضاه الله ونبیه (صلى الله عليه وآله) والمؤمنون وهي « وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين ^(٤٣)»

« وإياك والمن على رعيتك بإحسانك، أو التزید فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان والتزید يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال الله تعالى: كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ. ^(٤٤)»

« وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها، أو التسقط فيها عند إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت. فضع كل أمر موضعه وأوقع كل عمل موقعه. ^(٤٥)»

« وإياك والإستئثار بها الناس فيه أسوة، والتغابي عما يعنى به مما قد وضح للعيون، فإنه

مأخوذ منك لغيرك. وعمّا قليل تنكشف عنك أغطية الأمور وينتصف منك للمظلوم.»^(٤٦)

« املك حمية أنفك، وسورة حدك، وسطوة يدك وغرب لسانك. واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة، حتى يسكن غضبك فتملك الإختيار. ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك.»^(٤٧)

وقوله تعالى أبلغ في هذا الامر بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَشِّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٤٨)

وقوله تعالى في آية أخرى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٤٩)، وبهذا فإن الامام علي (عليه السلام) لم يخرج في عهده لواليه عن صميم الاسلام الساعي للعدالة وكرامة الانسان وقدسيته ومسؤولية الحاكم في استلهاه روح هذه القيم وتطبيقها.

ومن أجمل ما أوصى به الامام علي (عليه السلام) وهذا اليوم مفقود وسبب بلاء أمتنا في هذا البند، فعندما يتبدل الحاكم أو تنتهي ولايته ويحجى حاكم آخر يبدأ بتسقيط من قبله من الحكام ليظهر أنه الافضل منه « والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة، أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا، أو فريضة في كتاب الله، فتقتدي بما شاهدهته مما عملنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها.»^(٥٠)

- الترف والفساد -

جاء الدعوة الى الاسلام من خلال الفقراء والله جل علاه أراد في هذا الامر فلم ينزله على المترفين من أهل قريش بل أنزله على أفقر فقرائهم، وكانت مادة الاسلام من هؤلاء، وكان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) يرمى الغنم لاغنياء قريش بقيراط^(٥١)، وانطبق

الامر حتى على الانبياء الذين سبقوا الرسول محمد ص، واكد الله هذا الامر بقوله تعالى ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾^(٥٢)، وأن أحد أسباب سقوط الدول أنغماس حكامها بالترف وترك الرعية وشؤونهم ومعاشهم، وهذا ما أكد عليه ابن خلدون بقوله: «الاستكثار من ذلك والتأنق فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعو إليه من توابع ذلك، فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة...»^(٥٣)

وفي موضع آخر لابن خلدون قوله «وذلل أن الامة إذا غلبت وملكت ما بأيدي أهل الملك قبلها كثر ريشها ونعمتها فتكثر عوائدهم، ويتجاوزون ضرورات العيش وخشونته الى نوافله ورقته وزينته، ويذهبون الى اتباع من قبلهم في عوائدهم وأحوالهم، وتصير لتلك النوافل عوائد ضرورية في تحصيلها، وينزعون مع ذلك الى رقة الاحوال في المطاعم والملابس والفرش والآنية، ويتفاخرون في ذلك فيه من الامم...»^(٥٤)

وهذا ما أكد عليه عهد الامام الى مالك الاشر «وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أهبة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طمأحك، ويكف عنك من غربك، ويفى إليك بما عزب عنك من عقلك إياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعبتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عبادته، ومن خصمه الله أدحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب. وليس شئ أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نعمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد.»^(٥٥)

ومن واجبات الحاكم أن يكون على مسافة متساوية مع رعيته من خلال تعامله، وقد أكد الله سبحانه وتعالى على هذا الامر بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا

شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٥٦﴾

« وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة. وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكرا عند الاعطاء، وأبطأ عذرا عند المنع، وأضعف صبرا عند ملهمات الدهر، من أهل الخاصة. وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة، فليكن صغوك لهم وميلك معهم..» (٥٧).

من الامور التي أكد عليها الامام علي في عهده لواليه أن لا يظهر عيوب رعاياه، فأن ذلك يظهر حقد الاخر و يتربص بالدولة ليساعد على سقوطها، فأحترام الموطن والإنسان سيجعله أكثر وطنية، وأن لا يصدق كل ما توتى له من عيونه أو ساعاته ولا يتخذ أي حكم إلا بعد التأكد من مصادر معلومات أخرى. فقال الله تعالى عن المنام ﴿وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٌّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ (٥٨)

فلنهام أكثر كفراً من الاحاد والتثليث والفسق والظلم (٥٩)

« وليكن أبعد رعيته منك وأشنؤهم عندك أطلبهم لمعائب الناس، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها. فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك. فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيته. أطلق عن الناس عقدة كل حقد. واقطع عنك سبب كل وتر. وتغاب عن كل ما لا يضح لك، ولا تعجلن إلى تصديق ساع فإن الساعي غاش وإن تشبه

بالناصحين..» (٦٠)

ومن واجبات الوالي لأُمور المسلمين متابعة راعيا وخاصة الفقراء منهم والموعزين، فهؤلاء حق الحاكم في متابعتهم والسؤال عنهم وتوفر ما يحتاجون اليه من المعيشة لان كرامة الانسان مكفولة في الدين الاسلامي حتى لا يتحول المحتاج الى التجاوز على الآخر مما يؤدي الى عدم الاستقرار والفوضى، وقد جاء في كتاب الله العزيز ما يؤكد هذا بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٦١)

وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُخُورًا﴾ (٦٢).

وقوله تعالى « ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٣).

وقوله تعالى: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٦٤).

وهذا ما أكد عليه الامام علي (عليه السلام) في عهده لملك الاشر حينما يوصيه به الطبعة من المجتمع «ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، والمساكين والمحتاجين،

وأهل البؤسى والزمى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً. واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكلُّ قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعر خدك لهم، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، وفرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فأعذر إلى الله في تأدية حقه إليه. وتعهد أهل اليتيم وذوي الرقة في السن، ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاية ثقيل والحق كله ثقيل. وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم.» (٦٥)

- المشورة

جاءت الكلمة استشار عند أهل اللغة تعني، الفحل الناقّة، والمتشير: من يعرف الحائل من غيرها. (٦٦)

وجاء في تعريفها: «اجتماع على أمر ليشير كل واحد برأيه» (٦٧).

المشورة من أهم الامور التنظيمية التي يسعى من خلالها الى اتخاذ الرأي الصائب، من أجل بناء صحيح، فكما نعلم أن العقل الانساني لا يدرك كل ما يحيط به الى درجة الكمال، وعدم الاستبداد بالرأي لان الاستبداد يعني التهلكة وسرعة الخراب الى الدولة ومن هنا أكد الله جلّ علاه على هذا الامر بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٦٨).

وجاء في فائدة المشورة « أعلموا أن المستشار وإن كان أفضل رأياً من المشير فإنه يزداد

برأيه رأياً - كما تزداد النار بالسليط ضوءاً...» (٦٩)

والنصيحة والمشورة من سنن المرسلين عليهم السلام^(٧٠)، كما جاء في قوله تعالى وهو ينصح نبيه نوح عليه السلام

بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٧١).

إضافة الى ما ذكر فيجب أن تكون هناك صفات في يجب أن تتوفر في المراد استشارته، وأول هذه الصفات يجب أن يكون صادق مع المشير وقد وضع الفقهاء اثني عشر صفة للمستشار يجب أن يتحل بها. (٧٢)

وهذا ما أكد عليه الامام علي عليه السلام في عهده لمالك الذي سبق كل ما ورد باستثناء القرآن الكريم الذي استهم الامام فكره وفلسفته منه، «ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله...» (٧٣)

وقد طلب الامام علي من واليه أن يضيف في الاستشارة من العلماء وأن يشركهم في الامر من خلال الارسال اليهم او حضوره عندهم، حتى لو لم يكونوا من ضمن النظمه الحكومية بقوله له «وأكثر مدارس العلماء ومنافثة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك...» (٧٤).

وطلب من واليه أن يعطي أهتمامه الى عليية القوم في مصر أو ولايته ولا يقلل من شأنهم بقوله (عليه السلام): «ثم الصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم، وشعب من العرف، ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقم

في نفسك شئ قويتهم به. ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قل فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك. ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها فإن ليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موضعاً لا يستغنون عنه»^(٧٥).

ثم نبهه الى أمر هام وهو أن لا يمنح عماله ويهيبهم ما لا يملكه أو أملاك عامة تعود فائدتها الى الدولة أو أنها تعود ملك خاص الى الافراد فيقوم بنزعها وهبتها الى حاشيته وبطانته، أو أنها تشكل لرعاياه مصدر حياتهم كالنهار أو الآبار فلا يجوز ذلك منه» ثم إن للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتناول، وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولا تقطن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس، في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم، فيكون مهناً ذلك لهم دونك، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة»^(٧٦).

ومن صلاحيات الوالي اعلان الحرب إذا رأى ذلك ضرورة، ولكن العدو اذا طلب الصلح، فعلى الوالي أن يرضخ لهذا الامر خوفاً على المسلمين وعوائلهم ولأن الحرب تكلف أموال وهي الخيار الاخير في حالة عدم التوصل الى حل، ولكن الصلح أحياناً هو استعداد العدو لتكملة عدته بشكل نهائي للهجوم بشكل أقوى مستغل ما تم اعطائه من وقت إضافي، مما يدل على عقلية الامام علي (عليه السلام) العسكرية الفذة وهو يوصي واليه أن يتوخى الحذر بقوله له: «ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك والله فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك. ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن، وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحطّ عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شئ الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود.

وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين، لما استوبلوا من عواقب الغدر ! فلا تغدرن بدمتك، ولا تخيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي. وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحرماً يسكنون إلى منعه ويستفيضون إلى جواره. فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه، ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته، وأن تحيط بك من الله فيه طلبه، فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك، إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شئ أدعى لنتمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها ! والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله. ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأن فيه قود البدن. وإن ابتليت بخطاً وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبة، فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم»^(٧٧).

وبهذا فإن الامام علي كان أسبق الفقهاء في أرساء هذه الوظيفة الادارية وهي الباب الذي أعتده الفقهاء في مابعد في علومهم.

- مؤسسة الوزارة

الوزارة: وهي ام الخطط لسلطانية والرتب الملوكي^(٧٨)، لان صاحبها يتقاسم المسؤولية مع رئيس الدولة، وقد اشتقت من كلمة الوزارة لتعطي المعاني الآتية الوزر؛ تعني الثقل^(٧٩)، لانه يحمل اثقال المسؤولية، وذلك تاتي من الازر وهو (الظهر) الذي يسند عليه البدن، ومن الوزر وهو الملجا^(٨٠)، ومنه قوله تعالى ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾^(٨١) أي

ملجأ، لان الحاكم يلجأ إلى رايه ومعونته.

والدال من كلمة الوزير واشتقاقها بأنها عربية صرفه وقد اوردها القران الريم في إحدى آياته، قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِى * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (٨٢).

فقد أكد الامام علي (عليه السلام) على واليه أن يتخذ بطانة تامر بالعرف وتنهى عن المنكر، وقد وضع الفقهاء صفات لهؤلاء البطانة والمقرين لأولي الامر (٨٣)

وبهذا فإن ما جاء به عهد الامام علي يؤكد أن منصب الوزارة موجود في العهد الراشدي،

« إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام ! فلا يكونن لك بطانة، فإنهم أعوان الأئمة وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفادهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على إثمه. أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقل لغيرك إلفاً، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك، ثم ليكن أثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع، والصق بأهل الورع والصدق، ثم رُضُّهم على أن لا يطروك، ولا يَبْجَحُوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تُحدث الزهوة، وتدني من الغرّة» (٨٤).

- الدواوين

ظهرت الدواوين مع ظهور الدولة العربية الاسلامية لحاجة الدولة لها لكونها تساد في تنظيم سير الرعية، فالقضاء كان مؤسسة مهمة في حياة المجتمع، وكذلك ديوان الجند في تسجيل اسماء المقتلة ورواتبهم، وكذلك من يساعد اولي الامر في ادارة الدولة أن الخليفة

أو الوالي لا يستطيع ادارة جميع مرفقات الدولة لوحده، لان الانسان محدود بطاقة فلا بد من أن يشاركه في هذا العمل، ويؤكد هذا الامر الله جلّ علاه بقوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلِ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (٨٥)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا﴾ (٨٦)

﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨٧)

أما ابن خلدون فيقول في المشاركة أولي الامر « أعلّمة أن السلطان في نفسه ضعيف يحمل أم ثقل، فلا بد له من الاستعانة بأبناء جنسه، وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنة فما ظنك بسياسة نوعه ومن استرعاه الله من خلقه وعباده، وهو محتاج الى حماية الكافة من عدوهم بالمدافعة عنهم، والى كف عدوان بعضهم على بعض في أنفسهم بأعضاء الاحكام الوازعة فيهم، وكف العدوان عليهم في أموالهم بإصلاح سابلتهم - والى حملهم على مصالحهم، وما تعمهم به البلوى في معاشهم ومعاملاتهم من تفقد المعاش والكايل والموازن، حذراً من التطفيف، والى النظر في السكة بحفظ النقود التي يتعامل بها من الغش، والى سياستهم بما يريد منهم من الانقياد له والرضاء بمقاصده منهم وأنفرادهم بالمجد دونهم فيتحمل من ذلك فوق الغاية من معانة القلوب...» (٨٨) ويختم قوله بحكمة: « لمعانة نقل الجبال من مكانها أهون عليّ من معانة قلوب الرجال» (٨٩) مما يؤكد ثقل المسؤولية في تسير الرعية لاختلاف الاهواء بينهم، وهذا ما أكده الامام علي عليه السلام في عهده لملك جاء فيه

« واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض. فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الانصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل

الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلا قد سمي الله سهمه، ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه، عهداً منه عندنا محفوظاً!...» (٩٠)

وهنا يفصل عليه السلام وظيفة كل مؤسسة

- مؤسسة القضاء

يعد منصب القضاء من أهم المناصب في الدولة العربية الإسلامية لمكانته المقدسة بالإضافة إلى ذلك يشكل المؤشر على عدالة الحاكم وحكومته في المجتمع وهو من أهم المؤسسات الإدارية التي يتحقق بها القسط وتحفظ بها الحقوق وصيانة الاعراض والاموال فقد عد العدل جزء من تعاليم الإسلام وركيزة من ركائزه التي لا بد منها لاغنى عنها، وكان أول من تولى القضاء في الدول العربية الإسلامية الرسول (صلى الله عليه وآله). (٩١)

- تعريف القضاء

لفظ القضاء يأتي في اللغة على انحاء مرجعها إلى انقطاع الشيء وتماه يقال قضي الحكم اذا فصل في الحكم وقضى دين أي قطع والغريمة فبله في الاداء وقضيت الشيء احكمت عمله (٩٢) وفيه قوله تعالى ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٩٣) أي احكمه وانفذه.

وأصبح القضاء علم قائم بذاته من خلال الشروط والصفات التي يجب أن تتوفر في متوليها وهي: الإسلام، العقل، الذكورية، الحرية، البلوغ. (٩٤) العدالة، العلم سلامة الحواس (السمع، البصر واللسان) (٩٥).

وهذا ما أكده الامام علي (عليه السلام) في متولي القضاء في عهده الى مالك الاشر بقوله: «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه

الخصوم، ولا يتهادى في الزلة، ولا يحصر من الفئ إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وأخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصر مهم عند اتضاح الحكم. ممن لا يزدديه إطراء ولا يستميله إغراء. وأولئك قليل، ثم أكثر تعاهد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك. فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يُعمل فيه بالهوى، وتُطلب به الدنيا»^(٩٦)

أكد على مؤسسة القضاء وأهميتها في فصل النزاعات بين الخصوم واستقرار المجتمع، وكذلك عمال القصابات والولايات التي تبعد عن العاصمة او مصر، وكذلك حاجة الدولة الى الكتاب في تسجيل الصادر والوارد من أموال الدولة أو الكتاب الرسائل أو نحوهم، وهي من وظائف الدولة ومقوماتها، وقد وضعت قوانين لتتولي هذه الوظائف، ولا يمكن أن يتولاها اي شخص إلا اذا توفرت به الصفات التي تؤهله لرئاسة أو العمل فيها وهذا ما اكده العهد الامام لملك جاء فيه « ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاهد، ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها.»^(٩٧)

- ديوان الجند -

فواجب هؤلاء الحماية الرعية والدولة ولا يمكن أي دولة أن تقوم بدون جيش يحميها ويحمي مؤسساتها وشعبها وإلا تكون لقمة سهلة لمن يريد افتراسها» فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاية، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم»^(٩٨)

وفضل الامام علي عليه السلام أن يكون رؤساء الجند من القبيل الذي أخذ من الجند

لان هولاء له سطوة على ابناء عشيرتهم « وليكن أثر رؤوس جنك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم، حتى يكون همهم همماً واحداً في جهاد العدو. فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك. » (٩٩)

وأكد عليه (عليه السلام) أن مؤسسة الجيش من أهم المؤسسات ويجب أن يتعامل معها بالعدل والانصاف، إضافة الى زرع الثقة بأنفسهم، ولا يستصغر العمل البطولي إذا صدر من صغير العمر، ولا تصغر عمل الكبير، فأن ذلك يؤدي الى أنهار الحالة المعنوية عند أفراد الجيش

« وإن أفضل قرة عين الولاية استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية. وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم، وقلة استئصال دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدتهم. فافسح في آمالهم، وواصل في حسن الشئاء عليهم، وتعدد ما أبلى ذوو البلاء منهم. فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله. ثم أعرف لكل امرئ منهم ما أبلى، ولا تضيفن بلاء امرئ إلى غيره، ولا تقصرن به دون غاية بلائه، ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً، واررد إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب ويشتهب عليك من الأمور فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ..﴾ فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة. » (١٠٠)

- رواتب الجيش -

حدد عليه السلام لواليه الاشر عطاء الجدد وعدالة العطاء بدون تمييز بقوله عليه

السلام » ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم.»^(١٠١)

- العيون

لابد للخليفة أو الوالي من متابعة سير الرعية دون علمهم ليقف على صدق التعامل معه أو مع غيره، ولأن إدارة الدولة من مسؤوليته فيجب أن يعرف ويعلم بكل صغيرة وكبيرة عن طريق أعوان له، وهو لا تجسس عليهم من أجل الضرر أو الاساءة اليهم بقدر متابعة أعمالهم ومكافئتهم وهم يعلمون ذلك أنهم مراقبون، فيجب عليهم الاخلاص في ما أوكل إليهم من مسؤوليات، وهذا الامر معمول به الى يومنا هذا والذي يعرف هيئة الرقابة المالية كما موجود في العراق، واستحدثت رقابة جديدة التي تعرف اليوم في بلادنا بالنزاهة، ووضع الامام علي (عليه السلام) صفات لهؤلاء العيون مما يدل على خطورة عمل هؤلاء في ما ينقل الى الخليفة أو الوالي وما جاء عنه في عهده الى مالك الاشرى يؤكد ذلك بقوله: ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأموهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية. وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اکتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة»^(١٠٢)

- مؤسسة الحسبة

الحسبة هي الامر بالعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله.^(١٠٣) ومتوليها مسؤول عن حالة الاسواق واستقرارها ووجد هذه المؤسسة منذ وجود الدولة العربية الاسلامية وكان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يقوم بها^(١٠٤)

وأوجب الفقهاء في متوليها جملة من الشروط، لأنها أصبحت علم قائم بذاته له قوانينه^(١٠٥) ومن هذه الشروط الواجب «...ان يكون حرا، عادلا، فقيها، عارفا بالاحكام الشرعية، ليعلم ما يأمر به وينهى عنه، ذكرا، مسلما، ذا اناة وحلم وتيقظ وفهم عارفا بجزئيات الأمور وسياسات الجمهور، لا يستنفره طمع ولا تلحقه اهواء، ولا تاخذه في الله لومة لائم مع مهابة تمنح من الادلال عليه وترهب الجاني لديه».^(١٠٦)

أما الشروط الواجب توفرها في متوليها فمنها «...ان يكون حرا، عادلا، فقيها، عارفا بالاحكام الشرعية، ليعلم ما يأمر به وينهى عنه، ذكرا، مسلما، ذا اناة وحلم وتيقظ وفهم عارفا بجزئيات الأمور وسياسات الجمهور، لا يستنفره طمع ولا تلحقه اهواء، ولا تاخذه في الله لومة لائم مع مهابة تمنح من الادلال عليه وترهب الجاني لديه».^(١٠٧)

أما موقعها فهي «...ما بين خطة القضاء وخطة الشرطة، جامعة بين نظر شرعي وديني وزجر سياسي سلطاني، فلعوموم مصلحتها وعظيم منفعتها...»^(١٠٨)

ويلخص ابن خلدون هذه الشروط بقوله «...يعين لذلك من يراه اهلا له...»^(١٠٩) ولهذه الاهمية فهي من اعظم الخطط إذ أن صاحبها «...يحتاج إلى كثير من القوانين وليس بعد خطة القضاء اشرف من خطة الحسبة».^(١١٠)

تتركز واجبات صاحب السوق على الأمور التالية «...كالبحت عن المنكرات... ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين وأهل السفن من الاكثار في الحمل والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة، والضرب على ايدي المعلمين...»^(١١١) وإلى جانب ذلك منع من «...تلقي السلع قبل أن تجيء إلى السوق... ذلك لما فيه من تغرير البائع، فانه لا يعرف السعر فيشتري منه بدون قيمة... منع الاحتكار لما يحتاج الناس إليه...»^(١١٢)

«... فإذا رأى المحتسب احداً قد احتكر من سائر الاقوات، وهو أن يشتري ذلك في وقت الغلاء، ويتربص ليزداد ثمنه الزمه ببيعه اجباراً...» (١١٣).

«وبمنع من اختلاط الرجال بالنساء في مواقف البيع... وينهى من التعامل بالربا» (١١٤) وقد تتداخل وظيفة المحتسب مع وظيفة القاضي ولكن حددت صلاحياته في أمور تخص عمله فقط فهو «... لا يتوقف حكمه على تنازع أو استعداد بل له النظر والحكم فيما يصل إلى عمله من ذلك ويرفع إليه وليس له امضاء الحكم في الدعاوي مطلقاً، بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعايش وغيرها في المكاييل والموازين وله أيضاً حمل المماطلين على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا انفاذ حكم وكأنه احكام ينزه عنها القاضي لعمومها وسهولة اغراضها فتدفع إلى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها على ذلك أن تكون خادمة لمنصب القضاء...» (١١٥)

وهذا ما أكدت عليه وثيقة الامام علي لواليه مالك الاشر جاء فيها

« ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً، المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلاها من المباعد والمطارح، في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته، وصلاح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك. اعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضررة للعامة وعيب على الولاية. فامنع من الإحتكار فإن رسول الله ' منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به، وعاقب في غير إسراف...» (١١٦)

- ردّ المظالم

تعد ولاية النظر في المظالم نوعاً من القضاء العالي، وسلطة الناظر في المظالم أعلى من سلطة القاضي، وهي تنظر في المنازعات ما لا ينظر القاضي بل هي تنظر ظلامة الناس منه وتمنع الظالم من الرعية، ويقول الماوردي في تعريفه لهذه الخطة والصفات التي يجب أن يحملها صاحبها بقوله «... ونظر المظالم هو قود المتظلمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة، فكان من شروط الناظر أن يكون جليل القدر نافذ الأمر عظيم الهيبة ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع، لأنه يحتاج في نظره إلى الحماية وثبت القضاة... فإن اقتصر به على تنفيذ ما عجز القضاة عن تنفيذه وامضاء ما قصرت يدهم عن إمضائه... لا تاخذه في الحق لومة لائم...»^(١١٧)

ويؤكد ابن خلدون ذلك بقوله «... والنظر في المظالم هي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفه القضاء، وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدي وكأنه يمضي ما عجز القضاة أو غيرهم عن امضائه...»^(١١٨). وبهذا فإن متولي ردّ المظالم يكون أعلى من كل مؤسسات الدولة وهو رقيب على أعمالهم، وبهذا فيفضل أحياناً أن يجلس الوالي أو الخليفة للنظر بشكاوى الرعية حتى لو كانت على الخليفة أو الوالي، فربما ظلم أحدهم دون قصد وهو لا يعلم، وقد أكد عهد الامام علي (عليه السلام) على ذلك لواليه بقوله: «

ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها: منها إجابة عمالك بما يعيى عنه كتابك. ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تخرج به صدور أعوانك. وأمض لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الأقسام، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية. وليكن في خاصة ما تخلص به الله دينك، إقامة فرائضه التي هي له خاصة. فأعط

الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووفّ ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص، بالغاً من بدنك ما بلغ. وإذا أقمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ولا مضيعاً، فإن في الناس من به العلة وله الحاجة. وقد سألت رسول الله ' حين وجهني إلى اليمن: كيف أصلي بهم؟ فقال: صل بهم كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيماً. » (١١٩)

وحذره من أن يستغل أقاربه منصبه ويتحدثون للناس بأسمه وهو لا يعلم ذلك فيستغل هولاء الرعية، فعليه معاقبتهم بقوله (عليه السلام): « وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإن مغبة ذلك محمودة » (١٢٠)

- رواتب موظفون في الدولة -

أكد الامام علي (عليه السلام) في عهده الى واليه على مسألة مهمة وخطيرة وهي أرزاق الموظفين أو رواتبهم، لان الموظف العامل في الدولة يقضي جلّ وقته في العمل في مؤسسته فلا يستطيع أن يعمل عمل ثاني، لكي يستعد ليوم آخر كله نشاط لاجل خدمة الرعية ومؤسسته واكمال اعماله على وجه الصحيح والدقة، والاكتفاء الذاتي للموظف مهم جدا فيما يخص راتبه بحث يتساوي مع متطلباته المعيشية، فأى خلل في راتبه بالنقصان يؤدي الى نقص كفاءته وكفاءة عمله، مما سيؤدي الى الخلل في سير الدولة الاداري، مما يطر البعض الى الرشوة لتعويض هذا الخلل أو النقصان والرشوة تعني مرض سرطاني يسري في جسم الدولة الى أن يسقطها، ومن هنا أكد الامام علي (عليه السلام) على هذا الامر بعهدده « ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محابة وأثرة، فإنها جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً، ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن

ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك.» (١٢١)

- الخراج

أن النظام المالي في الاسلام واضح المعالم، مستقل كل الاستقلال، وأكثر مبادئ هذا النظام وقواعده أقرها القرآن الكريم، وفصلها الرسول محمد ص ووضحها للمسلمين، فالزكاة أو العشر (١٢٢) يفرض على الاغنياء من مالهم للفقراء وهي أول ضريبة فرضت في الاسلام على الميسورين كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ، لِّلْسَائِلِ وَالْمُحْرُومِ﴾ (١٢٣) وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٢٤)، وتم تحديدها ٢ / ٥ ٪ (اثنان ونصف بالمائة) (١٢٥)

أما الخراج: فهو يفرض على الارض وحسب سقايتها، وقد وردت هذه اللفظة بالقرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (١٢٦)، كان الخراج أما عيني أم نقدي (مقدار من الحاصلات الزراعية أو غلال أو أموال نقدية) (١٢٧)، لذا يتوجب العدالة في أخذها لان أذاق الناس تعتمد على ما تنتجه الارض طوال السنة، وما يعانىة الفلاح من صعوبات وآلام من الانتظار، إضافة الى ما يتعرض له المحصول من أفات زراعية أو قلة المياه أو الامطار فيجب أخذ كل ذلك بالحسبان عند فرض الخراج وعلى الوالي أن يشرف ويتابع بنفسه هذا الامر وهذا ما أكد عليه الامام في عهده « وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله. وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن

شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم، فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما يؤتى خراب الأرض من إغواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاية على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبء...» (١٢٨)

- ديوان الكتابة

الكتابة هي لفظ مشتق من كتب ومعناها الجمع، ويقال تكتب القوم اذا اجتمعوا» ولهذا سمي « الكتاب كتابا لانه يجمع بين الحروف ويضم بعضها بعضا». (١٢٩)

لقد ورد هذا اللفظ في عدد من الايات القرآنية كقوله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ (١٣٠) وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (١٣١) و(اعظم شاهد لجليل قدرها، واقوى دليل على رفع شأنها أن الله تعالى نسب تعليمها إلى نفسه، واعتده من وافر كرمه وأفضاله وقال عز اسمه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (١٣٢) مع ما يروى أن هذه الآية مفتتح الوحي وأول التنزيل على اشرف نبي وأكرم مرسل (صلى الله عليه وآله) وفي ذلك من اهتمام بشأنها ورفعة محلها ما لا يخفاء فيه» (١٣٣).

لقد بدأت هذه الوظيفة مع بداية الدولة العربية الاسلامية، ففي عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) كان هناك نوعان من الكتاب هما (كتاب الوحي، وكتاب الرسائل) وفي عهد الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ونتيجة لتوسع الدولة العربية الاسلامية اصبح الكتاب موظفين يقومون باعمال ثابتة يتقاضون عليها راتباً، ولهذا فان هذه الوظيفة كانت تعهد الى اناس من ارفع الطبقات في المجتمع. (١٣٤)

ثم تطورت هذه الوظيفة بتطور الحياة السياسية وتوسع الدولة العربية الاسلامية في العصر الاموي، فاصبح هناك كتاب للوظائف عديدة منها (كتاب الرسائل، كتاب للجند، كتاب لعمال الجبايات، كتاب الشرطة، اما في العصر العباسي فكانت كتابة الرسائل من اختصاصات الوزير في بداية دولتهم، ولكثرة مسؤوليات الوزير انفصلت وأصبحت مستقلة لها موظفوها، وكان كبيرهم يدعى (برئيس الانشا)، (١٣٥) مما يدل على أهميتها وخطورتها لانه يطلع على كل اخبار الدولة وتفصيلها، لذا وجبت عليه أن تتوفر صفات في متوليها، منها الحلم، الفهم، كتوما للأسرار، قد نظر في كل علم فأحكمه، يعرف بغزارة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته، مايرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره، فيعدل لكل أمر عدته وعتاده، ويهي لكل وجه هيبته وعادته. (١٣٦)

وهذا ما أكد له الامام في عهده الى واليه مالك الاشر بقوله: « ثم انظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق، ممن لا تبطره الكرامة فيجتري بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاً، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك، وإصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطي منك. ولا يُضعف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل. ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن

الظن منك، فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاية بتصنعهم وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء. ولكن اخترهم بما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره، واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها، ولا يتشتت عليه كثيرها، ومهما كان في كتابك من عيب فتغايبت عنه ألزمته» (١٣٧)

الاستنتاجات

أكد عهد الامام علي بن أبي طالب الى واليه مالك الاشر على جملة من الامور الاتية

- ١- أن يكون محباً للرعية، لكافة أديانهم ومذاهبهم.
- ٢- أن يكون مسامحاً وأن يعفو ويصفح عمن أساء واجترأ عليه، أو على خاصته.
- ٣- أن لا يكون هناك تميز في عطاءاته من بيت المال بين المسلمين سواء كانوا اقرباء أو غيرهم، فهم سواسية عنده.
- ٤- إقامة العدل بين الرعية ومن أجله ارسل الانبياء الى الناس، لان بدون العدل تتحول الحياة الى طبقتين هما عبيد ومتسلطون. فبالعدل فقط تقوم الأنظمة وتستمر، ويصير للحياة مفهومها ومعناها.
- ٥- أن تكون هناك علاقة طيبة بين الوالي والرعية، لأن رضا العامة يعني ثبات النظام، وكذلك يكونوا له سند من كل من تسول له نفسه.
- ٦- اختيار الافضل ومن تتوفر به الخصال والصفات لتولى مؤسسات الدولة وأبعاد الميل والمحاباة على حساب مصلحة الرعية أو الدولة ومسيرتها أي ما تسمى بالمهنية.
- ٧- أن يختار مساعديه من الوزراء ممن تختارهم الناس ولم يكون عليهم مؤشر سابق

من ظلم أو فساد.

٨- أن لا يساوي بين محسن ومسيء لأنَّ في ذلك قطعاً لسبب الإحسان، وتقليلاً للفاعلين له، وتشجيعاً للمسيئين على الإساءة.

٩- التأكيد على الاعمال الصالحة والسنن التي خلفها السلف الصالح ولا يحق له تغييرها،

١٠- أكد عليه عليه السلام، أن تكون نظرتَه لرعيته نظرية رياضية من خلال أقسام المجتمع فلكل قسم منها احتياجاته الخاصة به، ولا يمكن التساوي في الحاجات، ولكن هذه الاقسام تشكل نظام واحد عنده من خلال نظرتَه وعدالته وسياسته اتجاه كل قسم من هذه الاقسام، لهذا فيتطلب منه وضع مسؤول لكل قسم من أقسام المجتمع لتبينة ما يحتاجونه أو تنظيم ما يقومون به.

١١- متابعة الطبقات الفقيرة من المجتمع، وتوفير السبل من عيش أو أدوات للنهوض بها فالنهوض بها اقتصادياً يعني النهوض بالدولة ولا يصبح هؤلاء فقط للاستهلال بدون أنتاج،
أضافة الى نشر العدل بين أبنائها.

١٢- أكد عليه (عليه السلام) أن يهتم بالجيش اهتمام كبير كاهتمام بأولاده، لما لجيش من أهمية كبيرة في الدفاع عن الوطن وحماية مؤسسات الدولة، وأن يهتم برواتبهم، وأن يولي شرفائهم وكبارهم لقيادة الجيش لما لهؤلاء من سطوة واحترام لدى أفراد قبائلهم.

١٣- أكد عليه (عليه السلام) على الصلح إذا طلب منه العدو ذلك، ولكنه حذرَه أن يكون يقضاً لربها كان الصلح هو وقت ليتقوى به العدو للهجوم.

١٤ - أكد عليه أن لا يكون همه كيف يأخذ الخراج من الناس، وإنما أخذ هذه الاموال ليصرفها على تطوير الدولة من شق الانهار وتقوية اسوار المدينة وشراء أدوات للجيش، وليس صرفها على الملذات والخلان.

١٥ - أعتمد هذا العهد في الامم المتحدة كأحد مصادر التشريع للقانون الدولي، لما فيه من مبادئ انسانية، علاوة على ذلك لكونها من أوائل الرسائل الحقوقية والتي تحدد الحقوق الواجبات بين الدولة والشعب.

الهوامش

- ١ ،مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث، ٢٤٠٨، ص ١٠٤٣ .
- الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث ٣٧٩٢، ص ٨٥٨ .
- ٢ ،أبن سعد، الطبقات، مج ٦، ص ٢١٣
- الكندي، الولاة والقضاة، ص ٢١-٢٣
- الزركلي، الاعلام، ج ٥، ٢٥٩ .
- ٣ ،أبن قتيبة، المعارف، ص ١١٣
- الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٢٤ .
- أبن الاعثم، الفتوح، ج ٢، ١٧٣-١٧٥ .
- ٤ ،البلاذري، أنساب الاشراف، مج ٢، ص ٢١٨ .
- أبن حبان، الثقات، مج ١، ص ٢٢٩ .
- البلخي، البدا والتاريخ، ج ٢، ص ٢٢٩ .
- ٥ ،أبن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٣٠٣-٣٠٥ .
- أبن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ١١-١٢ .
- ٦ ،ابن منظور، لسان العرب، مج ٢، ص ١٦٠-١٦١
- ٧ ،المصدر نفسه، مج ٢، ص ١٦٠-١٦١ .
- ٨ ،التوبة، آية ١٠٩
- ٩ ،التوبة، آية ١١٠
- ١٠ ،النحل، آية ٢٦
- ١١ ،الكهف، ٢١
- ١٢ ،الصفات، آية ٩٧
- ١٣ ،الصف، آية ٤
- ١٤ ،النبأ، آية ١٢
- ١٥ ،سورة ق، آية ٦
- ١٦ ،الشعراء، آية ١٢٨
- ١٧ ،الذاريات، آية ٤٧
- ١٨ ،القصص، آية ٣٨
- ١٩ ،غافر، آية ٣٦

- ٢٠ ، البقرة، آية ٢٢
- ٢١ ، غافر، آية ٦٤
- ٢٢ ، سورة ص، آية ٣٧.
- ٢٣ ، الزمر، آية ٢٠.
- ٢٤ ، ابن منظور، لسان العرب، مج ٦، ص ١٦٣.
- ٢٥ ، لمزيد من الاطلاع ينظر، الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١٧ - ٤٨.
- ابو يعلى الفراء، الاحكام السلطانية، ص ٣ - ٤٨.
- ٢٦ ، الامام علي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٩٥.
- ٢٧ ، الأنعام، آية ٥٠.
- فاطر، آية ١٩.
- الرعد، آية ١٦.
- غافر، آية ٥٨.
- ٢٨ ، الزمر، آية ٩.
- ٢٩ ، البقرة، آية ٣٠
- ٣٠ ، ص، آية ٢٦
- ٣١ ، النساء، آية ٥٨
- ٣٢ ، النحل، آية ٧٦
- ٣٣ ، النحل، آية ٩٠
- ٣٤ ، الحجرات، آية ٩
- ٣٥ ، الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث ١٣٢٩، ص ٣٤٣.
- ٣٦ ، ابن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١، ص ٢٣٢.
- ٣٧ ، الامام علي ابن ابي طالب، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٨٢ - ٨٣.
- ٣٨ ، مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث ١٨٢٩، ص ٨٢٥.
- ٣٩ ، الامام علي ابن ابي طالب، نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٣ - ١٠٤.
- ٤٠ ، الامام علي ابن ابي طالب، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٨٣.
- ٤١ ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٨٣.
- ٤٢ ، الامام علي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٥.
- ٤٣ ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٠٨.

- ٤٤ ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٠٨ .
- ٤٥ ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٠٩ .
- ٤٦ ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٠٩ .
- ٤٧ ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٠ .
- ٤٨ ، لقمان، آية ١٨ .
- ٤٩ ، الحديد، آية ٢٣ .
- ٥٠ ، الامام علي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ١١٠ .
- ٥١ ، ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٢٥-١٢٦
- البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث ٢٢٦٢
- ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج ١، ص ٢١٨ .
- ٥٢ ، الضحى، آية ٨
- ٥٣ ، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مج ١، ص ١٤٩ .
- ٥٤ ، المصدر نفسه، مج ١، ص ١٧٧ .
- ٥٥ ، الامام علي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٨٤ .
- ٥٦ ، البقرة، آية ١٤٣
- ٥٧ ، الامام علي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٤ .
- ٥٨ ، القلم، آية ١٣
- ٥٩ ، ابن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ج ٢، ص ٥٤٦-٥٤٧ .
- ٦٠ ، الامام علي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٨٦ .
- ٦١ ، البقرة، آية ١٧٧ .
- ٦٢ ، النساء، آية ٣٦ .
- ٦٣ ، التوبة، آية ٦٠ .
- ٦٤ ، الحشر، آية ٧ .
- ٦٥ ، الامام علي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٠ .
- ٦٦ ، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، كلمة شار، ص ٣٩٢ .
- ٦٧ ، ابن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١، ص ٢٩٤ .
- ٦٨ ، الشورى، آية ٣٨ .
- ٦٩ ، الطرطوشي، سراج الملوك، ص ١٨٥ .

- ٧٠ ، المصدر نفسه، ص ١٨٩ .
- ٧١ ، هود، آية ٣٤ .
- ٧٢ ،ابن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١، ص ٢٩٧، ٣٠٦ .
- ٧٣ ، الامام علي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٨٧ .
- ٧٤ ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٨٩ .
- ٧٥ ، الامام علي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٩١ .
- ٧٦ ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٠٤ .
- ٧٧ ، الامام علي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٨ .
- ٧٨ ،ابن خلدون، المقدمة، مج ١، ص ١٨٦-١٨٧ .
- ٧٩ ،الثعالبي، تحفة الوزراء، ص ٣٩-٤٠ .
- المرادي، الاشارة إلى أدب الوزارة، ص ٧٧ .
- النبراوي، النظم الإسلامية والحضارة الإسلامية، ص ٦٦ .
- الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه الادارية والسياسية والادبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، ص ١٠١ .
- ٨٠ ، أبو يعلى الفراء، الاحكام السلطانية، ص ١٣ .
- ٨١ ، سورة القيامة، ١١ .
- ٨٢ ، سورة طه، ٢٩-٣٢ .
- ٨٣ ،ابن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١، ص ٣٣٥-٣٤٠ .
- ٨٤ ، الامام علي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٨٧ .
- ٨٥ ، طه، آية ٣٢ .
- ٨٦ ،الفرقان، آية ٣٥ .
- ٨٧ ،الأعراف، آية ١٤٢ .
- ٨٨ ،ابن خلدون، المقدمة، مج ١، ص ٢٤٧ .
- ٨٩ ، المصدر نفسه، مج ١، ص ٢٤٧ .
- ٩٠ ، الامام علي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٨٩ .
- ٩١ ،الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ١١٠-١٢٧ .
- ابن العربي، إنشاء الدوائر، ص ١٥٦ .
- العلي، قضاة بغداد في العصر العباسي، ص ٤٥ .

- طانية، القضاة في الإسلام، ص ١٩٦ .
- ٩٢ ، النباهي، المرقية العليا، ص ٢ .
- ٩٣ ، عمران، آية ٤٧ .
- سورة مريم، آية ٣٥ .
- غافر، آية ٦٨ .
- ٩٤ ، القران الكريم، النساء سورة، آية: ١٤١ .
- ابن الربيع، سلوك الممالك فس تعبير الممالك، ص ١٦١ .
- الماوردي، أدب القاضي، ج ١، ص ٦٢٦ .
- الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٥٩ .
- ابن فرحون، تبصرة الحكام، ج ١، ص ١٧-١٨ .
- ٩٥ ، ابن حزم، أبي محمد علي، المحلى، ج ٩، ص ٣٩٣ .
- النباهي، نزهة البصائر والابصار، ص ١٣٨ .
- السيد السابق، فقه السنة، ج ٣، ص ٣٩٥-٣٩٦ .
- زيدان، النظام القضائي، ص ٣١ .
- ٩٦ ، الامام علي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٩٠ .
- ٩٧ ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٩٠ .
- ٩٨ ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٩٠ .
- ٩٩ ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٩٠ .
- ١٠٠ ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٩٢-٩٣ .
- ١٠١ ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٩٠ .
- أبن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١، ص ١٨٥ - ١٩٥ .
- الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ٢٩٧ - ٣٠٦ .
- ١٠٢ ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٩٠ .
- ١٠٣ ، ابو يعلى الفراء، الاحكام السلطانية، ٢٦٨ .
- ١٠٤ ، الكتاني، عبد الحي، التراتيب الادارية، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د-ت)، ج ١، ٢٨٤-٢٩٠ .
- ١٠٥ ، ابو يعلى الفراء، الاحكام السلطانية، ٢٦٨ .
- ١٠٦ ، الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ٢٣١ .

- ابو يعلى الفراء، الاحكام السلطانية، ٢٦٨.
- السقطي، في اداب الحسبة، ص ٥.
- محمد بن احمد، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ١٠-١٣.
- ١٠٧ ،الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ٢٣١.
- السقطي، في اداب الحسبة، تحقيق، ص ٥.
- محمد بن احمد، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ١٠-١٣.
- ١٠٨ ، المجليدي، التسير في احكام التسعير، ص ٤٢-٤٥
- هوبكنز، النظم الإسلامية، ص ٢٢٧-٢٢٨.
- ١٠٩ ،ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٢٥
- ابن الأزرق، بدائع السلك، ج ١، ص ٢٦٢.
- ١١٠ ، الجرسقي، رسالة في ادي الحسبة، ص ١١٩-١٢٠.
- ١١١ ، ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٢٦.
- ١١٢ ، ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، ص ١١١.
- ١١٣ ، ابن الاخوة، معالم القراية، ص ٦٥.
- ١١٤ ، الاسدي، التيسر والاعتبار والتخير فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختبار، ص ١١٦.
- الفاسي، خطة الحسبة، ص ٥٧-٧٢.
- ١١٥ ، ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٢٥.
- ١١٦ ، الامام علي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٩٩-١٠١.
- ١١٧ ، ابن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٦٣.
- الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ٧٣.
- ١١٨ ، ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٢٢.
- صالح، النظم الإسلامية، ص ٣٢٥.
- هوبكنز، النظم الإسلامية، ص ٢٣١-٢٤٠.
- ١١٩ ، الامام علي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٢.
- ١٢٠ ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٠٤-١٠٥.
- ١٢١ ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٩٥.
- ١٢٢ ، القرشي، الخراج، ص ١١٢.

- ١٢٣ ، المعارج، آية ٢٥
- ١٢٤ ، التوبة، آية ١٠٣
- ، الصالح، النظم الاسلامية، ص ٣٥٥-٣٥٨.
- ، المؤمنون، آية ٧٢.
- ١٢٥
- ١٢٦
- ١٢٧ ، الصالح، النظم الاسلامية، ص ٣٥٩-٣٦٢.
- ، الامام علي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٩٧.
- ١٢٨
- ١٢٩ ، ابن منظور، لسان العرب (مادة كتب) ج ١، ص ١٩٢-١٩٦.
- النويري، نهاية الارب، ج ٧، ص ١.
- باشا، الفنون الاسلامية، ج ٢، ص ١٩٥.
- ١٣٠ ، سورة البقرة، آية ٢٨٢
- ١٣١ * لقد جاءت هذه اللفظة باوجه عدة. لمزيد من الاطلاع انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس
لالفاض القران الكريم، ص ٥٩١-٥٩٥.
- ، سورة البقرة، آية ٢٨٣.
- ١٣٢ ، سورة العلق، الآية ١- 5.
- ١٣٣ ، القلقشندي، صبحي الاعشى، ج ١، ص ٣٥.
- ١٣٤ ، ابن خلدون، المقدمة، ص ١٩٥.
- شلبي، السياسة والاقتصاد، ص ١٤٦-١٥١.
- أحمد، كتاب الدواوين حتى نهاية العصر الاموي في كتاب تجارب الأمم وتعاقب المهمم عند، ص ٢٢١.
- ١٣٥ ، ابن عبد البر، ابو يوسف عبد الله، القرطبي، بهجة المجالس وانس المجالس وشحن الذهن
والهاجس، ق ١، ص ٣٥٧.
- الخطيب، مدخل الى الحضارة، ص ٨٠-٨١.
- الصالح، النظم الاسلامية، ص ٣٠٤.
- ١٣٦ ، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مج ١، ص ٢٦١.
- ١٣٧ ، الامام علي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٩٨-٩٩.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الاثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي مكرم ت ٦٣٠ هجرية، الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط ٢، دار المرفعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧ م.
- أمحمد، عبد الله صباح، كتاب الدواوين حتى نهاية العصر الاموي في كتاب تجارب الأمم وتعاقب الامم عند مسكويه (ت ٤٢١ هجرية)، ط ١، العراق، ٢٠١٤.
- ابن الاخوة، محمد بن احمد القريشي، ت ٧٢٩ هجرية، معالم القرابة في أحكام الحسبة، تحقيق: روبن ليوي، دار الفنون، كمبرج، ١٩٣٧.
- ابن الازرق، ابو عبد الله محمد بن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملك، دراسة وتحقيق: د. محمد بن عبد الكريم، دار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، د. ت.
- الاسدي، محمد بن محمد بن خليل، التيسر والاعتبار والتخير فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختبار، تحقيق د. عبد القادر احمد طلبيات، ط ١، مطبعة دار الفكر العربي، القاهرة.
- ابن الاعثم، أبي محمد أحمد الكوفي (ت ٣١٤ هجرية)، الفتوح، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، ط ١، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، (د، ت).
- البخاري، ابي عبد الله، ت ٢٥٦ هجرية. صحيح البخاري، ط ١، دار الصادر، بيروت، ٢٠٠٤.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩ هجرية) أنساب الاشراف، تحقيق: محمد محمد تامر، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١١ م.
- البلخي، أحمد بن سهل (ت ٣٢٢ هجرية)، البدأ والتاريخ، تحقيق: خليل عمران المنصور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧.
- الترمذي، أبي عيسى بن سورة، ت ٢٩٧ هجرية، سنن الترمذي، ضبط وتصحيح: خالد عبد الغني محفوظ، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠٨.
- ابن تيمية، تقي الدين (٧٢٨)، الحسبة في الإسلام، دار الفكر، بيروت - لبنان، د. ت.
- الثعالبي، ابو المنصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هجرية)، تحفة الوزراء، تحقيق: حبيب علي الراوي وآخرون، ط ٢، الخنساء، بغداد، ٢٠٠٢.
- الجرسقي، عمر بن عثمان، رسالة في ادي الحسبة، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥.
- ابن جعفر، قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق حسين الزبيدي، مطبعة الحرية، بغداد، ١٩٨١ م.
- ابن الجوزي، جمال الدين ابي الفرج، ت ٥٩٧، صفوة الصفوة، تحقيق: عبد الرحمن اللادقي وآخرون، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٧ هجرية - ١٩٩٦ ميلادية، ج ١، ص ٢١٨.
- ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني، (ت ٨٥٢ هجرية)، تهذيب التهذيب، دار

- صادر، بيروت، لبنان، (د. ت).
- أبو حبان، أبي حاتم محمد التميمي السبتي (ت ٣٥٤ هجرية)، الثقات، تحقيق: إبراهيم شمس الدين وآخرون، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨.
- ابن حزم، علي أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هجرية)، المحلى، تصحيح أحمد محمد شاكر، تحقيق: لجنة أحياء التراث العربي، دار الجليل، بيروت، د. ت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، ت ٨٠٨ هجرية، تاريخ ابن خلدون، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠٦، مج ١، ١٤٩.
- أدب القاضي، تحقيق: د. محي هلال سرحان، الرشاد، بغداد، ١٩٢٩.
- الرفاعي، انور، الإسلام في حضارته ونظمه الادارية والسياسية والادبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣ م.
- ابن الربيع، شهاب الدين أحمد بن محمد، سلوك الملوك في تدبير الممالك، تحقيق: ناجي التكريتي، ط ٣، دار الاندلس، بغداد، ١٩٨٠.
- الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط ١٦، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.
- زيدان، بد الكريم، النظام القضائي النظام القضاء في الشريعة الاسلامية، ط ١، العاني، بغداد، ١٩٨٤.
- السابق، السيد، فقه السنة، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧١.
- ابن سعد، محمد، ت ٢٣٠ هجرية، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، لبنان، (د-ت).
- السقطي، أبو عبد الله محمد، في اداب الحسبة، تحقيق ج. س كولان وليفني بروفنسال، مطبعة الدولية، باريس، ١٩٣١.
- شلبي، د. أحمد، السياسة والاقتصاد في التفكير الاسلامي، لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٦٤.
- صالح، د. صبحي، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٦٩.
- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هجرية)، تاريخ الطبري، ط ١، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- الطرطوشي، ابو بكر، سراج الملوك، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥.
- ابن عبد البر، ابو يوسف عبد الله، القرطبي ت ٤٦٣ هجرية، بهجة المجالس وانس المجالس وشحن الذهن الهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، مراجعة د: عبد القادر قط، دار المصرية للتأليف ترجمة، القاهرة، ١٩٦٧ م.
- ابن العربي، محي الدين، انشاء الدوائر، ليدن، ١٣٣٩.
- العلي، د. صالح، قضاة بغداد في العصر العباسي، دراسة في الادارة الاسلامية، مجلة المجمع العراقي، مجلد ١٨، سنة ١٩٧٩.
- الامام علي ابن ابي طالب، نهج البلاغة، شرح محمد عبدة، مكتبة النهضة العربية، (د-ت).

- الفاسي، عبد الرحمن، خطة الحسبة، مجلة المناهل، ٨ع، ٧، الرباط، ١٩٨٠.
- ابن فرحون، برهان الدين بن ابراهيم بن علي، ت ٧٩٩ هجرية، تبصرة الاحكام في أصول الاقضية ومناهج الاحكام، مراجعة: د. عبد الرؤوف سعد، ط ١، القاهرة الحديثة، مصر، ١٩٨٦.
- الفيروز آبادي، ت ٨١٧ هجرية، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، أعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشي، ط ٢، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ هجرية، ٢٠٠٣ ميلادية.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هجرية)، المعارف، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢ م.
- القرشي، يحيى ابن آدم، الخراج، تحقيق: أحمد شاکر، دار المعرفة للطباعة، بيروت، ١٩٧٩.
- القلقشندي، أحمد بن علي، ٨٢١ هجرية، صبح الاعشا في صناعة الانشا، الاميرية، القاهرة، ١٩١٧.
- الكتاني، عبد الحي، التراتيب الادارية، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د-ت).
- الكندي، محمد بن يوسف بن يعقوب (٣٥٣ هجرية) الولاة والقضاة، تحقيق: محمد حسن أسماعيل وآخرون، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الماوردي، ابي الحسن علي بن محمد ابن حبيب البصري (ت ٤٥٠ هجرية)، الاحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧ هجرية - ٢٠٠٦ ميلادية.
- محمد بن احمد، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨.
- ٣٧- المجليدي، احمد سعيد، التسير في احكام التسعير، تحقيق موسى لقبال، مطبعة الشركة الوطنية، الجزائر، د.ت.
- المرادي، ابو بكر محمد بن الحسن، الاشارة إلى أدب الوزارة، تحقيق: د. رضوان السيد، ط ١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١.
- مسلم، ابي الحسن مسلم بن الحجاج ت ٢٠٦-٢٦١ هجرية، صحيح مسلم، ط ١، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، رقم الحديث، ٢٤٠٨.
- ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط ٦، دار صادر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨.
- النباهي، علي بن عبد الله (ت ٧٩٣ هجرية)، المرقبة العليا فمن يستحق القضاء والفتيا، المكتبة التجارية، بيروت، لبنان، د، ت.
- النبراوي، د. فتحية، النظم الإسلامية والحضارة الإسلامية، دار السعودية للنشر، الرياض، ١٩٨٥.
- هوبكنز، ج، ف، ب، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، دار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨٠.
- ابو يعلى الفراء، محمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هجرية)، الاحكام السلطانية، تحقيق: حامد الفقي، ط ٣، مط: البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٨.

المحتويات

الحكم الرشيد في ادارة مؤسسات الدولة

قراءة على هدي عهد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)

لمالك الأشتر (رضي الله عنه)

المستخلص	٩
المصطلحات والمختصرات	٧
الفصل الأول: المبحث الأول - المنهجية	١٠
المقدمة:	١٠
أولاً / مشكلة الدراسة:	١١
ثانياً / هدف الدراسة:	١٢
ثالثاً / أهمية الدراسة:	١٢
المبحث الثاني: عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) ...	١٣
أولاً / سند العهد	١٣
ثانياً / نص العهد	١٣
ثالثاً / دراسة العهد من قبل بعض الباحثين	٢٥
رابعاً / قالوا في العهد	٢٧
الفصل الثاني: المبحث الأول: الحكم الرشيد	٢٩
المقدمة:	٢٩
أولاً / معنى الحكم الرشيد لغة واصطلاح	٢٩
ثانياً: الحكم الرشيد في القرآن الكريم	٣٠
ثالثاً / الحكم الرشيد في عصر ثورة المعلومات:	٣١
رابعاً / مكونات الحكم الرشيد في عصر ثورة المعلومات:	٣١
المبحث الثاني: منهجية الحكم الرشيد (الحوكمة الإلكترونية)	٣٥
١ - عناصر الحكم الرشيد (الحوكمة الإلكترونية E-Governance)	٣٥
- عنصر الشفافية وماذا تعني:	٣٥

- ٣٧ - عنصر المشاركة وماذا تعني :
- ٣٨ - عنصر الموثوقية وماذا تعني :
- ٣٩ - عنصر العدالة والمساواة وماذا تعني :
- ٤٠ - عنصر الفاعلية وماذا تعني :
- ٤١ - عنصر المساءلة وماذا تعني :
- ٤٢ - عنصر الأتقان الإداري وماذا تعني :
- ٤٣ - عنصر الخدمة التنظيمية وماذا تعني :
- ٤٤ - عنصر التكاملية وماذا تعني :
- ٤٥ - عنصر التنبؤ وماذا يعني :
- ٤٦ - ٢- مستويات الحكم الرشيد (الحوكمة الالكترونية)
- ٤٧ - ٣- المتطلبات الأمنية للحكم الرشيد (الحوكمة الالكترونية) :
- الفصل الفصل الثالث المبحث الأول: عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشر (رضي الله عنه) ومحركاته لعصر ثورة المعلومات
- ٥٥ المقدمة :
- ٥٦ أولاً / توظيف العهد والأمم المتحدة:
- ٥٧ ثانياً / المحاور الرئيسية والفرعية للعهد والسعي لأقامة للحكم الرشيد:
- ٥٩ ثالثاً / العهد ومحركاته لمنهجية الحكم الرشيد في عصر ثورة المعلومات:
- ٦٢ (١) المحاور الرئيسة للعهد :
- ٦٢ (٢) منهجية الحكم الرشيد (E-Governance) في عصر ثورة المعلومات:
- ٦٣ المبحث الثاني : المحاور الفرعية للعهد
- ٦٣ أولاً / المحاور الفرعية للعهد والتنمية المستدامة:
- ٦٥ - الحريات السياسية
- ٦٥ - التسهيلات الاقتصادية
- ٦٥ - الفرص الاجتماعية :
- ٦٦ ثانياً / قراءة العهد في ظل الحكم الرشيد (الحوكمة الألكترونية) :
- ٦٩ الفصل الرابع: المبحث الأول: الأستنتاجات
- ٧٢ المبحث الثاني: التوصيات

٧٤.....	الهوامش
٨١.....	المصادر

مبادئ الإدارة وفق المنهج القرآني منهج الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) نموذجاً ممثلاً برسالته لمالك الأشتر (رضي الله عنه) حين ولاه مصر

٨٥.....	مقدمة:
٨٧.....	المبحث الأول: المنهجية العلمية للبحث
٨٧.....	أولاً:- مشكلة وأهمية البحث:
٨٧.....	ثانياً:- الهدف من البحث:
٨٨.....	رابعاً:- منهج البحث:
٨٨.....	خامساً:- حدود البحث:
٨٩.....	المبحث الثاني: مفهوم ومبادئ الإدارة من منظور الفكر الغربي
٨٩.....	- مفهوم الإدارة:
٩٠.....	- الإدارة هل هي علم أم فن؟
٩١.....	- علاقة الإدارة بأخلاقيات المهنة
٩١.....	- مبادئ الإدارة الرئيسة عند تايلور
٩٢.....	- مبادئ الإدارة الرئيسة عند هنري فايول
٩٤.....	المبحث الثالث: مبادئ الإدارة وفق المنهج القرآني
٩٥.....	- تعريف الإدارة لغة
٩٥.....	- تعريف الإدارة في الإسلام:
٩٥.....	- النظام الإداري في الإسلام:
٩٦.....	- النظرية الإسلامية:
٩٦.....	- مقارنة بين مفهوم الإدارة العامة المعاصرة والإدارة الإسلامية:
٩٧.....	- المنهج الإداري الإسلامي:
٩٨.....	- المبادئ الإدارية التي أكد عليها امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب
١٠٦.....	الخاتمة:
١٠٨.....	المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات

١١١	الهوامش
١١٥	المصادر

مبادئ الادارة والقيادة

في عهد الامام امير المؤمنين (عليه السلام)

١٢٢	أهداف البحث :
١٢٣	تركز مبادئ الادارة في العهد على المطالب التالية
١٢٣	اولا- الادارة من موقع العبودية (مبدأ الاعتقاد).
١٢٥	ثانيا- وحدة الاوامر وسلسلة المراتب:
١٢٧	ثالثا- تزكية النفس وكسر الشهوات:
١٣٠	رابعا- الراي العام ومبدأ التوقعات:
١٣٥	خامسا : معايير نجاح المنظومة الإدارية
١٤٠	سادسا : ما يجب على المسؤول اجتنابه في المنظومة الإدارية:
١٤٢	سابعا- وسائل التحكم والسيطرة على النفس:
١٤٦	ثامنا : الانصاف والعدل مع الرعية:
١٤٨	تاسعا- الانضباط والمساواة:
١٤٩	عاشر ا : معايير تقييم العاملين في المنظومة الإدارية:
١٥٢	الحادي عشر - الرقابة والتحكيم والتقويم:
١٥٣	الثاني عشر - التحفيز:
١٥٤	الثالث عشر:- تغليب المصالح العامة على المصالح الشخصية(الأرستقراطية):
١٥٥	الرابع عشر: معايير نجاح المنظومة الادارية:
١٥٩	الخامس عشر: المركزية في القرار:
١٥٩	السادس عشر: ستر العيوب:
١٦٠	السابع عشر - حفظ الاسرار:
١٦١	الثامن عشر- تأثير العلاقات القرية للمدراء واهتمامهم بالعاملين معهم:
١٦٣	التاسع عشر- الإحسان والمرتب والمكافأة:
١٦٤	العشرون - المشورة :
١٦٦	الخاتمه والاستنتاجات

١٦٧	الهوامش
١٧٤	المصادر
الفكر الإداري في عهد مالك	
بين النظرية والتطبيق	
١٨٧	المقدمة
١٨٨	البحث
١٨٨	مفهوم الإدارة
١٨٩	أهمية العهد
١٩١	اهداف العهد العامة :
١٩٤	السياسة الادارية في حكومة الامام علي (عليه السلام) :
١٩٦	النظام الإداري للحكومة والولاية
١٩٨	أولاً: الرقابة الذاتية على النفس
٢٠٠	ثانياً: الرقابة الشعبية على عمل الموظف
٢٠٥	ثالثاً: تجنب التكبر والشعور بالعظمة والاستبداد
٢٠٦	رابعاً: الحفاظ على الدماء
٢٠٧	خامساً: النهي عن الاحتجاب عن الرعية
٢٠٨	سادساً: الحذر من البطانة
٢١١	سابعاً: طبيعة اختيار العمال والولاية
٢١٦	ثامناً: طبيعة اختيار الكادر الاداري
٢١٩	تاسعاً: السياسة الوقائية والقضاء على الفساد
٢٢٥	الخاتمة
٢٢٦	الهوامش
٢٣٢	المصادر
٢٣٢	المراجع

النشاط التجاري

في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام)

٢٣٧	المقدمة
٢٤٠	تمهيد
٢٤٣	المبحث الأول : النشاط التجاري وحركة الأسواق
٢٤٣	التجارة والأسواق عند العرب
	المبحث الثاني: السلوكيات والمظاهر المنهي عنها شرعاً في الأسواق
٢٤٩	في عهد الامام علي (عليه السلام)
٢٤٩	أولاً : الاحتكار :
٢٥٢	ثانياً : الربا
٢٥٤	الآثار السلبية للتعامل بالربا
٢٥٩	ثالثاً : الحلف في الشراء والبيع
٢٦٠	الهوامش
٢٦٤	قائمة المصادر والمراجع

التنمية الاقتصادية

في فكر امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)

دراسة في ضوء عهده لعامله على مصر مالك الاشر رضوان الله عليه

٢٧١	أمير المؤمنين علي عليه السلام
٢٧٢	علي بن ابي طالب عليه السلام منهجا للنبوة :
٢٧٧	مفهوم التنمية الاقتصادية وضوابطها :
٢٧٩	التنمية الاقتصادية في ضوء العهد لمالك الاشر :
٢٨٨	ثبت الهوامش :

الفكر الإداري عند الإمام علي (عليه السلام)

وصيته لمالك ابن الاشر أنموذجا

٢٩٥	ملخص البحث
٢٩٦	المقدمة
٢٩٨	اسمه ونسبه وولادته:

- ٢٩٨..... إسلامه ومواقفه في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):
- ٢٩٩..... لقبه
- ٣٠٠..... صفاته
- ٣٠٠..... استشهاده
- ٣٠١..... موقف الإمام علي من خبر أستشهاد الأشر:
- ٣٠٢..... مواقفه في عهد أبي بكر وعمر وعثمان :
- ٣٠٣..... دوره في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) :
- ٣٠٥..... مصر في عهد الإمام علي عليه السلام :
- ٣٠٦..... خصائص الإدارة عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام):
- ٣٠٧..... أولاً: الصفة الإنسانية.....
- ٣٠٨..... ثانياً: الصفة التنظيمية.....
- ٣٠٨..... ثالثاً: الصفة الجماعية.....
- ٣٠٩..... رابعاً: الصفة الهدفية.....
- ٣٠٩..... الرأفة بالرعية.....
- ٣١٠..... التجارة والحياة الاقتصادية.....
- ٣١٣..... الكاتب والمفكر بنظر الامام علي (عليه السلام).....
- ٣١٤..... ويحذر العهد العلوي من.....
- ٣١٤..... الضرائب واثقال كاهل الرعية.....
- ٣١٧..... المال العام وسرقته.....
- ٣١٩..... الخلاصة:
- ٣١٩..... التوصيات:
- ٣٢٠..... الهوامش.....
- ٣٢٥..... المصادر:

القيادة والإدارة الناجحة

في فكر الامام علي (عليه السلام)

- ٣٢٩..... المقدمة
- ٣٣٠..... مفهوم القيادة

- التعريف اللغوي للقيادة: ٣٣٠
- تعريف القيادة اصطلاحا ٣٣٠
- الإمامة: ٣٣١
- الولاية: ٣٣٢
- الفكر القيادي عند الامام علي (عليه السلام) ٣٣٣
- الشروط التي يجب ان تتوفر في الحاكم ٣٣٤
- وظائف الحاكم عند الامام علي (عليه السلام) ٣٣٥
- تقديم المصالح العامة ٣٣٥
- إعانة الفقراء ٣٣٥
- التساهل والرفق ٣٣٦
- المباشرة بالنظر في أمور الناس ومعالجة مشاكلهم: ٣٣٧
- تعليم الناس وإيقافهم على الحقائق: ٣٣٧
- اساسيات القيادة الادارية ٣٣٨
- الرقابة: ٣٣٨
- المساواة والعدالة: ٣٤١
- العلاقة الإنسانية ومودة الأمة ٣٤٣
- التعاون بين الحاكم والشعب ٣٤٣
- الخاتمة ٣٤٥
- الهوامش ٣٤٦

لمحة عن المبادئ الاقتصادية الاجتماعية

من خلال عهد الامام علي (عليه السلام) الى مالك بن الاشر

- ١ - مضامين عهد الامام علي (عليه السلام) لواليه مالك بن الاشر: ٣٥٢
- ٢ - لمحة عن الأعمال الاقتصادية للإمام علي (عليه السلام) ٣٥٣
- الهوامش ٣٧٧
- ٣- بعض من ملامح أفكار الإمام علي والتي تتضمن سياسته الاقتصادية... ٣٥٤
- ٤- الجانب الاجتماعي ٣٦١
- الهوامش ٣٦٥

٣٦٨	قائمة المصادر.....
٣٦٩	المراجع.....

مفردات بناء الدولة في فكر أمير المؤمنين علي عليه السلام عهده الى مالك الأشتر (رضي الله عنه) انموذجاً

٣٧٣	ملخص.....
٣٧٤	توطئة.....
٣٧٦	أولاً- المقومات الروحية والمعنوية الذاتية.....
٣٨١	ثانياً- المقومات الفنية والمادية.....
٣٨٨	خلاصة البحث.....
٣٨٩	الهوامش.....
٣٩٠	المصادر والمراجع.....

البناء الاداري الرصين للدولة العربية الاسلامية عهد الإمام علي (عليه السلام) الى مالك الأشتر (رضي الله عنه) أنموذجاً

٣٩٣	المقدمة.....
٣٩٥	نبذة مختصرة عن الوالي مالك الأشتر.....
٣٩٦	البناء لغة.....
٣٩٧	البناء في القرآن.....
٣٩٩	الرصانة لغة.....
٣٩٩	النظم الإدارية من خلال عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر.....
٤٠٠	المهنية في الدولة.....
٤٠١	عدالة الحاكم أو الوالي.....
٤٠٥	الترف والفساد.....
٤٠٩	المشورة.....
٤١٢	مؤسسة الوزارة.....
٤١٣	الدواوين.....
٤١٥	مؤسسة القضاء.....

٤١٥	تعريف القضاء
٤١٦	ديوان الجند
٤١٧	رواتب الجيش
٤١٨	العيون
٤١٨	مؤسسة الحسبة
٤٢١	رد المظالم
٤٢٢	رواتب موظفون في الدولة
٤٢٣	الخراج
٤٢٤	ديوان الكتابة
٤٢٦	الاستتجات
٤٢٩	الهوامش
٤٣٦	المصادر والمراجع